سلسلة إصدارات
الحكمة
- بريطانيا -

٥

مجموعة رسائل ابن الجوزي
في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة

الكتاب الأول
اليواقيت

الكتاب الثاني
عجيب الخطب

الكتاب الثالث
رؤوس القوارير

الكتاب الرابع
ملتقط الحكايات

تأليف
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه
الأستاذ هلال ناجي
وليد بن أحمد الحسين
أبو عبد الله الزبيري

سلسلة إصدارات
الحكمة
- بريطانيا -
٥

مجموعة رسائل ابن الجوزي
في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة

تأليف
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه

الأستاذ هلال ناجي
وليد بن أحمد الحسين
أبو عبد الله الزبيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

تصدر هذه السلسلة عن مجلة الحكمة

الصادرة في بريطانيا ـ ليدز

GREAT BRITAIN TEL: (441132) 741829,
P.O.BOX: HP70, LEEDS. LS61 XN, U.K

على الراغبين الحصول على مجلة الحكمة

أو سلسلة إصدارات الحكمة الاتصال

على ممثل مجلتنا في الشرق الأوسط على العنوان التالي:

السعودية ـ المدينة المنورة ـ ص.ب: ٦٦٠٤

ت: ٠٤/٨٣٦٤٥٩٨ ـ ف: ٠٤/٨٣٦٧٣٩٢

E.mail: alhikma59@hotmail.com

من روائع الوعظ الإسلامي

الكتاب الأول

اليواقيت

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه

الأستاذ هلال ناجي
وليد بن أحمد الحسين
أبو عبد الله الزبيري

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

مصنف الكتاب، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي. شيخ الوعّاظ والمحدثين والمؤرخين في عصره.

ولد بدرب حبيب في بغداد عام ٥١١هـ تخميناً، فلمّا توفي والده وهو ابن ثلاث كفلته أمه وعمته. وكان أهله تجاراً في النحاس.

وقد رسم له معاصره العلاّمة عبداللطيف البغدادي صورةً حيّة إذ قال: «كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيّع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التواريخ من المتوسعين، ولديه فِقْهٌ كافٍ. وأمّا السجع الوعظي فَلَهُ فيه ملكة قوية، إن ارتجل أجاد، وإن روى أبدع. وله في الطب كتاب اللقط مجلدان وله تصانيف كثيرة. وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف فراجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدّة أكثر ممّا يراعي قوة بدنه. جُلُّ غذائه الفراريج والمزورات ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات. ولباسه أفضل لباس: الأبيض الناعم المطيب.

ونشأ يتيماً على العفاف والصلاح. وله ذهنٌ وقّاد. وجواب حاضر، ومجون لطيف، ومداعبات حلوة، وكانت سيرته في منزله المواظبة على القراءة والكتابة..

وقيل: كان قد شرب حَبّ البلاذر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً، وكان يخْضبُها بالسواد إلى أن مات. وصنَّف في جواز الخضاب بالسواد مجلّداً»[1].

حياته الأسرية

رغم أنه خلّف لنا كتاباً في «ذم الهوى» إلا أنّ أشعاره العاطفية صادقة ومؤثرة. وكان وهو حيّ مغرى بخاتون أمّ ولده محيي الدين يوسف، فماتت بعده وكان بين موتها وموته يوم وليلة فَعَدَّ الناس ذلك من كراماته، كان له من الأولاد الذكور ثلاثة هم أبوبكر عبدالعزيز وكان واعظاً على مذهب أحمد، ومات بالموصل سنة ٥٥٤هـ في حياة والده.

وأبوالقاسم علي، ألّف الكثير وتوفي سنة ٦٣٠هـ.

وأبومحمد محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم، وكان واعظاً مشهوراً، لعب دوراً في الإفراج عن أبيه أيام محنته. وتوفي في حياة والده.

وقد تحدث ابن الجوزي عن ذريته فقال: «سألت ا لله تعالى أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقنيهم، فكانوا خمسة ذكور وخمس إناثٍ، فمات من البنات اثنتان ومن الذكور أربعة فلم يبق لي ذَكَرٌ سوى ولدي أبي القاسم، فسألت ا لله أن يجعل فيه الخلف الصالح»[2].

---

(١) النص في الذيل على طبقات الحنابلة ص٤١٢، وقد نشر المستشرق الفرنسي كلود كاهين النصّ محرفاً عن بعض المخطوطات في المجلد ١١١××× الصادر عام ١٩٧٠ من مجلة المعهد الفرنسي بدمشق ص ١٠٧-١٠٨. وكتابه في الشيب والخضاب وصلتنا منه مخطوطة فريدة تحتفظ بها دار الكتب الوطنية في تونس.

(٢) مخطوطة كتابه لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

طرف من حياته العلمية

درس ابن الجوزي في عدة مدارس وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ووقف عليها كُتُبه، وتفرّد بكثرة تصانيفه. وقد سئل عن عددها؟ فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كراس واحد.

وقال الإمام ابن تيمية في أجوبته المصرية: كان الشيخ أبوالفرج مفتياً كثير التصنيف والتأليف. وله مصنفات كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره. وقال: وله في الوعظ وفنونه ما لم يصنَّف مثله[1].

وقال الحافظ الذهبي: ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل.

والذي صحَّ فيما حققناه أن مصنفاته ناهزت الأربعمائة مصنف.

وقد أفرد لها عبدالحميد العلوجي -رحمه الله- كتاباً قطع به الطريق على الراغبين في تعدادها وحصرها، وأوفى به على الغاية.

ولقد زعم خصومه أنه كان كثير الغلط في تصانيفه، وقيل في الرد على هذا الاتهام: أنه صنّف في علوم كثيرة، وبعض تصانيفه بمنزلة الاختصار من كتب العلوم، فكان ينقل من تلك التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم فوقع فيما وقع.

ولذلك نُقل عنه -رحمه الله- قوله: أنا مُرَتِّب ولست بمصنف.

وأخذ عليه بعضهم: التعاظم وكثرة الادّعاء.

---

(١) هو كتاب «مؤلفات ابن الجوزي» من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م دار الجمهورية للنشر والطبع. وصدرت بعد ذلك طبعة ثانية مزيدة منقحة. انظر ما استدركناه عليه في مجلة المكتبة (العراقية) في العددين ٦٢و٧٠ -هلال ناجي-.

وثمة طوائف من الحنابلة لم ترض طريقته في التصنيف في السُـنّة بزعم ميله إلى التأويل في بعض كلامه.

على أن هذه الانتقادات مجتمعة لا تهبط بمنزلتـه العلميـة الرفيعـة فقـد كفـاه فخراً أن مجالس وعظه لم يكن لها نظير في عصره، وأنه شهد له القـاصي والدانـي من أعلام المسلمين السابقين واللاحقين إلى يومنا هذا. هذا من حيث ما تميـز بـه في الوعظ والتذكير وما حصل له من نفع في أوساط المسلمين إلا أنـه أخـذ عليـه بعض الزلات والشطحات في العقيدة ليس هذا موضع التفصيل فيهـا وقـد ذكـر العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابه الفتاوى السعدية بعـض مـا لاحظـه عليه من زلات في العقيدة.

روى سبطه أبوالمظفر، أنه سمع جدّه يقـول علـى المنـبر في آخـر عمـره: «كتبـت بإصبعيّ هاتين ألف مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسـلم علـى يـدي عشـرون ألف يهودي ونصراني».

من شيوخه: ١- أحمد بـن محمّـد الدينـوري ٢- علـي بـن يعلـى بـن عـوض العلوي ٣- علي بن عبيدا لله الزاغوني ٤- موهوب بن أحمد الجواليقي ٥- علي بن عبدالواحد الدينوري ٦- ابن الحصين ٧- ابن الحريري ٨- ابـن السـمرقندي ٩- هبة ا لله بن الحسين الحاسب ١٠- سعيد بن أحمد بن البناء ١١- عبدا لله بـن محمّد بن عبدا لله الأصبهاني ١٢- عبدا لله بن أحمد الخلال ١٣- يحيى بـن ثـابت بن بندار ١٤- محمّد بن عبدالباقي الأنصاري ١٥- محمّد بن الحسين المزرفي ١٦- أحمد بن ظفر المغازلي ١٧- محمّد بن عبدا لله العـامري ١٨- محمّـد بـن عبيـدا لله الزاغوني ١٩- أحمد بن المقرب الكرخي ٢٠- الحسين بن محمّـد البـارع الهـروي البغدادي الحارثي ٢١- يحيى بن البناء ٢٢- محمّد بن محمّد السلال ٢٣- الحسين

بن علي الخياط ٢٤- محمّد بن عبدا لله بن البيضاوي ٢٥- الحسين بن محمّد البلخي ٢٦- محمّد بن الحسن الماوردي ٢٧- أحمد بن البناء ٢٨- خالُه محمّد بن ناصر بن محمّد السلامي.

وقد صدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت كتاب عنوانه «مشيخة ابن الجوزي» فيه أسماء شيوخ آخرين له.

تلاميذه ومن روى عنه

روى عنه أعلام منهم ولده الصاحب محي الدين يوسف، وأبومحمد بن قدامة. وابن خليل، والضياء، وابن عبدالدائم، وعبداللطيف بن الصيقل، والفخر بن علي البخاري، وابن الدبيثي، وعبداللطيف البغدادي، وابن النجار، وابن القطيعي، والحافظ عبدالغني، والنجيب عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني وسبطه أبوالمظفر الواعظ المصنف.

محنته:

وأصابته في آخر حياته محنة، نفي فيها إلى واسط، وبقي فيها من سنة ٥٩٠هـ - ٥٩٥هـ. ثم أفرج عنه بمسعى ولده محيي الدين يوسف الذي عرف بوعظه ونال حظوة فساعدته أم الخليفة الناصر فشفعت لأبي الفرج عند ابنها، فأمر بإعادة الشيخ والإفراج عنه.

وفاته:

توفي أبوالفرج عام ٥٩٧هـ ببغداد، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب إلى الشمال الغربي من الكاظمية الحالية. وكان أوصى أن يكتب على قبره:

يــــا كثـــــير العفــــو عمّــــن كَـــــثُرَ الذنــــــبُ لديــــهِ
جــــاءكَ المذنــــبُ يرجــــو الصفـــحَ عـــن جُــــرمٍ لديــــهِ
أنــــا ضيــــفٌ وجــــزاء الـــــ ضيــــف إحســـــانٌ إليــــهِ

ملكته الوعظية:

ولقد رأينا -أن ننشر هذا المخطوط الوعظي أول مرة- ضرورة التنبيه إلى ما تفرد به ابن الجوزي في عصره من ملكة في الوعظ لا نظير لها، حتى قال عنه معاصره العلاّمة عبداللطيف البغدادي: «وأمّا السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتجل أجاد، وإن روى أبدع».

وحتى قال عنه أيضاً: «يحضر مجلسه مائة ألف أويزيدون».

ونحن نجد شهادة لمعاصره الرحالة ابن جبير، ترسمُ صورة حية فذة لموهبة ابن الجوزي الوعظية الخارقة، قال ابن جبير:

«ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القُراء بالقرآن، وعددهم نيِّفَ على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نَسَقٍ بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً. فإذا فرغوا أخذ هذا الإمامُ الغريبُ الشأن في إيراد خطبته، عَجِلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فِقَرا، وأتى بها على نَسَقِ القراءة لها، لا مُقَدِّماً ولا مؤخّراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها.

فلو أنّ أبدع مَنْ في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القُرّاء آيةً آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مُرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلاً.

﴿أَفَسِحْرٌ هَـذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾، ﴿إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

فَحَدِّث ولا حَرَج عن البحر، ليس الخَبَرُ عنه كالخُبْر.

ثم أنّه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيّناتٍ من الذكر، طارت له القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح وتساقطوا عليه تساقُط الفَراش على المصباح، كُلٌّ يلقي ناصيَته بيدهِ فَيَجُزُّها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأُ النفوسَ إنابة وندامة، ويذكّرها هولَ يومِ القيامة. فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، إلاّ لمشاهدة مجلسٍ من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقةَ الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن مَنَّ بلقاءِ من تشهد الجمادات بفضله، ويضيقُ الوجود عن مثله.

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربّما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد ا لله يؤتيه من يشاء، لا إله سواه».

ويستأنف ابن جبير وصفَ مجالس ابن الجوزي الوعظية فيقول:

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومناظرة مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخُصّ بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضرَ من الحُرم. ويُفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بسط

بالحُصْر. وجلوسه بهذا الموضع كلّ يوم خميس.

فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوّقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أرادوا، وبَدَرت العيونُ بإرسال الدموع. فلمّا فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى الخطبة على فِقْرَة آخر آيةٍ منها في الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾. فتمادى على هذا السين، وحسّن أي تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنَّى عنها بالستر الأشرف، والجناب الأرأف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كلّ ذلك بديهة لا روية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى. فأرسلتْ وابلها العيون، وأبدت النفوسُ سرَّ شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألبابُ والعقول، وكَثُر الوَلَهُ والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً، ولا تميز معقولا، ولا تجد للصبر سبيلا.

ثم (يجيء) في أثناء مجلسه بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق تُشعل القلوب وجداً، ويعود موضوعها النسيبي زهدا. وكان آخر ما أنشده من ذلك، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتلَ سهامُ ذلك الكلام:

أين فؤادي أذابَهُ الوَجْدُ   وأين قلبي فما صحا بَعْدُ
يا سَعْدُ زدني جوىً بذكرِهُمُ   بالله قُلْ لي فُديت يا سعدُ

ولم يزل يُرَدِّدُها والانفعال قد أثَّر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه،

إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً، وقد أطار القلوب وَجَلا، وترك الناس على أحرّ من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر. فمن مُعلن بالانتحاب، ومن متعفّر بالتراب[1]، فياله من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه. نفعنا ا لله ببركته، وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته، بمنّه وفضله.

وفي أوّل مجلسه أنشد قصيداً نيِّر القَبَس، عراقيّ النَفَس، في الخليفة أوله:

في شُغُل عن الغرام شاغِل   قد هاجَهُ البرقُ بِسَفْح عاقلِ

يقول فيه عن ذكر الخليفة:

يا كلمات ا لله كوني عُوذةً   من العيون للإمام الكاملِ

ففرغ من إنشاده وقد هَزّ المجلسَ طرَبا. ثم أخذ في شأنه، وتمادى في إيراد سحر بيانه. وما كُنّا نحسب أن متكلما في الدنيا يُعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أُعطي هذا الرجل، فسبحان من يخصّ بالكمال من يشاء من عباده، لا إله غيره».

حتى قال ابن جبير: «وكنّا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرَّفهما ا لله، مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد، فَصَغُرت بالإضافة- لمجلس هذا الرجل الفذ- في نفوسنا قَدْرا، ولم نَسْتَطِب لها ذكرا. وأين تقعان مما أريد، وشتان بين اليزيدين، وهيهات! الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير!».

---

(١) ليست من هدي النبي ﷺ أن يتعفر المسلم بالتراب معبراً عن خشوعه بذلك فليس هذا من الخشوع في شيء فقد قال عليه الصلاة والسلام «ليس منّا من لطم الخدود أو شق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». فآثار الخشوع هو ما يكمن من وجل في القلوب وربما تعداه إلى أن تذرف العين معبرة عن خشوع القلب وحديث العرباض بن سارية خير دليل على ذلك حيث قال: «وعظنا رسول ا لله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول ا لله كأنها موعظة مودع فأوصنا...» الحديث. وخير الهدي هدي محمّد ﷺ.

ثم قال ابن جبير: «وحضرنا له مجلساً ثالثاً، يوم السبت الثالث عشر لصفر، بالموضع المذكور بإزاء داره على الشط الشرقي، فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عَجبًا، صَعَّد بوعظه أنفاسَ الحاضرين سُحُبا، وأسال من أدمعهم وابلا سكْبا، ثم جعل يردّد في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهديا وطربا، إلى أن غَلَبَتْهُ الرقةُ فوثبَ من أعلى منبره والهاً مكتئباً، وغادرَ الكلَّ متندماً على نفسه منتحبا، لهفان ينادي:

يا حسرتا واحَرَبا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى، وكُلٌّ منهم بَعْدُ من سكرته ما صحا، فسبحانَ من خَلَقَهُ عبرةً لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه».

إلى هنا ينتهي كلام الرحالة ابن جبير عن صاحبنا، وهو كما قدمنا قد رسم صورة حية نادرة المثال لموهبة ابن الجوزي الوعظية وتفرده بذلك بين معاصرية.

وهذه الصورة شهادة عديمة النظير من رجل لا تحوم حول شهادته شبهة. ومن عجب أن تصدر هذه الشهادة عن رحاله مغربي، وأن يغفل المشارقة وصف مجالس ابن الجوزي الوعظية، وقديماً قيل المعاصرةُ حجابٌ حاجز. وكأنّي بابن الجوزي أحسّ بهذا الحسد في نفوس بعض معاصريه من المشارقة حين قال:

عذيريَ من فتيةٍ بالعراقْ قلوبُهُمُ بالجفا قُلَّبُ
يرونَ العجيب كلامَ الغريبْ فامّا القريب فلا يُعجب
ميازيبهم إنْ تَنَدَّتْ بخير إلى غير جيرانهم تُقْلَبُ
وعُذْرُهُمُ عند تأنيبهم «مُغْنِّيَةُ الحيِّ لا تُطربُ»

آثاره المطبوعة:

بدت العناية بطبع آثار ابن الجوزي في وقت مبكر، وأقدم ما طُبع من آثاره كتابه «أخبار الأذكياء» الذي طبع في مصر سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م.

وقد عُني مستشرقون بطبع بعض آثاره في القرن التاسع عشر. ومنهم كارل بروكلمان الذي نشر طبعة ناقصة من كتاب «تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير» في ليدن - برسلاو سنة ١٨٩٢م.

كما نشر بروكلمان قطعة من كتاب «الوفا بأحوال المصطفى» في لايبسك سنة ١٨٩٥م.

وطبع المستشرق بيكر كتابه «سيرة عمر بن عبدالعزيز» في لايبسك سنة ١٨٩٩-١٩٠٠م مع مقدمة باللغة الألمانية.

ونشرت مارلين شوارتز في بيروت سنة ١٩٧١ «كتاب القصاص والمذكرين» وقد نشرت آثار ابن الجوزي في شتى أصقاع الوطن العربي والإسلامي أيضاً.

وقد رأينا أن نذكر في هذه المقدمة أسماء ما طبع من آثاره دون تفصيل مُحيلين القراء على كتابين مهمين هما: ذخائر التراث العربي لعبد الجبار عبدالرحمن، ومعجم التراث العربي المطبوع لمحمد عيسى صالحية:

١. أخبار الأذكياء

٢. أخبار الحمقى والمغفلين

٣. أخبار الظرّاف والمتماجنين

٤. أخبار النساء = أحكام النساء

٥. البر والصلة

٦. بستان الواعظين ورياض السامعين

٧. بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب

٨. تاريخ عمر بن الخطاب = سيرة عمر بن الخطاب

٩. التبصرة في أحوال الموتى والآخرة

١٠. تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ

١١. التحقيق في اختلاف الحديث = التحقيق في أحاديث الخلاف

١٢. تلبيس إبليس

١٣. تنبيه النائم الغُمر على مواسم العمر = حفظ العمر

١٤. تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير

١٥. الثبات عند الممات

١٦. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفّاظ

١٧. الحدائق في علم الحديث والزهديات

١٨. الحسن البصري، مناقبه

١٩. درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم

٢٠. دفع شبهة التشبيه والرد على المجسّمة والمشبّهة

٢١. ذم الهوى

٢٢. الذهب المسبوك في سير الملوك

٢٣.روح الأرواح

٢٤.رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير [وهو ضمن المجموعة التي نقوم بتحقيقها في هذا الكتاب].

٢٥.زاد المسير في علم التفسير

٢٦.سيرة ومناقب عمر بن العزيز

٢٧.سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان

٢٨.الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء

٢٩.صفوة الصفوة

٣٠.صيد الخاطر

٣١.(كتابُ) الضعفاء والمتروكين

٣٢.الطب الروحاني

٣٣.العروس أو مولود النبي

٣٤.العِلَل المتناهية في الأحاديث الواهية

٣٥.فنون الأفنان في عيون علوم القرآن

٣٦.فضائل القدس

٣٧.القرامطة

٣٨.(كتاب) القصّاص والمذكرين

٣٩.كشف النقاب عن الأسماء والألقاب

٤٠.اللطائف في المواعظ

٤١.اللآلىء

٤٢.لفتة الكبد إلى نصيحة الولد

٤٣.المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة وعيون التاريخ والوعظ

٤٤.مشيخة ابن الجوزي

٤٥.المصباح المضيء في خلافة المستضيء

٤٦.ملتقط الحكايات [وهو ضمن المجموعة التي نقوم بتحقيقها في هذا الكتاب]

٤٧.مناقب أحمد بن حنبل

٤٨.مناقب بغداد

٤٩.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

٥٠.المنثور

٥١.مناقب معروف الكرخي

٥٢.المقلق

٥٣.المصفى بأكفّ أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ

٥٤.الموضوعات

٥٥.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر = منتخب قرة العيون النواظـر في الأجوبة والنظائر

٥٦.نواسخ القرآن

٥٧.الوفا بأحوال وفضائل المصطفى

٥٨.أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث

٥٩.ياقوتة المواعظ والموعظة

٦٠.مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن(١).

٦١.اليواقيت [وهو ضمن المجموعة التي نقوم بتحقيقها في هذا الكتاب].

٦٢.عجيب الخطب [وهو ضمن المجموعة التي نقوم بتحقيقها في هذا الكتاب].

وصف مخطوطة الكتاب المعتمدة

وتحقيق اسمها وتوثيق نسبتها إلى مصنفها

ومخطوطة «اليواقيت» التي اعتمدناها في تحقيق الكتاب من مصنفات ابن الجوزي، نصَّ الناسخ على اسم الكتاب ونسبته في الورقة الأولى منه إذ قال: «كتاب اليواقيت للشيخ العلامة جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي تغمده ا لله

---

(١) تنظر ترجمة ابن الجوزي في المصادر التالية: الكامل لابن الأثير ١٢/ ٧١ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي ٢/ ٢٠٥ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/ ٤٨١-٥٠٣ ذيل الروضتين أبوشامة ٢١-٢٧ الجامع المختصر - ابن الساعي ٩/ ٦٥ الوفيات - ابن خلكان ١/ ٣٠١ ذيل طبقات الحنابلة - ابن رجب ١/ ٣٩٩-٤٣٣ تاريخ الإسلام - الذهبي مخطوطة باريس ١٥٨٢ الورقة ٩٨-١٠٣ المختصر - أبوالفدا ٣/ ١٠٦ العبر - الذهبي ٤/ ٢٩٧ دول الإسلام - الذهبي ٢/ ٧٩ سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥-٣٨٤ البداية والنهاية - ابن كثير ١٣/ ٢٨-٣٠ غاية النهاية - الجزري ١/ ٣٧٥ النجوم الزاهرة - ابن تغري بردي ٦/ ١٧٤ تاريخ ابن الفرات ٨/ ٨٤-٨٨ مشيخة النعّال ١٤٠-١٤٢ طبقات المفسرين - السيوطي ص١٧. شذرات الذهب - ابن العماد ٤/ ٣٢٩ والتذكرة ١٣٤٢ التكملة لوفيات النقلة - المنذري ٢/ ٢٩١-٢٩٣. رحلة ابن جبير ١٩٧-٢٠٠ مجلة المكتبة البغدادية العددان ٦٢و٧٠. المورد - المجلد الأول - العددان ١-٢ -١٩٧١. كتاب مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي. ذخائر التراث العربي ١/ ٧٦-٨٢.

برحمته». وقد أثبتنا صورتها في نشرتنا.

وذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وقال أنه جزآن.

وذكره ابن رجب في طبقات الحنابلة باسمه منسوباً لابن الجوزي.

وبالاسم والنسبة ذاتها ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين وسماه الذهبي في تذكرة الحفّاظ «اليواقيت في الخطب الوعظية» وذكره بروكلمان بعنوان «اليواقيت» ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في جامع الفاتح بالاستانة برقم ٥٢٩٥(٦).

وحلاّه الحاجي خليفة في كشف الظنون العمود ٢٠٥٤ بما نصه:

«اليواقيت -لأبي الفرج ابن الجوزي مختصر أوله: الحمد لله المحمود بفنون المحامد، جمع فيه مائة خطبة في المواعظ من إنشائه وارتجاله».

وهذا الوصف مطابق تمام المطابقة لمخطوطتنا.

ثم إن الدليل الداخلي يدعم هذه النسبة، فالمتمرس بأسلوب ابن الجوزي الوعظي لا يخامره أدنى شك في صحة نسبة المخطوط إليه.

والمخطوطة التي اعتمدناها محفوظة في دار الآثار العامة ببغداد - المسماة دار صدام للمخطوطات حالياً. ورقمها فيها ١٥٧٨. وهي ضمن مجموع تشغل منه الصحائف ٧٨-١٣٠ (مرقمة ترقيماً حديثاً). معدل سطور الصفحة الواحدة ٢١ سطراً.

ناسخ المجموع حسين بن أمين القائمي أصلاً، البغدادي مسكناً، الحنفي مذهباً، والسلفيّ اعتقاداً. وقد أنجز كتابة المجموع في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة من شهور سنة تسعين ومائتين بعد الألف.

وأرى أن ما تقدم يكفي للتحقيق من اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى مؤلفه.

وبعد: فهذا الكتاب من جيّد ما خلّف ابن الجوزي في فن الوعظ الإسلامي.

ولقد أصبح هذا الفن على يده فنّاً مستقلاً له ملامح وسمات في الأسلوب والتعبير والصياغة والتصوير.

وإذا كان ثمة مأخذ على هذا الكتاب فهو شدّة اعتزاز مُصَنِّفِهِ بقدراته الوعظية، فهو يفخر بها كثيراً ويتحدى الآخرين.

وإذا كان السجع الوعظي قد غلب على خطب الكتاب -المئة-، فهو سجع موائم لزمنه، ملائم لموضوعه، المهم أنه لم يكن في عمومه سجعاً متكلفاً، بل كان نابعاً عن قدرة بيانية فذة.

وهذا الكتاب بخطبه المئة وكتب ابن الجوزي الثلاثة[1]: تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ، وكتاب اللآليء، وكتاب المنثور، تمثل نماذج من فن الوعظ الإسلامي في القرن السادس الهجري أصدق تمثيل.

ومخطوطة «اليواقيت» تنشر محققة أول مرة[2]، خدمة لفن الوعظ الإسلامي

---

(١) وقد حققت هذه الكتب الثلاثة ونشرتها في سنوات خلت -هلال ناجي-

(٢) وقع بين يدي كتاب مطبوع بتاريخ ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م في مطبعة مصطفى محمّد بمصر بعنوان «اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية» وهو يختلف تماماً عن كتابنا هذا لأمور منها:
أولاً: لا يعرف من قام بتحقيق المخطوط فهو مجهول.
ثانياً: لم يرفق مع الكتاب صورة من المخطوطة توثقه له.
ثالثاً: الكتاب -اليوقيت الجوزية- يختلف تماماً عن الكتاب الذي نقوم بتحقيقه فالأول يحوي اثنين وعشرين خطبة وكتابنا يحوي مائة خطبة.
رابعاً: كتابنا رتبه ابن الجوزي على حروف المعجم فكل خطبة مسجوعة بحرف واحد على العكس من الكتاب الآخر فإنه لم يلتزم ذلك.فأرجوا أن يكون ما نقوم به أوسع وأشمل وأوثق والله الموفق -وليد الحسين-

بخاصة، ولديننا الحنيف بعامة.

والكتاب الثاني الذي يليه عجيب الخطب والذي يحوي ثلاثين خطبة ابتدأها بالخطبة الأولى بدون حرف الألف والخطبة الثانية بدون حرف الباء إلى الخطبة التاسعة والعشرين بدون حرف الياء ثم يختمها بالخطبة الثلاثين بدون نقط أي كلها حروف مهملة. ثم يتلوه الكتاب الثالث «رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير» والذي قسمه إلى أربعة أبواب الباب الأول المختار من الخطب - وفيه إحدى وثلاثون خطبة والباب الثاني، في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها وفيه خمسة وثلاثون فصلاً والباب الثالث فيه طرف ونتف وأسئلة وفيه ثمان وعشرون فصلاً. والباب الرابع في المتعلق بالوعظ وفيه ثلاثة وثلاثون فصلاً.

ثم يتلون الكتاب الرابع: ملتقط الحكايات والذي يحوي على سبع وخمسين حكاية وقعت لبعض الصالحين والفوائد والمواعظ ما يستفيد منها المسلم.

وإنّنا لنرجو أن نكون -بتحقيقها ونشرها- قد أضفنا لبنة متواضعة إلى ما نشر حتى اليوم من آثار هذا العلامة البغدادي الخالد الذكر.

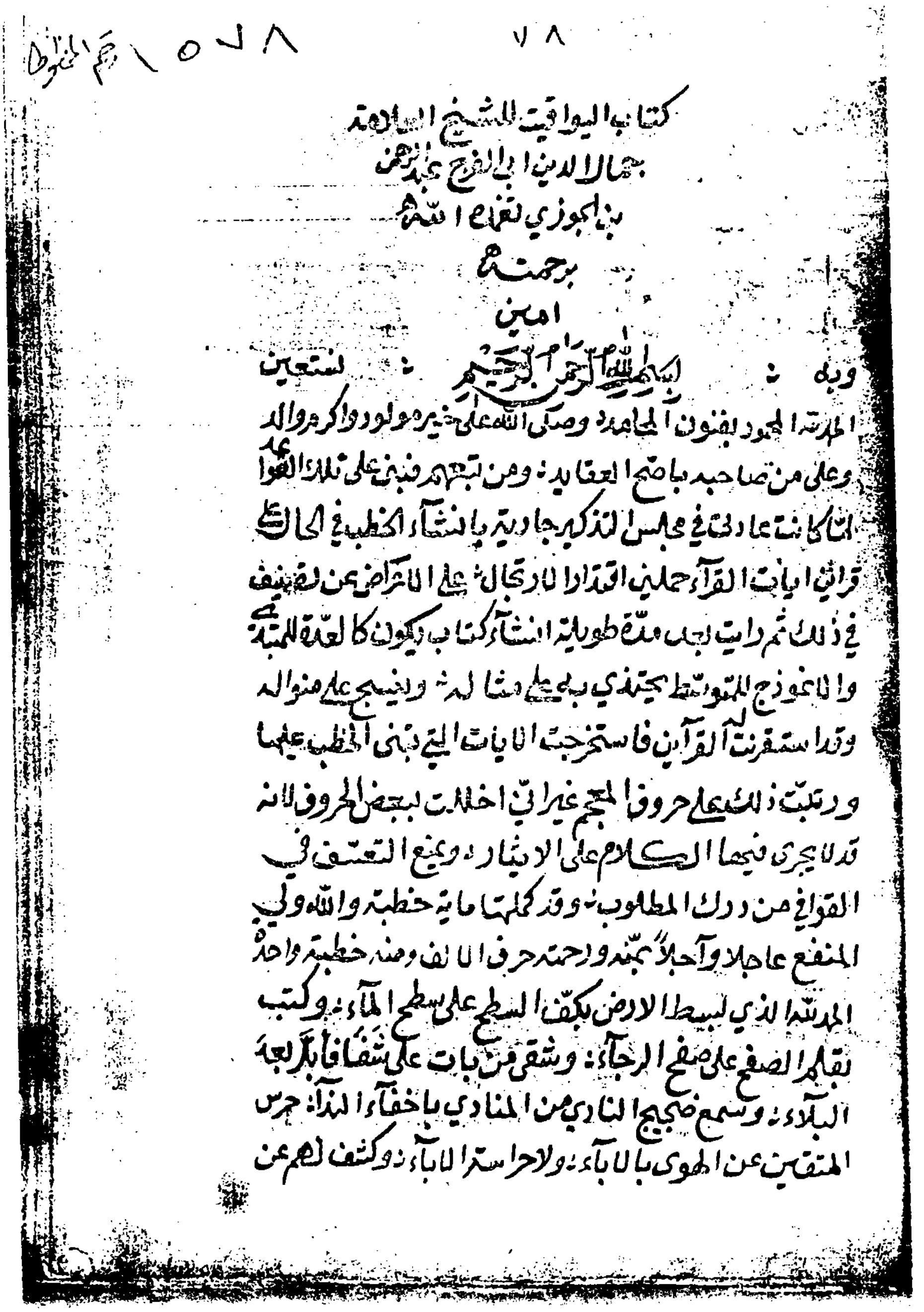
وأن نكون بهذا أيضاً قد أضفنا شيئاً أصيلاً إلى صرح الثقافة العربية الإسلامية الشامخ.

والحمد لله أوّلاً وآخراً وباطناً وظاهراً، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المحققان

الأستاذ هلال بن ناجي

الأستاذ وليد بن أحمد الحسين
أبو عبدا لله الزبيري


٧٨

رقم المخطوط ١٥٧٨

كتاب اليواقيت للشيخ الإمام
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن
بن الجوزي نفعنا الله
برحمته
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المحمود بفنون المحامد وصلى الله على خير مولود وأكرم والد
وعلى من صاحبه بأصح العقائد ومن تبعهم فبني على تلك القواعد
أما بعد لما كانت عادتي في مجالس التذكير جارية بإنشاء الخطب في الحال
وتالي آيات القرآن حملني الاقتدار على الارتجال على الإعراض عن التصنيف
في ذلك ثم رأيت بعد مدة طويلة إنشاء كتاب يكون كالعدة للمبتدئ
والأنموذج للمتوسط يحتذي به على مثاله وينسج على منواله
وقد استقريت القرآن فاستخرجت الآيات التي تبنى الخطب عليها
ورتبت ذلك على حروف المعجم غير أني أخللت ببعض الحروف لأنه
قد لا يجري فيها الكلام على الإيثار ويمنع التصنع في
القوافي من درك المطلوب وقد كملتها مائة خطبة والله ولي
المنفع عاجلا وآجلا بمنه ورحمته حرف الألف ومنه خطبة واحدة
الحمد لله الذي لبسط الأرض بكف السطح على سطح الماء وكتب
بقلم الصنع على صفح الرجاء وشقي من بات على شفا فأبكى لعبة
البلاء وسمع ضجيج النادي من المنادي بإخفاء النداء جرس
المتقين عن الهوى بالإباء والاحتراس للآباء وكشف لهم عن

الورقة الأولى من المخطوطة المعتمدة

كتاب اليواقيت للشيخ العلامة جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي تغمده الله برحمته آمين، وبه نستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بفنون المحامد، وصلّى ا لله على خير مولود وأكرم والد، وعلى من صاحبه بأصحّ العقائد، ومن تبعهم فبنى على تلك القواعد.

لّما كانت عادتي في مجلس التذكير جاريةً بإنشاء الخُطب في الحال على قرائن آيات القُرَّاء، حَمَلني اقتداء الارتجال على الإعراض عن تصنيف في ذلك، ثم رأيت بعد مدّة طويلة إنشاء كتاب يكون كالعُدّة للمبتدي، والأنموذج للمتوسط يحتذى به على مثاله، وينسج على منواله.

وقد استقرنت له القرائن، فاستخرجت الآيات التي تُبنى الخطب عليها، ورتَّبْتُ الكلام على حروف المعجم، غير أنّي أخْللتُ ببعض الحروف لأنّه قد لا يجري فيها الكلام على الإيثار، ويمنع التعسف في القوافي من درك المطلوب، وقد كَمَّلْتُها مائة خطبة، وا لله وليُّ المُنْفع عاجلاً وآجلاً بمنّه ورحمته.

حرف الألف

وفيه خطبة واحدة

الحمد لله الذي بَسَطَ الأرضَ بكفٍّ السطح على سطحِ الماءْ، وكتب بقلم الصفحِ على صفحِ الرجاءْ، وشَفَى من بات على شفا فَأَبلَّ بَعْد البَلاء، وسمعَ ضجيجَ النادي من المنادي بإخفاء النداء، حرسَ المتّقين عن الهوى بالإباء ولا حراسةَ الآباء، وكشفَ لهم عن عيب الدنيا فنفروا عن فناءِ الفَناءْ، أظْهَرَ دليلَ الإعادة لما أراد

وبدأ بالإبداءْ، ونَبَّهَ على حشر الأموات بنشر النبات من الصحـراءْ، بَيْنـا الأرض قـد جذبها ولَوَتْها يَدُ الإقواء، قدم السحابَ لتخليصها مـن يـد الشـدة بعـد النـائي بفـم الإنواءْ، وجمع بينها وبين القَطْر بعد البين المُشِتِّ في الشـتاءْ، فبـاتت تضحـك للهـواءِ والسحابُ يبكي على الهواءْ، حتى التقت شمله [و] جمع الشملُ على أطفـال النبـت في بيت البناءْ، واصطَّفَتْ رقومُ النُقوش علـى الثيـاب الحمـراء والصفـراءْ، وضـربَ الزمانُ في ربعِ الربيعِ كلّ الكلل على رياضِ الأرضِ الخضراءِ، وحرّكَ النسـيمُ أوتـارَ عيدانه بكفّ الشمال والنكباءْ، فطفقت الأغصانُ تعتنقُ وتفترقُ فَرَحـاً بالكسـوة بعـد العُري في العراءْ، وقامت الوُرْقُ على الوَرَقِ تصدحُ وتمدحُ وتشـكرُ المنعـمَ بالعَطـاءْ، فسبحان من أزال بالرِّئْي والـرُّواء[1] غُبـارَ الغـبراءْ، ورأى دبيـبَ النمـلِ لما يتغلغـل ويتخلّل في غضون الغصونِ تَغَلْغُلَ الدم في الأعضاءْ، وأبْصَرَ حركـةَ النملـة السـوداء في الليلة الظلماءْ، على الصخرة الصمّاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَـيْءٌ فِـي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾[2].

حرف الباء

وفيه ست خطب

الحمد لله الذي رابْ، وربّى وما غابْ، وطـبّ مـن جـابَ ذَنْبـاً وأجـابْ، وآب عَفْوُهُ إلى من أناب وتـابْ، وربّ عرفـه نحـو مـن رأب في الآدابْ، سـارَ الفكـرُ نحـوَ عظمتِه فإذا نار عِزَّته تُهابْ، وطالت بيـداءُ معرفتِـه حتـى كـلَّ كـلُّ الركـاب، طمـح الحجى نحو آنيّته فرُدَّ خاسئاً بالحجابْ، وهبّت نسائم هيبته فَصَوَّحت أغصـانُ الحسـنِ

(١) الرِّئْيُ والرُّواء: حُسنُ المنظر في البهاءِ والجمال.

(٢) الآية الكريمة رقم ٥ من سورة آل عمران رقم ٣.

الرطابْ، ومارت الأمور في بحر قُدْرَتِه ثم تعلَّقت بالأسبابْ، فإذا نشب ظفر الشيب بالتشبيه انْسابَ ثعبانُ القَدَرِ فَقَطَّ غصنَ الشباب، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾[1].

فصل

رُفعَ سَقْفُ الكون بمزخرف الرقش مزيّن الإهابْ، يختال في مروط الحسن ويميس فيما شاء من الأثوابْ، تارةً يتردد في مرط[2] الظرف فالهلالُ دملوجٌ[3] والنجومُ سخابٌ[4]، وتارةً يكتفي بحلّة الشمس عن حلية النفس وكثرة الأصحابْ، ولسان الحال يصيح بفصيح الإشارة إلى ربّ الأربابْ، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[5].

فصل

فالأرض مهادٌ موضوعٌ وخيمةُ السماء لا بأطنابْ، والنهارُ للمعاش والليل للفراش إذْ لا بُدَّ من مناخ الركاب، فإذا لاحَ ضوءُ الفجر تَشَعْشَعَ البياضُ الطارىء في مُحْلَوْلَكِ الخضابْ، ونادى تَغَيُّرُ الأحوال يُنَبِّهُ على وحدانية الكريمِ الوَهّابْ، أيّها المُغْتَرُّ فانصتْ لهذا الأمرِ العجاب ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ

---

(١) الآية الكريمة رقم ١١ ك سورة فاطر رقم ٣٥.

(٢) المِرْط: كلُّ ثوبٍ غير مخيط.

(٣) دُملوجٌ: ودُمْلُج المِعْضَدُ من الحُليِّ.

(٤) السِّخاب: قلادةٌ تُتَّخَذُ من الزهور ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء.

(٥) الآية الكريمة رقم ٥ ك سورة يونس رقم ١٠، وتمام الآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1].

فصل

فإذا اجدبتِ الأرضُ وخشعت وخضعت باكتئاب، ونودي: أيوب باريها قد كان لسفر العافية إياب[2] ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[3] فنهضت على قدم الفرح[4] للفرج تخرج للمرح الثياب من العياب[5]، ورنت قينات الهوى رنات الرباب، وغنت الوُرق على ورق الشجر وأعالي ربى الرباب، فانظر إلى زرابي[6] الزرع ونمارقه[7] على جوانب الغدران من كل جناب، وتلمح جود الجود.

كيف عم خيره فعم الثرى والهضاب ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾[8].

فصل

وأما هذه المبتدآت فتدلّ العقلاء على ما آب، تا لله ما هذه البيوت للثبوت لا بد من تقويض الخيم لسفر التراب، وكأنكم بكم وقد انقض العقاب راتع الطير عقاب، ولقي المفرط في أمره أمراً مُراً فلما مر به العذاب ذاب، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

(١) الآية الكريمة رقم ١٩٠من سورة آل عمران رقم ٣.
(٢) في الأصل المخطوط: إيات، تصحيف.
(٣) الآية الكريمة رقم ٤٢ك سورة ص رقم ٣٨.
(٤) في الأصل: الفرج.
(٥) العياب: العيبة وعاء من أدم، يكون فيها المتاع، والجمعُ عياب وعيب.
(٦) زرابي: البسط أو الطنافس، الواحد: زرْبية.
(٧) نمارق: الوسائد.
(٨) بعض الآية الكريمة رقم ٩٩ سورة الأنعام رقم ٦.

جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[(١)].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يجيب سائله فلا يخيب، ويثيب معامله حين ينيب، ويغيث من لا يعبث في الدعاء ولا يغيب، ويطيب وقت ذاكريه وبذكره يطيب، أبرزَ عرائس الموجودات من حرّ الوجود فعجَّ بكلٍّ عجيب، وأخرج من خزائن الجود كل طريف غريب، فتلمح حبب الأفنان عن بديع الألوان كيف جيب، والحظ اللينوفر كيف يحكى الحي والنرجس يحكي الرقيب، فمن انتصب للفكرة فأصاب العبرة فهو المصيب، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[(٢)].

فصل

يسمع حنين النيب إذا ترنّمت حداتها بالنسيب، ويبصر دبيب الماء في العود اليابس والرطيب، ويعلم ما يحوي من الذر الكثيب وقد رمى به من الوجد فهو كثيب، قسم الرزق ولا ينسى الحوت في اليم ولا العُفر في الشناخيب، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٣)].

---

(١) الآية الكريمة رقم ٨٨ك سورة النمل رقم ٢٧.
(٢) الآية الكريمة رقم ٢٠ك سورة الشورى رقم ٤٢.
(٣) الآية رقم ١٠ك سورة الشورى رقم ٤٢.

فصل

أحسن تصيير التصوير في مبادىء التركيب، ومقل مُقل القلوب في قليب القليب، وألقى حب معرفته في قلب اللبيب، وساق ساقيه الأباح (كذا) نحوها بالترغيب والترهيب، وعرّفها عيب الدنيا فنبت عن المرعى الجديب، وأقامها على الاستقامة بالتثقيف والتأديب، فهي تفلق فلق الصرمة إذا أحست بذيب، وشدد عليها البلاء فصابرت والحبيب حبيب، فلما ضاق بها قفص الأسقام استغاثت بالطبيب، فأخرجها عن مضيق الطريق إلى ذلك الوادي الرحيب، فخلِّ الهوى لمن قد هوى في بوادي التعذيب، وقم في الليل الهادي واحذر من الأعادي وقد حللت بالوادي الخصيب، ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1].

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي ألّف بالقدرة بين تراب جامد وماء ذائب، فأخرج منه آدمياً وكم أعطاه من المناقب، وعدل خلقه فلم يفضل جانب على جانب، ونور بصره ليرى الحاظر وبصيرته ليرى الغائب، فإن زلّ فالإنابة تمحو مسطور المعائب، ورسائل الطلب الأزلي شادية كل ليلة هل من سائل؟ هل من تائب؟، فليثبت في صف الجهاد فإنه محارب، وينزل إلى سماء الدنيا وما تنقل واستوى على العرش كما أنزل في الكتاب المنزل وليس بجالسٍ ولا راكب، تعالى عن قول المعطّل فالمعطّل مُبطل كاذب، وتقدس عن اعتقاد المشبه فالمشبه جاهل غائب، أنشأ مهاد الأرض من جسم متراكب، وحفّها بالبحار باطنها للدود وظاهرها للمراكب، وأبدع السماء تختال بجنود

(١) الآية رقم ٤١ك سورة ق رقم ٥٠.

النجوم كالمواكب، وزيّنها بالشهب الدراري والعواقب، وصانها عن استراق العدوّ فإن رام بعض المنافذ، كواه شهاب الكواكب، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ﴾[1]

الخطبة الرابعة[2]

الحمد لله منشيء الكون ومبدي عجابه، وجاعل الآدمي خالص لبابه، شرفه إذ عرفه معاني خطابه، وأخرج زبد زهده بمخض وعظ كتابه، جعل الدنيا سوقاً في سبيل محبته وذهابه، فهو يزود لسفره من أثواب ثوابه، فليحذر من العيب أن يدخل في عيابه، ولينظر لشيبه في إبان شبابه، وليتأهب لرحيله فقد علق الشَّبا به، (٨٢) وليشتغل بالقرآن عن مزهره وربابه، وبالحلال عن الحرام فقد رأى من شاء كما شاءه لصوابه، وقلّب قلب المخذول فلم يفق إلا عند انقلابه وثوابه، فظل وقد أقام النوى به، فانقلب وقد خسر جزيل ثوابه، ووقع في عقاب عقابه، حكم بالاسعاد والشقاء ولم يحابه وأي ورع بقى وقع السهم من صبابه، كل النفوس عطشى إن لم تنل من شرابه، وكل البرق خلب إن لم يكن من سحابه، وكل السير باطل إن لا يك في ركابه، لا كانت الدنيا لولا السعي في طلابه، أي لمن ذلّ لمن غيره أولى به، وتلمح عجائب صُنعه فهل ترى من مشابه، أما ساق المزن على جنوب الجنوب فمشى به، وهيدب السحاب يمسّ الأرض في انسحابه، فإذا بهر صوتُ الرعد وشهر سيف البرق رمى جميع أسلابه، فلما انتهى رمية وانتهى فخض أوطابه، تبدل الروض بسجع حمامه عن حنين نابه، وطرب كل غصن فصافح الأرض بأهدابه، ماس في

(١) الأيتان ٧و٨ ك سورة الصافات رقم ٣٧ وأولها: ﴿لاَّ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾.

(٢) هذه الخطبة الأصل أنها تنتهي بالهاء ولكن المؤلف اعتبر الحرف القبل الأخير وهذا الأسلوب سيتكرر في عدة مواضع.

ثياب الصبا ميس الصبى في شبابه، وصوت النبات يصيح بفصيح لسان الشكر لو أنك تدري من عنى به: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[1].

الخطبة الخامسة

الحمد لله الذي لم يزل إلهاً موجوداً وخالقاً معبوداً وربّا، أحسن الفطر لما فطر وزيّن الصور وربى، تساوت الكائنات في علمه قولاً وفعلاً ونهياً وأمراً وبعداً وقرباً، ودخلت الموجودات تحت حكمه فوقاً وتحتا ويميناً وشمالاً ووراء وأماماً وشرقاً وغربا، يخرج خراج الأبدان إلى جهبذة ويحيى، ويذل كل جبار لعظمة عزّه ويسبى، وتطير القلوب من فرق قسر قهره خوفاً ورعباً، وتذوب أجساد عارفيه نهيه حذرا وحبّا، ألقى في قرار أسرار الأبرار من محبته يرى العذاب عذباً، عمّ جوده فنال المضطر فلان ما كان صعباً، وأغاث الدنف وقد تقسّمه الدنف نهباً، ألم تر كيف أجدبت الغبراء وقد آلمها الشقاء ضرباً، فثارت سحائب اللطف في معادن العطف وأشهر البرق من قراب الضباب عضبا، وزمجرت أسود الرعود وأشهرت سيوف البروق وأجرت هنالك حربا، وعيون الغمام تبكي فتحكي قيسا وبشراً وعروة وغيلان لمّا صب الدموع صبا، حتى ارتوت النصاب[2] وسالت الشعاب وتفرقت شِعباً شِعبا، فباتت تسقي بكأس الريّ كل جليس من القضبان غرباً، فلمّا أصبحت من الخضرة ثوباً ثوباً، فأضحى يميس بعد خشوعه فرحاً وعجباً، وأقبل ريم الفلا

---

(١) الآية رقم ١٤١من سورة الأنعام رقم ٦، وتتمتها: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

(٢) النصاب: نصاب كل شيء أصله.

يكرع من فضول المياه سرباً سربا، فيا عجباً لمنكر البعث وهو يرى البذر في باطن الأرض قد مات عطشا وجدبا، فما كان إلا أن نفخ في صور الرعد فصار اليبيس رطبا، وتهيّل[1] الثرى للزرع والبذر فرفع بعد طول البلاء جنباً، ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾[2].

الخطبة السادسة

الحمد لله فالق الحب والنوى والحبوب، وخالق الصبا والجنوب، المنزه عن الآفات والعيوب، المطلع على خفيات الغيوب، كل غالبٍ في أسر قهره مغلوب، وكل مطلوب فمن كف جوده مطلوب، يغسل بذنوب العفو نجس الذنوب، ويقلّب إلى ما شاء عما شاء القلوب، تسبحه الشمس والقمر في التدوار والدواب وكل شيء أدركه طلوعها والغروب. أحيا بعد البلايا في التراب جسمّ أيوب، وردّ بعد البعد يوسف على الحزين يعقوب، لا يخفى عليه غَمُّ الغمّ وكرّ الكروب، ولا يغرب عنه ما يعنّ للسرّ وينوب، يبصر دبيب الدم في العروق إذا فأعن (كذا) المطعوم والمشروب، ويسمع أخفى أصوات الأوراق إذا طفقن يصطفقن من الهبوب، أرسل الرياح تحمل السحاب الغائث إلى أن يؤوب، ثم تستقبله فيمتطيها امتطاء الراكب للمركوب، فإذا زجر الرعد زجرة الليث الغلوب، أقبل البرق يضحك إلى وجه الرعد بعد القطوب، فهذا يسل سيفه وهذا يظهر بصوته خزفه المرهوب، إلى أن يروى الثرى مّما قد جرى بتلك الحروب، وانفجرت عيون المزن فسالت كسيل دمع

---

(١) تَهَيَّلَ: تَصَبَّبَ.

(٢) الآيات الكريمات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، سورة عبس رقم ٨٠.

الحزون المسلوب، فلمّـا نشـأت الأوراق تشـكر شـكر المربـوب، بـرزت الثمـارُ مـن الأكمام تقول بلسان الاعلام ما يقدر شيء من الأصنام علـى إنشـاء أنبـوب. ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[1].

حرف التاء

وفيه أربع خطب

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي ألف تأليف الأواصر بين عناصر المتباينات، ووطأ بكف القـدرة على مطايا الحكمة مركب المركبـات، وأجـرى أقـلام الفكـر تسـتمد مـن دواة العـبر بأعجب الأدوات، ونبه النفوس الراقدة بالزواجر من أثقل الرقدات، حرس فسـطاط الأرض على متن الماء عن الميد بأطناب الراسـيات الراسـخات الشـامخات العاليـات، وروّح كربها بنسيم الشمال والنكباء بعد كرّ النكـات، وراوى[2] عـين جدبهـا بحلـوم القطر فحدقت أحداقها بالنبات، وأصبح الربيع يربّى في ربعه أطفال البنين من الزرع والنبات ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[3].

---

(١) الآية الكريمة رقم ٧٣من سورة الحج رقم ٢٢.

(٢) هكذا في الأصل ولعلها: وروّى.

(٣) بعض الآية الكريمة رقم ٥٧ك سورة الأعراف رقم ٧. والآية بتمامها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْـنَ يَـدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِـهِ مِـن كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ كَذَلِـكَ نُخْـرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فصل

أما في حياة الحادث دليل يكفي ذا البحث على البعث بعد الممات، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾[1].

فصل

قلَّب قلوب التائبين بالتخويف وكانت أجاجاً فاربأت على عذوبة الفرات، وعقدت نيّة الصوم عن الهوى فارتفع نبأ العزم الذي هوى بالشهوات، وتبردت بماء الرجاء في هجير الحذر من الزلات، ألهم أكف يقين المتقين إخراج الغمر من لهوات الفوات، وسقاهم درياقَ الزهد في الغاني فلم يؤذهم لسكنى الحمى لذع الحميّات، وأعرض عن الأغمار فضلت أقمار الأعمار أُفلاً في فلات الغفلات، فلما ضج العليل وقت الرحيل فاه فم الاستدلال بالأنظار فردّ لحظور الوفاء ومدّوا أكف الطمع في أرباح الصالحين فلم ينالوا غير الحسرات، وصاح هاتف البين بين البين يخبر بتفاوت الفرحات والترحات ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾[2].

الخطبة الثانية[3]

الحمد لله الذي شوق القلوب إلى فضله فرغبت، وحذر النفوس من عدله فرهبت، وقصر القياصرة وكسر الأكاسرة، بعظيم وكبتت، ورد العقول حائرة عن

(١) بعض الآية الكريمة رقم ١٧م سورة الحديد رقم ٥٧، وتمامها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٢١ك سورة الجاثية رقم ٤٥، وتمامها: ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

(٣) في الأصل المخطوط: الثالثة، وهي من سهو الناسخ.

كنه قدره فكتبت، تسبِّحُهُ الشمس طلعت أو غرُبَتْ، والنجوم أظهرت أو احتجبت، والعيدان لانت أو صلبت، والأشجار عطشت أو شربت، والديار عمرت أو خربت، فاتت الأشياء إليه شاءت أو أبت، وأمَّلت البصائر فضله فأمالها وطالما أنالها ما طلبت، واعترفت العصاة أذنبت عن طاعته أنها أذنبت، وأزعجها ذكر الجزاء إذا وضعت موازين القسط ونصبت، وزادها خوفاً وولها، لما رأت عذاب من أعرض ولها، فشاهدت ما عليها ولها، فأكسبها وأذهلها وهالها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1].

فصل

أنشأ الأرض ببدائعها تنطق بحكمة صانعها قد اطربت، وثبتها بالجبال وقد كانت تموج موج الزلال فانتصبت، فإذا عطشت بعد ريّها ويبست وأجدبت شكت بلسان حالها فبكت عليها السحائب وانتحبت ورنت وندبت، فأصبحت تبسم بعد البكاء بأنوار قد أدهشت وأعجبت، وكلما زمجرت الرعود كالأسود إذا غضبت ضحكت إليها البروق كأنها قد لعبت فترى ريم النبات على أقدام الثبات وقد وثبت، فذلك دليل على الإعادة بعد الممات قد صحَّ وثبت، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[2].

الخطبة الثالثة

الحمد لله المتعالي عن درك الحس بعز أحديته، المتنزه عن هواجس النفس بقدس

(١) الآية رقم ٢٨٦م سورة البقرة رقم٢.
(٢) الآية الكريمة رقم ٥م سورة الحج رقم ٢٢.

صمديته، المعروف بالفردانية فليس كمثله شـيء في عظمتـه، كيـف يدخـل كيـف في معرفته وممّ ممّا ليس في صفتـه، دلـت أربـاب الألبـاب فـانحطت عـن الرُّبـا تعظيمـاً لربوبيته، وبرزت نجائبها تقطع بر البر وخبأت الباري (كذا) برى من بربريته، أغرقت مراكب الفكر في بحر القدس فغرقت في تيّار عزته، وحارت فكرة عارفيه فيه فجـالت في حير صنعته، وولجت بساتين القـدرة تجنـى بـأكف العـزة مـن ثمـار حكمتـه، فيبعث هتاف ورق النعم على ورق الفضل تصدح وتمدح ببليغ لغته، فاستكرها ماء نسمعها من لذيذ إشارته فمنحها أن أربحها ضعف الضعف في معاملتـه، لا يجد المستغيث شفيعاً غير فضله لإقالة عثرته، وربما كان انكساره مفتاحاً لنجـح حاجته، ألم تر أن البر إذا فقد القطـر يحكـي المضطـر فـإذا أحـس بهـا الجـدب وانجذب برحله في رحلته، وأصبح الربيع يهتز فرحاً بالقدرة في حضرة حضرته، ويميس بعد عُري الفقر في الفقر بحلة حليته، وانفتحـت عيـون النـور مـن نـوم الزمان بعد طول رقدته، والكـل يهتـف ويصيـح ليصحـو قلـب العـاقل مـن سكرته ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾[1].

فصل

هذا يسير من جوده وهذا بعض آيته: ﴿وَمِـنْ ايَاتِـهِ أَن يُرْسِـلَ الرِّيَـاحَ مُبَشِّـرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾[2].

(١) الآية الكريمة رقم ١٣م سورة الرعد رقم ١٣.

(٢) الآية الكريمة رقم ٤٦ك سورة الروم رقم ٣٠.

الخطبة الرابعة

الحمد لله الذي تنزهت عن المثلية ذاته، وتقدست عن الكيفية صفاته، وتعدلت عن شبه الشكوك بيناته، ووضحت للعيون والعقول آياته، تقدم الأشياء كلها والأشياء كلها مصنوعاته، وقال للشيء: كن فكان وهانت مشكلاته، عالم بعلم واحد وإن تعددت معلوماته، قادر بقدرة واحدة وإن اختلفت مقدوراته، أبصر فلم يخف عليه آحاد أعداد الرمل وذراته، وشاهد الجنين في ظلمة المشيمة فلم تغب عنه حالاته، استوى على العرش وينزل إلى سماء الدنيا وتعالى عن الحدث إذ جميع الأشياء محدثات، نَصفُهُ بما في سوره وآياته وكلماته، وبما يصحّ عن نبيه من الحديث ونقلته رواته، لا كما يخطر بالبال ففي باطن الحسد وساوسه وعلاّته، ليس كمثله شيء فأين المشبه وشبهاته، وهو السميع البصير فأين المُعَطِّلُ وضلالاته، مرئي في الآخرة بالعيون الناظرة من غير كيف والموعد قيامته وجنّاته، ألا مشمر لجناته ببذل حياته زاهداً في الهوى فإن الهوى مقام البطّال لا ميدان الابطال فأين البطل وحمياته، ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[1].

حرف الجيم

وفيه أربع خطب

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنشأ الآدمي من ماء مهين رجراج، ونقله بالحكمة من النطفة لا

---

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٢٠م سورة الحديد رقم ٥٧ وتمامها: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

عن عاج، وصوره بكف القـدرة في ظلمـة الاحشـاء وحنـادس الليـل الـداج، وأقـام حاجزاً بين الضدين من عقله وطبعه لبيان ميزان المزاج، وساق إليه رزقـه مـن فنـون الأشياء في ظلم الأحشاء، وما فتح فاه ولا فاه باحتياج، فليتفكـر مـن بلـغ الكـبر أن يحرك الهوى أوهاج، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[1].

فصل

رفع السماء مزينة بنجوم زاهرات ذات أبراج، ونـوّر مصابيحهـا والشـمس فيهـا سراج، وحرسها بالشهب لكن تخرقها نفس محتاج، ووضع الأرض محفوظة بـالأطواد من الانزعاج، فإذا اقشعرت للجدب وثار منها عجاج، سحت السـماء بما فيهـا مـن الماء الثجاج، فاجتذبته عروق الأشجار، يتخللها تخلل الدماء في الأوداج، فللمياه من الغيوم نزول وفي العروق معراج، وأصبحت الأرض متجلجلة مترجرجة مهتزة رانية زلفة فالماشي فوقها كحامل زجاج، وقامت الوُرق على الوَرق تصدح وتمدح وتـؤدي شكر قدر الخراج، واجتمع في الغصن الواحد المر والمز، والحامض والحلـو، والمسـهل والممسك، على مثال الزمرد والزبرجد والبلّور والياقوت والسبح والعقيـق والعـاج. كل ذلك دليل على الوحدانية والفردانية والإلهية تجمع شعب اليقـين وتقطـع شـعب اللجاج ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[2].

الخطبة الثانية

الحمد لله رافع السماء ذات البروج، محفظة من الفطور والفروج، مزينة بالنجوم

---

(١) الآية الكريمة ٢م سورة الإنسان ر قم ٧٦ وتمامها: ﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.
(٢) الآية الكريمة رقم ٥٣ك سورة الفرقان رقم ٢٥ وتمامها: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾.

والقمر كالعقد والدملوج، أحسن من ثوب بالذهب منسوج، ولبعض الكواكب سير في الخدمة ودروج، كأن سلطان الحكمة يبعث فيها الفيوج، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[1].

فصل

ووضع الأرض على الماء فصارت تموج، فثبتها بالراسيات فهي قائمة بالتخير قيام العلوج، وقسم مهادها بين قيعان ومروج، ودبر مصالحها في زمان الحر ووقت الثلوج، وسقاها كأس القطر فصار الماء على تيّار سطح الأرض يموج، وخرج النبت كثوبٍ ممزوج، بفنون الألوان منسوج، وفاحت ريح العبير كريح المسك والعنبر واليلنجوج، ثم قضى على ساكنها بعد الظهور عليها بالنزول في ظلمات ثراها والولوج، وسوّى في الموت بين العرب والعجم والنبط والخوز والترك والروم والزنوج، فما نجا من وراء هذا السد أحد من ياجوج، ولا أفلت منه على عظيم عظمة عوج، لقد طحنت رحاه كل العبيد طحن العتيد اللجوج، ثم ينفخ في الصور نفخة تزيد على الريح الحجوج ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[2].

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي نصب لقلوب العارفين إلى معرفته ومحبته معراجاً، وأزعجها بسوط الشوق إلى رؤيته إزعاجاً، وآنس الغافلين بالدنيا إعراضاً واستدراجاً، وأمرض

(١) الآية الكريمة رقم ٦ك سورة ق رقم ٥٠.
(٢) الآية الكريمة رقم ٤٢ك سورة ق رقم ٥٠.

قلوبهم بالقساوة فباتت لا تقبل علاجاً. سوّى بقدرته سبع سماوات وبنى فيها أبراجاً، وأقامها مقام العبد ترجع إليه وتولج إيلاجاً (كذا). وزيّنها بالكواكب بين مقيم ومدلج إدلاجا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[1].

فصل

وبسط الأرض فقسمها مهاداً ومروجاً فجاجاً، وأودعها أفانين المعادن ليقضي للساكن فيها منها وطراً وحاجاً ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾[2].

فصل

فإذا يبست أصول الزروع تعرّضت للخشوع تشكو احتياجا، انبعث للبر لطف البر فانبعث سحابا عجاجاً، فاغترف من بركة البركات ماء عذبا لا ملحاً ولا أجاجاً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾[3].

فصل

فيا ساكن المنزل تأهّب للانتقال فحادي الرحيل قد شد الأحمال، وخفّف الأثقال وأثار لشدة السير غباراً وعجاجاً، وهل أبقى سلب الغابرين عذراً للعابرين واحتجاجا. أما سلك الموت إلى الترب بمن أخذ منها منهاجاً، وليجمعنهم من مزّقهم

---

(١) الآية الكريمة رقم ١٦ك سورة نوح رقم ٧١.

(٢) الآية الكريمة رقم ١١ك سورة الشورى رقم ٤٢ وتتمتها: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٣) الآية الكريمة رقم ١٤ك سورة النبأ رقم ٧٨.

ولينشرنهم من أدرجهم في ظلام القبور يوم النشور إدراجا.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾[1].

الخطبة الرابعة

الحمد لله الذي إليه المرجع واللجا، وفي يده شفاء الشجا، وبمشيئته البرء والوجا، وبإرادته يرجو من لاذ به من كرّ الكروب فرجا، وكلما جاء إلى ضيق حرج جعل له بلطفه منه مخرجا، فهو المؤمل وهو المرتجى، ولكم فتح بابا مرتجا، يبصر دبيب الذر والليل قد سجا، لا يخفى عليه المستخفي إذا دجّ في الدجى، خاطبَ أهل اللب وأرباب الحجى، وأصبح قضاؤه في وجوه المرادات معتلجا، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[2].

حرف الحاء

وفيه خطبة واحدة

الحمد لله مدبر الأفلاك ومثير الرياح، ومبدع الأملاك ومبديء الأرواح، ومقدر العناء ومدبر الصلاح ﴿ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[3].

---

(١) الآيتان رقم ١٧ و١٨ك سورة نوح رقم ٧١.

(٢) الآية الكريمة رقم ١٢٥ك سورة الأنعام رقم ٦ وتتمتها: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

(٣) الآيتان الكريمتان ٩٥ و٩٦ك سورة الأنعام رقم ٦.

فصل

إله كثير الفضل كثير الإسجاح، ملك كريم وافر الجود متظاهر السماح، يسبحه جمود الجبال وجري الماء القراح، ويحمده على الإنعام الأنعام إذا ارتعت في المراح، وإن من شيء إلا يسبحه في الغدو والرواح، يسمع هفيف الرياح في الأرض القراح، ويبصر دبيب الذر في جنح الليل قبل وقت الصباح، ويعلم خائنة الطرف الخفي وأن الطماح، سبق قضاؤه فأسلم وحشي وهند وكفر مسيلمة وسجاح، رضي عن أقوام فسعدوا من غير فعل الصلاح، وغضب على آخرين فغدوا مقتولين بلا سلاح، نجّى من نجى من التلف من الغرقى وأغرق السبّاح، وكم مسلم راكب سفينة وأهلك الملاح، استغث به وأسأل فضله فهو يحب الإلحاح، فانظر إلى الأرض كيف يقوى جدبها فتلبس الأمساح فيغيثها بالغيث فإذا الوكف تسفاح، فالديمة ساكنة والرعد له صياح، والأمر موجود والبرق يشهر السلاح، وتغلغل الماء قلب الغدق فإذا الغدق رواح. وتبسّم الروض تبسّم الأحباب عند بدو المزاح، وكادت الأغصان تطيرُ فرحاً كالطير وأين الجناح، والربيع قد تعطر فاحت منه أرواح، والأرض قد أخرجت كنزها وجادت بخيرها كما آثر أبوالدحداح، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1].

حرف الدال

وفيه ثماني خطب

الخطبة الأولى

الحمد لله الغني الواحد، القوي الماجد العلي عن الولد والوالد، الأبدي وحده

(١) الآية الكريمة رقم ٣٥م سورة النور رقم ٢٤.

وهو الخالد، خضع لجلاله الساجد، وخشع لكماله المعاند، أحصى عدد الرمل الفدافد، والنمل في الفيافي بين الجلامد، ولم يغرب عن سمعه أنين المدنف الجاهد، خلق المشتهى لنفس المجاهد، وبثّ الشهوات ليظهر إعراض الزاهد، وباهى بالسليم من فخ الصايد، وقسم الأرزاق فواعجبا من عقل الحاسد، كم قائم كادح لقاعد، ومتيقظ ساهر لهاجد، ومتردد فيما فعل لملقى على الوسائد، رفع السماء من دخان متصاعد، وكفُّ القدرة دون العماد عامد، فارجع البصر وتلمَّح وشاهد، وانظر إلى النجوم كأنها رجوم تطارد، فإذا برزت الشمس استترت لهيبة القاصد ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾[1].

فصل

أنشأ الأرض بحكمته من زبد من زند جامد، وحرسها براسيات راسخات الأصول والقواعد، ونسج وشيها بأفنان الألوان والخضر نمارق ووسائد، وجمع بين الأضداد في الغصن الواحد، أما في ذلك دليل على الطريق برد الشارد، أثُمَّ ضدُّ وندٌّ كالأخرس الجاحد، لقد نبه العقول فالويل كله للراقد، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلـهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الماجد الصمد، المنزه عن الوالد والولد، الباقي على الأبد، له خضع من ركع وسجد، وبهداه اهتدى من طلب ونال من وجد، إذا شاء جمع بين الشاة والأسد، وإذا أراد فرق بين الوالد والولد، أبدأ وأنشأ وخلق الأنعم

---

(١) الآيتان الكريمتان ٦و ٧ك سورة الصافات رقم ٣٧.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٥١ك سورة النحل رقم ١٦ وتتمتها: ﴿فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

وأكرم ورزق ولطف وعطف ورفق حتى بمن شرد، مَنَّ[1] فأجزل ومنح ووالى فأفضل ومدح وقوّم وعدل فصلح من كان فسد، أحكم تركيب الذوات، وأحسن ترتيب المخلوقات، وفعله لا يقع بالآلات ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾[2]، ملك الطول والعرض وقضى بالحساب والعرض وطلب على غناه القرض، وسطح الأرض من زبد، له الصفات العليا والأسماء، وفي قبضته العبيد والإماء، ويسبحه الهواء والماء جرى أو ركد، سبق قضاؤه في الأزل، فولى من شاء وعزل، وصعد بقضائه من أراد ونزل، حكم مقبول فلا مرد، ابتلى آدم بلقمة، وأنفذ فيه قدره وحكمه، وأظهر للملائكة حلمه وعلمه، وحطّه إلى الدنيا ليلبس ثوب من عبد، قضى على داود بنظره، فنغصت عليه عمره، وأنفذ فيه حكمه والقدرة، وما ردَّ الزرد، تعالى عن المثل وجل، وقضى فهدى وأضل، واستوى على العرش وما حلّ وحلّ العقد، لا مثل له ولا شبيه، ولا يجوز عليه التشبيه، فمن أراد استخراج التنزيه من القرآن نظر فيه ويكفيه ومن جد واجتهد وجَدَّ.

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي عرف أنه أعذب مستفاد، وإحسانه أطيب مستزاد، ومحبته أكرم وداد، وخدمته أعظم عتاد، أحكم المصنوع وأتقن وشاد، وأحسن الموضوع وزين وأجاد، ينظر اختلاج الجنين بين القلب والفؤاد، وينظر ما يكون منه ولا يحاكم إلى الميلاد، وَكَّل به في ظلمة الأحشاء ملكاً فكتب رزقه وأجله وشقاوته وسعادته، وغذّاه ورباه وقلبه وثنّاه وما يدري الآباء ولا الأجداد، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[3].

---

(١) بعدها سقط بمقدار كلمة.

(٢) الآية الكريمة رقم ٢م سورة الرعد رقم ١٣ ونصها: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

(٣) الآية رقم ٨م سورة الرعد رقم١٣.

فصل

فإذا بلغ التكليف حذره الحشر والمعاد وأمره لطول الطريق أن يـزداد مـن الـزاد، وبين له عيب الهوى وقص عليه حال من عتا وعاد ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَـادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[(١)].

فصل

في جناب لطفه مراتع العباد، وعلى عتبة بابه مناخ العباد، وسـاعات محبتـه عنـده أعياد، والناس في واد والمحبون في واد، ويجمع بقدرته بين متباينات الأضـداد فتخـرج النار من رطب الأشجار بأعجب زناد، وينبـع المـاء مـن الأحجـار الأطـواد، كذلـك أخرج ناقةً من صم الصلاد، فقام «صالح» بالدعوة في دعوة الأشهاد فـزفَّ عـروس القدرة على عميان الافتقاد، فخرجت من بيت القدرة على قـدم الإيجـاد، ثـم تبعهـا فصيل يرغو وما واقعها فَحَلٌ بواد، سبحانك يا إلهـي مـن الأمهـات نعجـب أم مـن الأولاد، فوثب ليوث الماكر وقامت أسود الفساد، فعاد عليهم شؤم الخلاف كما عـاد على عاد، وليس هذا آخر أمرهم النار تحت الرماد، فلو قد قدم القوم لقد لقوا بئـس المهاد ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[(٢)].

---

(١) الآيات الكريمات رقم ٦،٧،٨ك من سورة الفجر رقم ٨٩.

(٢) الآية الكريمة رقم ٤٩ك سورة إبراهيم رقم ١٤.

الخطبة الرابعة

الحمد لله القديم[1] الموجود، العميم الجود، العظيم المعبود، الكريم المقصود، يبصر حركة الدود، في باطن العود، من الغصن الأملود، ويرى جري الماء كيف يتغلغل في أفنان العنقود، ويحصي حباته في الليالي السود، صفاته كذاته ولا وجه للجحود، كفُّ الكيف مشلولة وباب التشبيه مسدود، فاحذر شبه المشبه فادل القوم اليهود، أيُقاس من ليس كمثله شيء بشيء هذا عين الكفر والبرود، أما أخذ العهد على الذر يوم السبت فاذكروا تلك المواثيق والعهود، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[2].

فصل (٩٥)

واحذروا الخلاف فإن عقاب العقاب صيود، ولا تأنسوا بالأمهال فربما مشى العذاب على رودكم أخذت على غرتها في غرتها أسود، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾[3].

(١) ليس من أسماء ا لله القديم ولم يرد في ذلك نص من كتاب أو سنة فإن أريد بالقديم الأول الذي ليس قبله شيء فإن ا لله متصف بذلك كما قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في صحيحه (٨/ ٧٨) «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء..» فإن إثبات هذا الوصف مستقر بالفطرة والموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل. وإن أريد بالقديم العتيق الذي يقابله الحديث والجديد فإن ا لله منزه عن ذلك ومن أراد المزيد في بيان هذه المسئلة فليرجع إلى شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١١٣-١١٤).

(٢) الآية الكريمة رقم ١م سورة المائدة رقم ٥.

(٣) الآية الكريمة رقم ٩ك سورة إبراهيم رقم ١٤.

فصل

نفذ قضاؤه فصهيب مقبول وأبوطالب مردود، وعكرمة يتلقى بالقبول، وأبوجهل مطرود، لا تدبير في تدبيره إلا ذل الجدود، ولا حيلة في تقديره ببذل المجهود، ولكن أحاط قسمت وجدود، فمن الناس شقي ومن الناس مسعود ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1].

فصل

سبحانه يجمع الخلائق بنفخة الصور من قعر اللحود، ويجمعهم في صعيد ثم صعود وصعود، وبينهم في عرصة القيامة أوفى زرود، ويحاسبهم بنفسه عند الحضور والورود، ويستشهد الأعضاء ويستنطق الجلود، وينصب ميزان العدل ويردّ بهرج النقود، ولا ينفع العاصي قوله: لما أعود ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[2].

الخطبة الخامسة

الحمد لله المبدي المعيد، المنشيء المبيد، المتقن المجيد، المحسن المفيد، ذلَّ لهيبته صلاد الجلاميد، ووقف عند باب عزته على الوصيد، دلّ بما قل وجل فارتفع حكم التقليد، أنزل بركات القطر فعمَّ الثرى وعمّ البيد ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[3].

---

(١) الآية الكريمة رقم ٢٧ك سورة فاطر رقم ٣٥.

(٢) الآية الكريمة رقم ١٥٣ك سورة هود رقم ١١.

(٣) بعض الأيتين الكريمتين ٩ و١٠ك سورة ق رقم ٥٠.

فصل

تسبحه الحمائم على الأفنان بفنون التغريد، ويذكره الماء على رقته والحديد، ويستأنس به في خلواته العارف الوحيد، وكل يوم من أيام محبيه قوم قلوب التائبين بتثقيف التهديد، وخوفهم بزجره فعاد بالخوف الشريد في عباده كثرة المحب بيت القصيد، يمنع ويعطي ويحرم ويفيد، إن ربك فعال لما يريد، حف القلم بتقديره لا ينقص ولا يزيد، فمنهم شقي وسعيد، فالسعداء يشتاقون الوعد ويحذرون الوعيد، والبعداء ينادون من مكان بعيد، ويجمع الخلائق كلهم في صعيد، يقسمهم بين مريد ومريد، وسادات وعبيد، فمنهم من وقته مأتم ومنهم من وقته عيد، دبر المجاهدين في حربهم وأغاث الملهوفين في كربهم وجعل الإنابة في أنفسهم وعصمهم ﴿هَـذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[1].

فصل

يجمع الخلائق كلهم في صعيد، ويقسمهم بين شقي وسعيد، وسادات وعبيد، ويسمع القريب كما يسمع البعيد، فترى المسمى ويميد، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَـكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

---

(١) الآيات الكرياتة رقم ١٩،٢٠،٢١م سورة الحج رقم ٢٢.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٢م سورة الحج رقم ٢٢.

الخطبة السادسة

الحمد لله الذي قضاياه لا تمنع بحالٍ ولا تصد، ومراءه لا يدفع بشيء ولا يرد، ونعمه متصلة لا انقطاع لها ولا حد، ومعونته أحلى ما ينال وأشهى ما يستمد، لا يندم من سعى في مراضيه واجتهد وجد، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، رفع السماء فعلاّها ودحى الأرض ومد، وبنى الأجساد فسوى بنيانها وشد، وأحاط علماً بما كان وما لم يكن وأحصى العد، تاهت العقول في معرفته فإذا بلغت باب كيفيته انسد، وحار الفكر في عظمته فنودي بلسان القهر الزم الجد، يوصف بالعلم ولا قلب والوجه ولا خد، من وصفه بذاته ناداه من ورائه الخصم الألد، كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد.

الخطبة السابعة

الحمد لله الذي أضل وهدى، وقدر السلامة والردى، وابتدأ الأشياء وعلم الهدى، بين يديه الفضل وعنه الجدا، تعالى أن يتخذ ولدا، وتقدس أن يشارك أحدا، وتنزه أن يستعين مددا، كون المخلوقات بلا عون بل منفردا، الحي الباقي وحده أبدا، أحاط بالأشياء علماً وأحصاها عددا، ليس كمثله شيء إذ ليس جسما ولا جسدا، سبق اختياره لآدم فأصبحت الأملاك له سجدا، وأسكنه جنته،يأكل منها رغدا، فواعجبا لمودع ما راح حتى غدا، فاحذر الخلاف يشمت العدا، وخف من الجزاء فالويل إن بدا، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(١).

(١) الآية الكريمة رقم ٣٦ك سورة القيامة رقم ٥٧.

الخطبة الثامنة

الحمد لله مثيب القاصد في قصده، ومجيب الحامد المادح برفده، ومرغب الهاجد في ورده، ومقرّب الشارد الراشد بعد بعده، عقد عقد الهدى بربكم مع عهده، فطوبى له إن قضى العقل بشده، والويل إن حرَّك أنامل الخيانة بحل عقده، مد الأرض بصنعته والعجب في مده، واستنهض وكيل القطر بواسطة برقه ورعده، فإذا ارتوت حزونها نسخ حزنها بضده، وأخذ الغصن اليابس يميس في حلة سعده، وقام الحمام يصدح ويمدح ويقضي ورد الشكر على ورده، فطرب المشوق لتذكاره قديم عهده، واعجباً لملفتٍ عنه وكل خير فمن عنده، ووا أسفا لعاصيه لقد أخطأ طريق رشده، وواخيبة من يرجو سواه لقد ضل عن طريق سعده ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[1].

فصل

كل موجود فبحكمه ومن جنده، وكل غنيٍّ فمن جوده ومن عنده، يذكره الصامت والناطق كل يعرب عن وجده ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾[2].

حرف الراء

ومنه أربع خطب

الأولى

الحمد لله مبدع الأعراض والجواهر، ومبدىء الأضداد والنظائر، هو الأول

(١) الآية الكريمة رقم ٢ك سورة فاطر رقم ٣٥.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ١٣م سورة الرعد رقم ١٣ وتتمتها: ﴿وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

والآخر والباطن والظاهر، شهد بوحدانيته كل باد وحاضر، وابصر سبيل معرفته ناظر كل ناظر، جل عن مثلٍ ومظاهر، وتعالى عن زر ومؤازر، وتنزه عن الحاجة والمحتاج قاصر، أدرك علمه بواطن الضمائر، وستر حلمه عظائم الكبائر، يسير السرائر، ويعلم الغائب والحاظر، ومعروفه دائم متواتر، ومن آياته قطر المطر المتقاطر، كلمّا نعم الربا عمر العامر، فالرعد يرتجز كالفنيق الهادر، والبرق يضطرب كالسيف الباتر، والرياض تضحك من الدمع المتحادر، والوُرق على الوَرق يتجاوب بلسان الشاكر كلها تعرب عن قدرة القادر، وتدل على البعث كل حاظر، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾[1].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق ورزق وبشر البشر، وأبدى وأبدع وفطر الفطر، وقدر فصرف كما شاء القدر، وستر على من أسرف وأساء وغفر، وكلف عبده ونهى وأمر، وعمّ بلاده بالبر وغمر، وأخرج من يابس الأعواد وطيب الثمر، وأنبع الماء من جلمود الحجر، واطلع النار عن أخضر الشجر، يعلم متساقط الورق ومتناسل الدبر، ويعلم ما على صحراء ظاهر الأرض وما تحويه بواطن الحفر، فإذا نفخ في الصور وأقام بالنفخة تلك الصور ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2].

فصل

غني لا يحتاج إذ لو احتاج لافتقر، عظيم لا يحيط به علم إذ لو أحيط به لانحصر،

---

(١) الآيتان الكريمتان رقم ٩ و١٠ك سورة الطارق رقم ٨٦.

(٢) الآية الكريمة رقم ٥٠ك سورة القمر ٥٤.

حليم فإن غضب لم يبق ولم يذر، فإن أمهل استدرج ومكر[١]، متكلم بكلام قديم[٢] لو سمعه جبل لانفطر، من قال بخلقه من جميع خلقه كفر، كلّم موسى كفاحا ليلة الإسراء بالنظر، هذا مذهب أهل النقل ومعتمدهم النص والخبر، من القرآن والسنة والصحيح من الأثر، جلّت ذاته عن مماثلة الأشخاص والصور، وعز قعر بحر علمه أن يحلقه سانح الفكر، وامتنع إشراق شمس قدرته أن يدركه نظر بصر، طهّر أسرار عارفيه ونقى أرض رياض الفطر، وزرع بذر محبته في قلوب أحبته وبذر، وساق ساقية العلم إلى السر في مشرعة السمع والبصر، فنهار القوم كله عيد والليل كله سحر، عرفوا عيب الدنيا فتدرعوا زهد عمر، وحفظوا أقوالهم وأفعالهم خوفاً من صاحب الخبر، إن نووا علم وأن تكلموا سمع وإن تحركوا نظر، وكل الأفعال بقضائه لأمريه في هذا الخبر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

فصل

أنشأ السحاب، وعلم قطر المطر، فإذا تروّت به الأرض اهتزت وأظهرت يانع الخضر، وأبرزت فنوناً من الثمر، وقام خطيب الأطيار على أعالي الأشجار تسبح شكر خلع الربيع ولبس حلل البطر، فغنت أطياره وتمايلت أشجاره واطّردت أنهاره فظن أن لا غير، فتنفس برد دار الشتاء بالبرد وجاء بالخبر، فانتقضت الأغصان في حماها من حُمّاها وانتفضت وتضاءلت رباها بعد أن ربت كالكبير الخطر إلى حال الصغر، ونادت بلسان حالها فأصغى اللبيب إلى مقالها واعتبر، هكذا تقلب الأحوال

(١) صفة المكر لا يوصف بها ا لله عز وجل إلا مضافة فيقال -ماكرٌ بالكافرين- ولا يقال ا لله الماكر لأنها بدون الإضافة صفة ذميمة يتنزه عنها المخلوق فضلاً عن الخالق.

(٢) أي أزلي.

(٣) الآية الكريمة رقم ٤٩ك سورة القمر رقم ٥٤.

في ديار الكدر، وهذا آخر الأمور لو أن العاقل افتكر ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(١).

الخطبة الثالثة

الحمد لله الرحيم الغفور، الكريم الستور، الحكيم في تدبير الأمور، لا تغيّره الدهور، بمرور الأيام والأسابيع والسنين والشهور، لا تحجبه الستور في ظلام الديجور، بقدرته فلك الإيجاد يجري ويدور، بينا بدور النطف طالعه في ليل الحياة تدور، خسف بالموت تلك الوجوه البدور، وفنيت في ظلم القبور، فإذا انقضى أمد البقاء في بلى البلاء أعيدت الصور [بـ] نفخة الصور، وبان للعاقل أن ما كان فيه زائل وزور، وتزلزلت الأرض وسارت الجبال وبعثرت القبور، ومدّ جسر العدل ولا بدّ من العبور، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(٢).

فصل

فاحذروا فخ العاجل فالعدو خلف السور، وانظروا سجن الهوى فكم فيه مأسور، أين الأبصار الصحاح أصبحت بالهوى كلها عور ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٣).

---

(١) الآيات الكريمات رقم ٥،٦،٧ سورة القيامة رقم ٧٥.
(٢) الآية الكريمة رقم ٣٣ك سورة لقمان رقم ٣١.
(٣) الآية الكريمة رقم ٤٦ م سورة الحج رقم ٢٢.

فصل

يردى العامل برداء عمله في الخير والشرور، فالمخلص بالقلوب محبوب وعلى الألسن مذكور، والمرائي ممقوت ولو تلا الزبور، لا ينسى لتارك الهوى في الهواجر ومهاجر الفرش في الدياجر الأجور، ولا يغيب عنه خلاصة إخلاص الأسرار في الإسرار والظهور، ولا يستتر عنه من زرّ زرّ الرياء على زور زور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾[1].

الخطبة الرابعة

الحمد لله الذي لا يماثل ولا يُجارى، ولا يطاول ولا يبارى، ولا يناضل ولا يمارى، ولا يرد قضاؤه ولا يدارى، بث في خلقه يميناً ويسارا، وأرسل فيوج إنعامه سراً وجهاراً، نصب على وحدانيته من الدليل منارا وأوقد على كل علم من البيان نارا، وعمر قلوبا كانت بالجهل قفارا، واشر عرف معرفته فأصبح العارف معطارا، مد الأرض فجعلها مهادا، فكلما عطشت أرسل السحائب عليها مدرارا، فسقى زرعاً وروّى أشجارا، وأخرج نورا ونسرينا وبهارا، واطلع طلعا مختلفاً وثمارا، ومن آياته أنه ابتعث ليلاً فنسخ به نهارا، ونور النجوم تهدي إلى السبل سفارا، فإذا طلعت الشمس أصبحت تتوارى، وولى سلطان الضوء هزيمة وادبارا، فإذا غابت ذكاء لاثت عن وجهها خمارا، وأضاءت بالأنوار الفضية في الأثواب العباسية افتخارا، فإذا أحست بالفجر استعجلت إلى الطلوع ابتدارا، فاضاءت جبلاً وواديا وديارا، أما هذه التي طلعت على عاد وثمود ودارا، فليشكر اللبيب لعله يسكن في حمى القرب دارا،

---

(١) الآية الكريمة رقم ٤٠م سورة النور رقم ٥٤.

أهذا فعل الأصنام؟ قل للذين امسوا كفّارا ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1].

الخطبة الخامسة

الحمد لله الذي صوّر الأجسام وصيرها، وغوّر النجوم وسيرها، وفهّم الحلوم وحيرها، وقوم الفهوم وغيّرها، رقم نقوش النفوس في صحائف الوجود وسطّرها، وشق سمعها بأنامل القدرة وبصّرها، وقدر ما يكون من خيرها وخبرها، وقضى حالها في دنياها وكتب آثارها، ونقض بالموت مدينة كونها بعدما عمرها، لا يغرب عن علمه دبيب النملة قد أبصرها، ويرى ورْدها ويعلم صدرها، ولا يخفى عن سمعه كلام المدنف إذا ذكرها، بل يسمعها إن أخفاها أو سترها، أجدبت الأرض فاشتكت عجرها وبجرها فصاح الرعد بالغيث صيحة ثمود بمن عقرها، وألاحَ البرق أسيافه وقد شهرها، فأقبلت السحب تملأ نهرها لما نهرها، وأترعت حياضها وفيّضت غدرها، وتلاقتا فاعتنقتا بعد البين لمدة قدرها، وانتدب معمار الوصال بعد قبح الخراب فعمرها، فأخرج القطر من حبات الأرض فخبأها ومضمرها، وأتى بلآلىء في عرس الشتاء فنثرها فملأت ربع ربيعها وخضرت خضرها، وصنعت عجائب الولائم ومدت سفرها، ونمقت وشيها وروقت منظرها، وطلّقت حجّاجها وتزوجت عمرها، واطلعت في بساتينها شمس نورها وقمرها، ودب الماء في عروق النخلة يقصد ثمرها ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾[2].

الخطبة السادسة

الحمد لله الذي لا تصبر الألباب عن ذكره، ولا تقدر الأرباب على شكره،

(١) الآية الكريمة رقم ١٤ك سورة نوح رقم ٧١.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٦٠ك سورة النمل رقم ٢٧.

يرفع المتقي بفضله ولا أمن من مكره، يعجز الفصيح عن حمده في نظمه ونثره، ويخرس البليغ في مدحه ولا يصدر عن صدره، ليستسلم القوي لقدره بين ناب الحاكم وظفره، ويسلم المجادل على صغر بالحكم لأمره، كل الخلائق محصور في أسره بأمره، يجرون في قضائه خلف سر سره، ويمشون في مشيئته على حلو الأمر ومرّه، وقلب قلب العارف من نار الشوق على جمره، وكتب بقلم الوجد على وجهه يخبر بانقلاب دهره، فلا يزال قلقاً لوصله حذراً من هجره، ولا راحة له إلا أن يكون في قبره، بإرادته يجري الفلك في جوه والفلك في بحره ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾(١).

فصل

يكور الليل والنهار بواسطة شمسه وبدره، فالنجوم على ضفة المجرة على قدر نظمه ونثره، فإذا انتهى مدى الليل صوت قبل الرحيل بفجره ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾(٢).

الخطبة السابعة

الحمد لله الذي لا يطرق ساحة صمديته فكره (١٠٣) ولا ينشب بأذيال أحديته خطره، ولا يغيب عن خلقه ذرة، ولا يعزب عن بصره حركة ولا نظره، أخذ ميثاق بني آدم وأنطقهم بالقدرة، فكلّ مولود يولد على الفطرة، ثم اختلفت أشجارهم فثمرةٌ حلوة وثمرة مرة، فمنهم من غلبه الهوى ومنهم من قتلته السكرة، ومنهم من صابر الدنيا وعدّها جيش العسرة، فواعجبا لمن ضيع في الهوى عمره، كلما حج في

---

(١) الآية الكريمة رقم ٣٣ك سورة الشورى رقم ٤٢.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٥٤ك سورة الأعراف رقم ٧.

طلب الدنيا حجة أردفها عمره، تغره فيغتر بزخرفها وما كـل سـوداء تمـره، وتعجبه لقلة فهمه تلك الحمره وهي جمره، فكيف حاله إذا قل الزاد وطالت السـفره ورحـل على غير مهاد في تلك الحفرة، أما رأى ملوكاً قد أنزلـوا عـن الأسـرة واجتذبتـه يـد الاستدراج على حال الغرة، ففتح كفه فلا خزفـة ولا درة، وبقـي في اللحـد وحيـداً وأين تلك الكسرة، وندم إذ آثر الفاني على الباقي وفاتت العثره، ولكم وعـظ بغـيره فلم يتعظ وصار عبره، ونودي عليه لّمـا قـام علـى أقـدام الحسـره، ﴿وَلَقَـدْ جِئْتُمُونَـا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ﴾[١] أوقـد مـن الشـوق قلـوب أحبابـه بـأذكى جمـره، وسقاهم فعربدوا على الأبدان فأصبحت الألوان مصفرة، صفاته كذاته لا يدركها ذو حس ولقد غلط النّظام في الطفره، يجمع الخلائق في صعيد واحد فكم من عاص قـد سددت منه الغره، وكم ترى من ملوك قد أنزلوا عن الأسره، يقدم قـارون ومـا مـن الأموال ذرة، ويقوم فرعون من قبره ويطلب العود والكـره، فيقـال لهـم هيهـات مـا للرجوع كره ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢].

الخطبة الثامنة

الحمد لله ذي القوة القاهرة، والقدرة الظاهرة، والنعم الباهرة، والحكم المتظاهرة ذلت لعظمته الجبابرة، وانكسرت لهيبته أعناق الأكاسرة، وأنزل سمّر الأرض (١٠٤) بالأطواد وقد كانت مائرة، ورفع السماء مـن فوقهـا دائـرة، وأنـزل في ليّهـا قطـرات الغيث المتقاطرة، فـأخرج بهـا قوتـاً للسـفر والحـاضرة، كلمـا نفـخ في صـور الرعـد اجتمعت ذرات الزرع المتناثرة، فذلـك دليـل الصيحـة الحاشـرة ﴿فَإِنَّمَـا هِـيَ زَجْـرَةٌ

(١) الآية الكريمة رقم ٩٤ك سورة الأنعام رقم ٦.
(٢) مر تخريجها.

وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[1].

فصل

ثم ينقلبون صفقة رابحة وخاسره، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[2] فيا له من يوم فيه الكواكب متناثرة، ورزان العقول من الأهوال طائره، وصحائف الأعمال إلى أهلها متطايره، والنار بالشرار على الأشرار زافره، وترى الجبال تحسبها جامده وهي مع الأثقال سائره، لا نبلغ من وصف ذلك ولو أطلنا آخره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾[3].

الخطبة التاسعة

الحمد لله مربي أفراخ العبر في أعشاش التدبر وأوكار الفكر، ومدّخر نطف الجواهر في بطون المعادن دوجار الأحجار، وسائق نعم القطر يجاري الأمر كالقطار، وفاتق أكمام الزرع عن مشرق النور بحسن البهاء على اختلاف الليل والنهار، أنشأ الأشياء فلم يحتج إلى أعوان وأنصار، وقلّب الآدمي من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار، فتق الأسماع بأنامل القدرة وشقّ الأبصار، وعلم ما عن وما عرض في خفايا الأسرار، وأبصر مَشْيَ سود النمل في سواد الليل على القار، وتكلم بكلام لو أنزل على الجبال الصم الأحجار، انصدعت لهيبته وصارت كالغبار، الباقي إذا لم يبق

(١) الآيتان الكريمتان رقم ١٣ و١٤ك سورة النازعات رقم ٧٩.

(٢) الآيات الكريمات ٢٢-٢٥ك سورة القيامة رقم ٧٥.

(٣) الآية الكريمة رقم ١٠٣ك سورة هود رقم ١١.

ديار، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1].

فصل

أنعم فنعمه تزيد على آمال الطالب المحتار، وسحاب جوده على خلقه سكوب مدرار، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

فصل

شوق إلى الجنة فاشتغل العارفون بصاحب الدار، وأوقد نار الحبّ في قلوبهم فصاح الشوق لا قرار، وخرجوا عن رقية قسر الهوى فالقوم أحرار، وصوّت بهم لسان العبرة حذار من شرّ الدنيا حذار، وكانوا قد دخلوا الجنّة ولم يبق ضرر ولا اضرار ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾[3].

فصل

وخذل أقواماً فوسمهم بالأشرار، فكلما بنوا أساس الأعمال ينحطون ويحملون على الإزر الأوزار، فإذا وردوا يوم القيامة دار الجزاء زاد عذابهم فيها على المقدار، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾[4].

(١) الآية الكريمة رقم ١٦ك سورة غافر رقم ٤٠.
(٢) الآية الكريمة رقم ٣٤ك سورة إبراهيم رقم ١٤.
(٣) الآية الكريمة رقم ٤٣ ك سورة الأعراف رقم ٧.
(٤) الآية الكريمة رقم ٥٠ك سورة إبراهيم رقم ١٤.

فصل

فكم بين الفريقين فاختر لنفسك إن كنت تختار، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[1].

الخطبة العاشرة

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يقطع مزيد من شكره، أنشأ الإنسان فصوّره وصيّره، ووهب له العقل والتمييز وبصّره، ولطف به في التكليف إذ نهاهُ وأمره، فعصاه وهو الذي على المعاصي أقدره، وبارزه بالذنوب فأخفاه عن العيون وستره، وأنفق إنعامه في خلافه الذي منعه وحظره ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[2].

فصل

إذا اعتذر إليه من ذنب فغفره، كريم يرزق من أطاعه وكفره، عادل في عبده ما عاقبه حتى أنذره، يسمع صريف القلم إذا خط الخطّ وسطّره، ويبصر دبيب الماء في أغصان الشجرة، حتى تثمر ويرى الثمره، عجيج الأصوات لا يمنع سمعه وكثيف الحوائل لا يحجب بصره، ينزل إلى سماء الدنيا وقد بثّ الظلام عسكره، فيتجاوز عن الذنوب العظام المنكره، وإنما يقول انتقل من ما عقل إلا الأجسام المصورة سبحانه يعز ذليلاً ويذل عزيزاً فالألباب على باب الأقدار محيرة، كم من فقير أغناه وكم من غني أفقره، لا يسأل عما يفعل تحكماً ومقدره، يسلخ النهار من الليل ملك عظيم ما أقدره، ويعيد الظلام بعد الضياء فأين العقول المدبرة. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ

(١) الآية الكريمة رقم ٢٧ك سورة ص رقم ٣٨.

(٢) الآية الكريمة رقم ١٢ك سورة عبس رقم ٨٠.

النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1] ينصب ميزان العدل فإذا الأعمال محضره، فاحذر من المعاصي فربما أهلكت وعاجلت مفكره، وخف فضول الدنيا فكم قتل أكثره ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2].

الخطبة الحادية عشر

الحمد لله الذي أحكم التصوير، وأحسن التصيير، وقدّر المقادير، ودبّر القليل والكثير، تعالى عن وزير، وتقدس عن ظهير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

فصل

قرن بين الشمس والقمر في قرن التسخير، وساق الليل والنهار بزمام التكوير، وأجرى الأفلاك الدائرة بتدبيره المدير، حفّ السماء بجنود النجوم بين صغير وكبير، فإذا طلع القمر انقمعت لهيبة الوزير، وإذا برز حاجب الشمس إمَّحت من خوف الأمير، وكف الأرض بكف الجبال عن الميد كالمسامير، فإذا اشتكت الجدب بكت عين القطر كالدمع الغزير، فما أقلعت عن البكاء حتى التطمت جنبات الغدير، فافترش الربيع وكسى فقر القفر بُرد الحرير، فأصبحت الأرض مخضرة وأشارت الحال إلى البعث وإلى من يشير، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[4].

---

(١) الآية الكريمة رقم ١٢ك سورة الإسراء رقم ١٧.

(٢) الآيتان الكريمتان رقم ٧ و٨ سورة الزلزلة رقم ٩٩.

(٣) الآية الكريمة رقم ١١ك سورة الشورى رقم ٤٢.

(٤) الآية الكريمة رقم ٤٤ك سورة ق رقم ٥٠.

حرف الزاي
وفيه خطبتان

الأولى

الحمد لله الذي يحرم ويجيز، ويكرم ويجيز، ويفصل بين المختلط القدر ويميز، دل على صدق رسوله بكلام يكفي في التعجيز، كان إذا تلاه يسمع لصدره أزيز. ياله من كلام يشتمل على معنى بسيط ولفظ وجيز، شغلت عجائبه المتفكرين عن الإسجاع والأراجيز، قلوبهم وجيب ولعيونهم نزيز، وصفّى أسرارهم فهل رأيت الذهب الإبريز، واضطرب [ت] اسماعهم فبطل الدف والشيز. «ياء المريسيُّ» فيه بكفره ورجع «الجيّاني» بخسره ويجيز. أين بلال في أمره ﴿ مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

الخطبة الثانية

الحمد لله القديم في سلطانه العظيم في عزه، الحافظ قلوب أحبابه عن الزيغ بحصن حرزه، المدافع عن أوليائه غرور الشيطان وشر رجزه، الرافع درج المخلصين في خدمته ومعزه، العالم بحاجة المضطر وسامع رجزه، المطلع على خائنة الطرف وخافتة الصدر وأزّه، الكريم في عطائه الحكيم في بزّه، ساقي الأرض تراب المزن لتصلح للمتنزه، ومرسل السحاب إلى المكان القفر للبيانة كزّه، فإذا أقبل القطر إليه عاد اللطف عليه بتوطيد مشمئزه، وأظهرت القدرة عجائب الصنعة في صيغة الثمر من حلوه ومزه، ما يسقط من ورقه الاّ يعلمها من غض عند هزه، ينزل إلى السماء

(١) الآية الكريمة رقم ٦٧ك سورة الزمر رقم ٣٩.

الدنيا فأي عامل معه لم يجـزه، ليستعرض الحوائـج إلى حـين تأثـير الفجـر في الليـل وحزه، بصير يرى ظهور الماء من باطن الثرى عند فرِّه، سميع لا يوصف بالأُذن جل الملك المتنزه، تعالى الخالق أن يشابه المخلوق في ضعفه وعجزه. هذا معتقد أهل الحـق فمن لم يعتقده في دينه لم يجزه، وعليه اعتماد أهل النقل فمن خالفه فعزِّه.

حرف السين

خطبتان

الأولى

الحمد لله الذي عرّى دليل وجوده عن البـاس الالتبـاس، وعـزّ بإظهـار عزته عن مماثلة الأنـواع والأجنـاس، وتعـالى عـن إثبـات صفـة مـن صفاتـه بـالرأي والقياس، وآيس الحسّ من دركه فرجع حسـيراً منكـس الـراس، حـيّ بـلا استمداد الهواء بواسطة الأنفاس، لا يطرقه نوم ولا يجوز عليه نعاس، ولا تعـزب عـن سمعـه حركات القلم يقطع بيداء القرطاس، ولا يخفـى علـى بصـره تصـاعد المـاء في ثمـار الأغـراس، استوى علـى العـرش ولا كاسـتواء الجـلاّس، ونـزل إلى سمـاء الدنيـا ومعتقدوا غير هذا ضُلاَّل أنجاس، صفه بالنقل الصحيـح واعـبر ولا بـاس، وعليـك باعتقاد السلف فقول الخُلف من الخَلف وسـواس، يقـوم محمّـد ﷺ فهـو في الثقلـين بمنزلة العين من الراس، أيام دولته كأيام التشريق ولياليه ليلات الأعـراس، تعجبـت قريش من كونه حلو الفضل بعد فقر الابلاس، فرماهم القرآن بسـهم الجـدل لاعـن أقواس، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾[1].

(١) الآية الكريمة رقم ٢ك سورة يونس رقم ١٠.

الخطبة الثانية

الحمد لله رافع الشك ودافع اللبس، فإنعامه حلو مقتبس، أعطى بالكرم وبالحكمة حبس، وانفذ قضاءه فلم ينفع من احترس، بلَّغ «موسى» الأمل إذ خرج بعد ﴿لَّعَلِّي اتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾[1] وسار به وبقومه في البحر على أرض يبس، وتسلط أسد الانتقام على فرعون ففرسه والفرس، عرج بمحمد ﷺ إلى قوب قوسين ورده قبل الغلس، موصوف بالكلام تعالى عن العي والخرس، كلامه صفة ذاته لا شك في ذلك ولا ملتبس، كفر المعتزلي شيك فلا انتغس وكذب المعطّل تعس وانتكس، خذ حذرك من عقائد القوم فمجالسه أهل الكفر دنس ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]

حرف الشين

خطبة واحدة

الحمد لله رفع السماء مزينة النقش، ورتبها مجتمعة كالثريا ومفرقه كبنات نعش، فتأمل حسن الصنعة ورونق النقش. وفرش الأرض كتمهيد الفرش، وتصرف في سلطانه بقوة القدرة والبطش، وأفقر وأغنى وأسعد وأشقى ولم يخش، وحمل الآدمي في البر والبحر ثم على النعش، بينا هو يحتال في دفع الأمراض جاء أمر زاد على الحرش، كان في عافية ونعمة فأقبل السقم فَخَشْ، فأخذ يضج من البلاء وما يثبت الآدمي على الخدش، فاستلبه من أهله وأفقره بعد الفرش، وألقى السكون على

---

(١) بعض الآية الكريمة رقم ١٠ك سورة طه رقم ٢٠ وتتمتها: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٢٨م سورة التوبة رقم ٩ وتتمتها: ﴿فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.

الحركة ضد قراءة «ورْش»[1]، ثم رمسه في اللحد وأصعب ما يلقى بعد النبش، ثم أقامه حياً قد قتله الخطأ بلا أرش[2]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[3].

حرف الطاء

الحمد لله الذي رفع بقدرته السقف ومدّ البساط، وحمى حمى الحرمات فاحذر من الانبساط، وتلمّح عاقبة التفريط ونهاية الإفراط، كان «داود» يمشي سليماً على أقوم صراط، فعجب بسلامته فعثرت رجل النشاط، وزلّت قدم العصمة بغلطة كالاغلاط، فمرض للخطايا مرضاً لا يعرفه بقراط، ومدّ الخصمان منجنيق الجدل فوقع سور الاحتياط، وضرباه بسوط اللوم فلما أفاق اشتكى ألم السياط، تا لله لقد زرع حزيران الدعوى فأحرقته صواعق الأشباط، خصمان بغى بعضنا على بعض ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[4].

حرف العين

وفيه عدة خطب

الحمد لله الخالق الصانع، الرازق المانع، العائد النافع، الجائد الواسع، ليس له عن مراده دافع، ولا ينفع دون أمره شافع، كل عزيز عند قدره ذليل قانع، وكل

---

(١) ورش: من كبار القراء: اسمه عثمان بن سعيد بن عدي المصري أصله من القيروان غلب عليه لقب (ورش)، ولد سنة ١١٠هـ وتوفي بمصر سنة ١٩٧هـ، انظر ارشاد الأريب ٥/ ٣٣ والأعلام ٤/ ٣٦٦، وغاية النهاية ١/ ٥٠٢.

(٢) الأرش: الدية.

(٣) بعض الآية الكريمة رقم ٥٤ك سورة الأعراف رقم ٧.

(٤) بعض الآية الكريمة رقم ٢٢ك سورة ص ٣٨.

سلطان في لجام قهره ضئيل خاشع، وكل جبار لعظم هيبته ذليل ضائع، وكل مسئول في حكم أقضيته سئول تابع، الخير والشر بتقديره لا بتدبير الطوالـع، والنفـع والضـر بقضائه لا باقتضاء الطبائع، الجماد والحيوان له مطيع سامع، والرعية والسلطان كلهم ساجد راكع، عرَّف نفسه من طريق العقل فعرض البدائع، وكلّف خلقــه مـن سـبيل النقل ففرض الشرائع، ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ فالشرف للبائع، ودعاهم إلى دار السلام فما يقعد السامع، ينزل إلى سماء الدنيا إذا انطبقت أجفان الهاجع، فقــف على الأقدام واعتذر من الآثام وراجـع، فقـد مـدح العـابدين وعـاملهم فـأربحهم في البضائع ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[(١)].

فصل

فيالها موعظة قد أنصحت وصرحت ولكن أين السامع؟ يا هــذا تتـوب بلسـانك وتصرّ بقلبك وجنانك فليت شعري لمن تخادع، تا لله لقد بالغ الواعظ في عتبك، فهلاّ تتبعن مدحك بسهل واسمع مدح الحق بقلبك وتــب إلى ربـك وراجـع قبـل حلـول الوقائع والخسارة في البضائع، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[(٢)].

فصل

ومن آياته أنك ترى الأرض وهي بلاقع، نشكو إليه عطشها الأليم الفاجع، فيثير لها سحابا يبكي مصابها الواقع، كلما بكى ضحكت (١١١) بالنور السـاطع، والنـور اليافع، وأخرجت أزهارها لا تخشى المنـاهب ولا تحـذر المنـازع، مـن بـين أحمـر قـان

(١) الآية الكريمة رقم ١٦ك سورة السجدة رقم ٣٢ وتتمتها: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾.
(٢) الآيتان الكريمتان ٧و٨ك سورة الطور رقم ٥٢.

وأسود فاحم وأصفر فاقع، ودعــت علـى أوراقهـا وُرْقهـا فلمـا اجتمعـت سـجعت فأعجبت المقاطع، ورفل الربيع في أثوابــه بـين أترابـه فـأغفل اللاهـي في شـبابه عـن المصارع، فجاء كتاب الشتاء يؤذن بالرحيل والانقضاء ويخبر أن أيام النعماء خــوادع. وأقبل البريد يهيء للبرد ما يريد وقد سبقه العبيد الطلائع، فولّى الربيع علـى وجهـه وماله من معين ولا شافع، ونـادى عنـد ارتحالـه بفصيـح مقالـه فمـلأ القلـوب قبـل المسامع، هكذا تحول الحالات ويقع الشتات في الجـامع، ﴿إِنَّمَـا تُوعَـدُونَ لَصَـادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[1].

الخطبة الثانية

الحمد لله مدبر الأصل والفـرع ومقـدر الضـر والنفـع وطـابع النفـس والطبـع، وجامع السلامة والتلف في الوضع، وصفه بالبصر والسمع يتلقــى بـالبصر والسـمع من صحيح السمع على شرط الفرق بين الخالق والمخلوق دون الجمع، ليـس كمثلـه شيء على وجه القطع، رمى سهم قدره أهداف المخلوقات بالضرِّ والنفع، فذلّت لـه الأكوان بالكره والطوع، ولانت العتاة بزجرة الردع، فعــادت القسـاة كليِّـن الشـمع، كريم لا يوصف بالبخل ولا بمنع، ينزل القطر من ذات الرجـع سـبباً لخـروج الـزرع وطلوع الطلع، وريّ الضرع، ويعلم عدد قطراته وأجزاء البضع، ويسمع خفي صوته وقت الوقع، وهفيف الريح تلعب في الربع، وركز أخفاف المطيِّ في النقا والجـزع، لا يغرب عن علمه سر من وراء الظلع، ولا ذرة مسـتورة تحـت الأرضـين السـبع، ولا يخفى على بصره في الشؤون وســلوك الدمـع، خفـض العـاصين وخـصّ المخلصـين

---

(١) الآيتان الكريمتان ٥و٦ك سورة الذاريات رقم ٥١.

بالرفع، وألهمهم جهاد النفوس فأرواحهم في النزع، والقوم في جدّ يبدلون نهايات الوسع، وهم في الجملة لا يخرجون من دار الشرع، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[1].

الخطبة الثالثة

الحمد لله معطي من شاء ما شاء ويمنع، ويضل من يشاء كما يشاء ويقطع، وينفذ قضاءه كما يريد ويدفع، ويفني ويبقي ويضر وينفع، بيده ميزان العدل يخفض ويرفع، حكيم في كل ما يفعل ويصنع، أنطق الصامت وأخرس المصقع، ورفع الوضيع وحط الأرفع، فرّق المخالفين بالعذاب وقطع، وعاقب العاصين فآلم وأوجع، وأذل الجبار فأوهن وضعضع، أهلك عاداً وثموداً وقوم تبع، وترك ديارهم بعدهم وهي بلقع، وأبان العبر لمن عبر وأبدى المصرع، وسقى من سلف كؤوس التلف وجرع، وقضى بالممات وفي القيامة يجمع، ووعظ وزجر وحرّك المدمع، وألاح نور الدليل فشعشع، وأخرج رطب الثمر يابس الشجرة وأطلع، وفجّر الصخور بهيبته عن الماء العذب وأنبع، ووعد وأوعد فيا عجبا للعيون كيف تهجع، يبصر دبيب النمل على الرمل إذا مشى الهوينا وأسرع، ويشاهد جري اللبن في الثدي إلى فم الطفل المرضع، ويسمع وقع أخفاف المطيّ عند الحزن والأجرع، ولا يخفى عليه ترنم الحمام الحوّم والوقع، حين يبكي هديلها للفراق وتسجع، تكلم بكلام لو نزل على جبل لتصدع، فهو الذي يتلى وهو الذي يسمع ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[2].

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٨٧م سورة المائدة رقم ٥ وتتمتها: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.
(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٣٦م سورة النور رقم ٢٤، وتتمتها: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

فصل

خلق الخلق على فنون مختلفة ونوع فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على أربع، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1].

الخطبة الرابعة

الحمد لله الذي نصب منار الهدى، على أعلى بقاع، واطلع شمس البيان نيرة الشعاع، حمد خميس التقى بجند الطباع، وانصاع لطفه لمعامله فكال له باوفى صاع، رفع الأولياء على الأملاك ويد الاختيار صناع إنما تفضل بمخالفة هواه الشجاع، فلا تنظر إلى الصور ومعنى الآدمي لا يضاع، فسبحان من أطاره بجناح الإفضال إلى مقام الارتفاع، فسبق به إلى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع. عرّف الزاهد عيب الدنيا فلم يغتر بخداع. وحكم أن إقبالها عين الوداع، فقاطعها قبل أن تبدأ بالانقطاع، وصاح بالغافلين سماع سماع ﴿يقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾[2].

الخطبة الخامسة

الحمد لله الذي أعشب رياض معاملته للمرتعي، وظهرت فوائد مخاطبته لمن يعي، ونطقت أدلة وحدانيته وقيل للنفس اسمعي، وبهرت أنوار قدرته فيا أعين أهل معرفته لا تهجعي، من آثار سلطانه أن يقول للمياه انبعي، وللأرض المجدبة اطلعي، وللرياض المخضرة امرعي، وللأوهام السائرة نحوه ارجعي، ولصافات طوائر الأموال قعي، وللعقول المتفكرة فيه دعي، بيّن أئمة الحق من المدعي كما بأن يوم طوفان نوح

---

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٩٨ك سورة الأنعام رقم ٦ وتتمتها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

(٢) الآية الكريمة رقم ٣٩ك سورة غافر رقم ٤٠.

الولد من المدعي ﴿وَقِيلَ يأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيسَمَاءُ أَقْلِعِي﴾[1].

الخطبة السادسة

الحمد لله الذي أبدى الألوان وأبدعها، وصبغ الألوان وصنعها، ونفَّس الكروب ووسعها، وحرس القلوب وطالعها، وحصد أشواك الشرك من أسرار المحقين وقلعها، ثم بذر فيها بذر اليقين وزرعها، وجعل الإخلاص شعارها وقد مدَّ رعها فرضيت بأقدراه أعطاها أو منعها، فضمها إلى كنف لطفه واصطنعها، فصارت سيرة حبه أوقعها، لا يغرب عن سمعه نغمة الحمام في أغاريد سجعها، ويعلم مضمون مراده إذا شفعها، وأنفاس المدنف قد أخفاها وقطَّعها، فستبكي نفسه من ألم أوجعها، ويرى في سواد الليل موضعها، وما تجره إلى بيت ادخاره إن وسعها، ونفادها في طريقها وقد رأت ما أفزعها ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[2].

الخطبة السابعة

الحمد لله الحكيم في عطائه ومنعه، المتحكم في وصله وقطعه، كم رفع قدراً بعد وضعه، وكم وضع أميراً بعد رفعه، جلّ فلا شبه، وجلا ونبه العاقل فانتبه بردعه، يبصر ما في البر من الذر وفي ظلام العرق جرى الدر قبل الوصول للمستقر في ضرعه.

يسمع خفيّ الكلام وخفوف النعام وبكاء الحمام في مقاطع سجعه، عزّ فعلاً

(١) الآية الكريمة رقم ٤٤ك سورة هود رقم ١١.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٦ك سورة هود رقم ١١ وتتمتها: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وتوّحد فلا شبه له ولا شريك في صنعه يبعث الجنوب والصبا وينشر الهبوب سجدا فإذا انتشر الغمام وأسال على الربا دمعه، فبلغ الزرع بالآمال، وأعطاها رأس ماله ثم مالت به الشمال يمدّ قلوع قلعه، فترى صنوف ثياب النبات تشير إلى رب السماوات لترى أثر صنعه، فسبحان من حرك البذر ليظهر، وشعشع نور النور فازهر ﴿انْظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[1].

حرف الفاء
وفيه خطبتان

الأولى

الحمد لله الذي جاد ولطف، وعاد وعطف، وتنزه عن الدنس والنطف، واختار من شاء قبل انشاء النطف، يسجد الهواء ركد أو عصف. والماء جرى أو وقف، والسحاب حمدَ كفَّه والشمس انكشف ضوءها وانكسف، والقمر اضاء نوره أو خسف، إله تصرف في ملكه ولم يخف، فدفع قوماً إلى شرف الشرف، ووضع آخرين وإن علوا على الشرف، بمشيئته اهتدى المستقيم وضلّ من صدف، وبقدرته أخرج المؤمن من الكافر كالدرّ من الصدف، علمه عظيم وفضله عميم فغَفْراً لمقترف ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[2].

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٩٩ك سورة الأنعام رقم ٦.
(٢) الآية الكريمة رقم ٣٨م سورة الأنفال رقم ٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله الـذي تسبحه الريـاح العواصـف والـبروق الخواطـف، والأصـوات الهواتف، والنجائب الظرائف، والتوالد والطوارف، أنعم فنعمه حديثـات وسـوالف، وأكرم فمنحه مقيمات عواكـف، وشـوق فـلان لتشـويقه المخـالف، وحـذر فسـالت الأدمع الذوارف، ووفق فقويت العزائم الضعائف، ولطف فقضاؤه جزيـل مـترادف، وتعرّف إلى عباده فعزّ بمعرفته العارف، وعلم حال السـر الخفـي والقلـب الواجـف، ورأى جريان الدم في باطن العرق المتكاثف، لا مثل لذاته ولا كيف لصفاته على هذا العلم القلم واقف، وفرقة أهل السنة ناجية وتهلك باقي الطوائف، فعليـك باتبـاعهم فا لله ا لله لا تخالف.

حرف القاف
وفيه ثلاث خطب

الأولى

الحمد لله الذي خلّـص خـلاص المخلصـين في طاعتـه مـن سـجن الريـاء ونفـق النفاق. ووفّق عزائم المفيق بتلفيق التوفيق، فصدّ عن صـدره أفـاويق الوفـاق، وروّح أرواح المرتاحين إلى رحمته برحراح راحة الوصال من كرِّ كـرْب الفـراق، وحمـل حمـل النجاء على نجائب ما يتحملون فتبدلت من الحزن إلى السهل في الانطـلاق، وخـوّف من الخسران في سوق الأرباح زمر العشاق عنـد النفـاق، والتفـاف السـاق بالسـاق، وجعل صداق الجنة صدق المتصدق إن بقاء بفائه في الإنفاق، ووسم ما عندكم بميسم ينفد وحلّى حالي حال الجزاء وما عند ا لله باق. أنعم على العارفين بمحبته فسقى من كاس الدهاق، فإذا أجن عليهم الليل رأيتهم من قيام وقعود واطراق، وسجود وحـر

والخوف قد أذابهم ومد بالأطواق، وعين العين تجري وبدا دمع العين مهراق، زهدوا في الدنيا فالقوا حبلها على غاربها وعزموا على الطلاق، فإن أعاروها طرف الطبع نهض العزم للإطباق وثار ولي الاستدراك قائماً على ساق ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[1].

فصل

ثم لا يتجاسرون على خطبة الجنة وكم بعثوا من صداق، فلو رأيتهم إلى العيش الهنيِّ على عيسٍ تنفخ في السُّرى كالبراق، حتى إذا أتوا أبواب الجنة فتحه بأيدي الرفق قبل وصول الرفاق، فانهزم ليل الهجر بزجر الآجر عند التلاق، وتخلصوا من يد الأيام تخلص القمر في ليل التمام من كف المحاق، وطربت بلابل الوصال على أفنان ورد الورد بأصوات الأمن من بلابل الفراق، وشملت شملته شمال التلاقي تتلاقى بينها نمارق الأوراق، طال ما اشتاقوا إلى نجاز الوعد والوعد بالإشراق، من هم الآن قل وضاق العراق ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ الله وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[2].

الخطبة الثانية

الحمدلله الذي ذرأ وخلق، وبرأ ورزق، وحلى وزوّق، وملأ الأمل وانسحق. ببصر دبيب الماء في باطن الورق، ويرى نزه من داخل الجسم بالعرق، ولا يخفى عليه سود الذر في ظلام الغسق، وسواء لديه الأحمر القاني والأخضر الناصع والأصفر الفاقع والأسود الحالك والأبيض اليَقَقْ، بقدرته شق الأسماع ونور الحدق، وفهم

(١) الآية الكريمة رقم ٣٣ ك سورة ص ٣٨.

(٢) الآية الكريمة رقم ٢٠م سورة الرعد رقم ١٣.

الإنسان وألهم اللسان فنطق، وورد جام الفكر ماء معرفته فرجع بالشـرق، ومـا ولج مخاصمةً وموجُ الحسِّ يصيح الغرق ﴿مَا اتَّخَذَ الله مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِـنْ إِلَـهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[1].

الخطبة الثالثة

الحمدلله الواحد السابق، الماجد الخالق، الأحد الرازق، الواعد الصادق، لا يعوق عن مراده عـائق، ولا يخفـى عليـه مخلـص مـن منـافق، وسـواء في علمـه الحضيـض والشاهق، ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[2].

حرف الكاف

الحمدلله ملك الممالك وتنزه عن مشارك، واستعبد الإنس والجن والملائك، ينعـم ويعطي ويسعد ويشقي ويبارك، إن لطف نجـى مـن المهـالك، وإلافمـن يرجـو غـيره هالك، إن غضب فغضبه فاتك، وسيوف قدره قد عُرفت فواتك، كم من دماء بقهره سوافك، وكم من ضلال بأعراضه هوالك، وكم أغنى وكم أقنى من صعالك، إذا مرّ مر قضاءه أعرضت عليه برائك، ذلّت لهيبته الشم الصم البواذخ العاليات الراسـيات الراسخات فلحقت بالوكادك، وتضاءلت لعزته البذخ فنزلت تحت السنابك، كـم قتل عاصياً ورد من ناسك، فلا تعترض في قضاءه وابك على حـالك، أشـقيّ أو سعيد فلا يقال لم للمالك، إنعامه على السعداء متصل متـدارك، صفـى صفـاتهم حتى زادت على السبائك، فإذا وردوا القيامة سامحهم الممـاحك، وإذا نزلـوا دار

---

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٩١ك سورة المؤمنون رقم ٢٣.

(٢) الآية الكريمة رقم ٥ك سورة الصافات رقم ٣٧.

الثواب من كل باب على الملأ الملائك ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾[1].

حرف اللام

الحمدلله المنزه عن قضية الوهم وحكم الخيال، المتقدس عن رذيلة النقص بوصف الكمال، المتعالى بعزّ جلاله عن الأضداد والأنداد والمثال والأمثال، الموالي بجزيل أفضاله عن خلقه قبل السؤال، تحت قسر أسره مصارع الأبطال، وفي قبض قهره تصرف الهدى والضلال، في ضمن علمه عدّ الحبّ والنوى والقطر والذر والرمال، لم يخف عليه سربال من بال في سربال، أحاط سمعه بهفيف الريح من الشيح والضال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، تعالى في استوائه عن الجلوس وتقدس في نزوله عن الانتقال، جلّ عن عقائد المعطلة وأهل الاعتزال، المعطلة بلا عقول والمعتزلة ثقال، كيف يقال كيف والكيف في وصفه محال، مد الأرض وسمرها بمسامير الجبال، وسقاها بتسخير الجنوب وروّقها بلف الشمال، فإذا أجدبت نطق بشكواها لسان الحال، وتلفت ليبس زر البذر حاش القطر وسقى العيال، فانبعث من جراها قطع السحاب الثقال، فوقف الغيم يبكي على ضياع الأطفال، وزمجر الرعد زمجرة الأسد في أشد الصيال، وشهر البرق سيفه وقامت حرب بلا قتال، فأبلّت الأرض من مرضها بنفس البلل، وترامت إلى الأبلال، وعلا كعب النبت كما علا على الكعبة كعب بلال، ولم يقلع الغيث حتى روى وأعطى رأس مال،

(١) بعض الآية الكريمة رقم ١٣ والآية رقم ١٢ سورة الإنسان رقم ٧٦ وتتمتها: ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾.

فتضحضحت[١] الحزون[٢] واقترن الصيدان[٣] بالرئال[٤]، وارتوت المتون واختلطت الأوعال بالآجال[٥]، وقامت الوُرْق على الوَرَق شاكرة تصدح وتمدح على كل غصن ميّال، واجتمعت أضداد الطعوم (١١٩) في الغصن الواحد وشهدت بالمزيد والإفضال، ﴿فَذَلِكُمُ الله رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[٦].

فصل

تسبحه الورق إذا سجعت بفنون الألحان على أفنان الأشجار العوال، وحنّت حنين المشتاق إلى طيب المزار والأنهار إذا تعطفت الحيّات في الرمال، أو كالقنا يوم النزال في أيدي الأبطال، كلها تشهد بوحدانيته في كل حال، وتنطق بانفراده عن النظراء والأمثال، فالناطق فيها يخبر بالمقال، والصامت يشير بالحال، والمصور يحادث ترتيب الكلام، أنه الذي لم يزل ولا يزال. فيا عجباً للغافلين عن النظر والاستدلال، لقد حجبوا بحجاب الشقاء والإذلال، ﴿وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[٧].

---

(١) تضحضحت: الضحضاح: الماء القليل، وتضحضحت ابتلت بالماء.
(٢) الحزون: جمع حزن، والحزن ماغلظ من الأرض.
(٣) الصيدان: جمع صيدن وهي دويبة تجمع عيدان النبات. والصيدان: الحصى الصغار.
(٤) الرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام.
(٥) الآجال: جمع إجل، وهو التطبيع بين بقر الوحش والظباء.
(٦) الآية الكريمة رقم ٣٢ك سورة يونس رقم ١٠.
(٧) الآية الكريمة رقم ١١م سورة الرعد رقم ١٣.

الخطبة الثانية

الحمد لله المتنزه في ذاته عن مساوات المعلولات ومضاهات العلل، المتقدس في صفاته عن الشبه والند والضد والمثل والمثل، لا تجوز عليه الحركات[1] ولا تعتوره ولا يوصف في نظره بصفات الأحداث والنقل، يفعل ما يشاء، وقد جل عن عجز وكسل، ويحكم ما يريد ولا يقال للمالك لم فعل، عدل في خلقه فما مال ولا عدل، وأحاط كل شيء علماً، فما نسي ولا غفل، أظهر في تكوين الكائن أسرار ما حكم في الأزل، من الخلق والخلق والشقاء والإسعاد والرزق والأجل، تنزهت حكمته أن توهن فاعدنا[2] عدتها مرامي منجنيق الأعراض فقد خلت عن الخلل، لا يغرب عن سمعه أنين المدنف وقد بقي الرسم والطلل، ولا يغيب عن بصره دبيب النمل وما أفل، ومن حكمته غمر بإنعامه فغفر وزر الذنوب وشد أزر الأمل، تكلم بكلام قديم في الأزل ولم يزل، إذا سمعه الشيطان مال عنه واعتزل، شغل جده قلب من جد في فعل أو هزل، واستغنى المرنّم به عن الضرب بالبسيط والرمل، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[3].

---

(١) مذهب أهل السنة والحديث من المتقدمين والمتاخرين وهو الذي نقله الكرماني عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه والحميدي وسعيد بن منصور وقال عثمان بن سعيد الدارمي إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك وجعلوا نفي الحركة من أقوال الجهمية نفاه الصفاة وأما كون بعض أئمة السلف توقف عن لفظ الحركة فلم يجز إطلاق هذه اللفظة على الله وذلك لكونها لم يرد بها نص من كتاب أو سنة وممن ذهب إلى ذلك من أئمة السلف نعيم بن حماد الخزاعي والبخاري وأبو بكر بن خزيمة وابن عبدالبر وغيرهم وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من ينفي هذه الصفة عن الله وفصل القول في ذلك في كتابه درء تعارض العقل والنقل (ج١/ ١١٢-١١٨، ج٢٢/ ٧..) وما ذهب إليه ابن الجوزي بقوله -لا تجوز عليه الحركات- مخالف لأئمة السلف.

(٢) في الأصل: فاعدنا فاعدنا، ولعل الصواب: فاعددنا.

(٣) الآية الكريمة رقم ١٠٥ك سورة الإسراء رقم ١٧.

الخطبة الثالثة

الحمد لله القديم[1] فلا مماثل، العظيم فلا معادل، الحكيم فلا مطاول، العليم قبل السؤال بمراد السائل، اطلع على ما في الضمير من الفكر الجائل، وأحاط علماً بخلقه فليس بناس ولا غافل، وسمع فلم يغرب عن سمعه وقع القطر على الجنادل، فتحفظ فإنه عند لسان كل قائل، ليس كمثله شيء سهم يقع للمشبه في المقاتل، وهو السميع البصير سيف للمعطلة قاتل، عمّ البرايا بجوده، وأذل الوجود بسجوده ووضحت حجة وجوده لكل عاقل، نعمه روائح وغوادي، وآثار قدرته في صنعته بوادي وما يسعى قدم بوادي إلا له فيه نائل، يسبحه النجم والشجر والتراب والحجر والرمل والمدر وكل صامت وقائل، يسمع صوت المضطر ويرى آحاد الذر ويعلم عدد الدر في البحر قبل أن يقذفها الموج إلى الساحل، تعزز بالقدرة والبطش وعلم ما تحت الثرى والفرش ثم استوى على العرش وليس العرش له بحامل، قدر الليل والنهار كرورا، لا تجد فيه توقفاً ولا فتورا، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾[2].

الخطبة الرابعة

الحمدلله المتنزه عن الند في كماله، المتقدس عن الضد في جلاله، المتعالي عن مماثلة المخلوق وأمثاله، الموالي بالجود لا بالحقوق جزيل نواله. سبق قضاؤه في قديم قدم ازاله، فأسعد من يشاء بإصلاح حاله، فشغله بحاله عن جمع ماله، والهمه حساب نفسه قبل سؤاله، وأقامه بجمع زادّه قبل ارتحاله، وأشقى من أراده بقبيح خصاله، فهو

(١) تقدم الكلام على القديم في الخطبة الرابعة من حرف الدال.

(٢) الآية الكريمة رقم ٥ك سورة يونس رقم ١٠.

يدور في رحى غدوّه وآصاله. يجمع الحطام ويحتج بعياله، ويخدم هواه وتقواه لا تخطر بباله، فسبحان من فاوت بين الخلائق ولم يباله، يسبحه الناطق بعبارة مقاله، والصامت بإشارة حاله، والنبات بترتيب كماله، مد مهاد الأرض حاملاً لأثقاله، فانبع الماء بين أجاجه وزلاله، وسحب السحاب إلى نشو الزرع وأطفاله، ولفقه بجنوبه ثم مزقه بشماله، من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، فاترع الوهاد وبلغ المراد قبل ارتحاله، ولسان الرعد يصيح بالتسبيح في إدباره وإقباله، مهول صوته مقنعاً في نزاله، وسيف البرق يهتز واختياله، والربيع يميس في حلله الرائعة بعد اسماله، فكل غض يطرب بسرباله، وعمر العمارة الفاروق بفرق الجدب من ظلاله، هذا بعض المقدور وهو يدل علىبعث من في القبور بشرح حاله، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾(١).

الخطبة الخامسة

الحمدلله الذي لا ينال عز عظمته سانح تمثيل، ولا يدرك قعر بحر حكمته سابح تخييل، منزه الذات عن الشبه والند والمثل والعديل، ثابت الصفات وقد كفر أهل التعطيل، جال الفكر حول حمى قدسه ثم رجع كالذليل، فسدّ في وجهه السبيل، وتاه في عرصة النادي وحاد الحادي وضل الدليل، صفاته منقولة لا عن قال وقيل، المعطل خارج والمشبه ثقيل، أيقاس خالق الأشياء هذا تغفيل، يسبحه السحاب ودمع عينيه يسيل، وتشكره الرياض يضحكها الفعل الجميل وتحمده الوُرق على الورق تدعو الهديل، ويناغي الغص ترقص بها في حديث طويل، وتذكره الظباء في الكناس والأسد في الغيل، سبق قضاؤه فاهتدى جبريل وضل عزائيل، وتقدمت عطاياه

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٤٣م سورة النور رقم ٢٤.

فأصابت هابيل وحرم قابيل، ونفذ أمره فهلك آزر ونجا الخليل، ووقع ابتلاؤه فذهبت من البكاء عين إسرائيل، وجرت أقداره فملك يوسف وضاعت حيلة روبيل، وظن أبرهة ببلاهته فأضلته فارسل عليه طيراً أبابيل، تقدم إلى الخلائق فانزل التوراة والإنجيل، ثم قدم كتابنا على الكتب وسهّل شرعنا وكم حمل قبلنا من ثقيل ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لله وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[1].

حرف الميم
وفيه أربع خطب

الأولى

الحمدلله منشيء ذوات الأمم، ومنشر رفات الأمم، وفالق الإصباح وخالق الظلم، ورازق أهل الصلاح ومن ظلم، حكم في خلقه فنعم الحكم، ومحا وأثبت ونسخ وختم، وأعطى ومنع وبنى وهدم، وقضى بالتلف فانتفع العقيم بالعقم، كم مغرور بعيشته طرقته ابنة الرقم، وإن شككت فأين عاد وإرم، الخلق كلهم في قبضته حقاً والملتزم، كم قسر جباراً فحسر وحرم، عدل في قضائه ليس بمتهم، يسمع بغام الظبي إذا بغم، ونيئم الفيل إذا نأم، وزئير الأسد إذا نهم، وضباح الثعلب داخل الأكم، ويبصر أخفى حفاف الدبيب في الظلم، ويعلم ما عن في الخاطر همّ أو عزم، سالت من فضله الديم، وجرى عن أمره القلم، أنعم على الأولياء بجزيل القسم، وفتح أسماعهم ودفع الصمم، فنطق واعظ القلب وقال لنفس كم وكم (١٢٣)،

(١) بعض الاية الكريمة رقم ٩١م سورة التوبة رقم ٩ وتتمتها: ﴿وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فزهدوا في الدنيا فلم يؤذهم بشم، وتناولت كف القناعة من قوت الضرورة بعض اللقم، ورفضوا الهوى لعيبه ومن رفض معيباً لم ينم، وميزوا بين الدارين فوفوا القيم، فإذا أقبل النهار لجأوا من التقى إلى الحرم، وإذا جنّ الليل قاموا بين يديه على قدم، هذا دأب القوم ما أورق السلم. كم وينهم، أين حذر الغراب من غفلة الرخم. على أنه لا بد من زلة والمعصوم من عصم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾[1].

الخطبة الثانية

الحمدلله الذي لا يخيب من قصد بابه وأم، ولا يندم من رجا ثوابه واهتم، ولا يخاف محنة ولا ذم، ليس من جسم فيقال كيف ولا من شيء فيقال كم، اسبغ النعم فأفضل وجاد ففرق، وكشف الكروب بفضله ورفع بمنه الغم، فكم عافى بلطفه من ألم ألَّم إذا لم، إله له الفضل إذا أنعم تمَّ، وملك واسع الجود أعطى الخير الجم، وكريم إذا ابتدى النعمة ساق إليها أخرى وخم، جفَّ القلم بتقديره فالق عنك الهم، وتلح حال موسى كيف ألقاه في حجر عدوه ولا كيف رباه بعد ما خافت عليه أمه، فجاء يريد الوحي بإزالة الغم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[2].

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٣٢م سورة النجم رقم ٥٣.

(٢) بعض الآية الكريمة رقم ٧ك سورة القصص رقم ٢٨، وتتمتها: ﴿وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

الخطبة الثالثة

الحمدلله مرخي الألباب عن علم قدره المبروم، ومجري الأسباب على علم قدره المحتوم المعلوم، لا تنال سماء عزه سوانح الأفكار والهموم، ولا يدرك قعر بحر حكمته الأفكار والفهوم، نفدت إرادته في الخصوص والعموم، وأشقى وأسعد والاعتراض على المالك يوم لا يغرب عن سمعه إن أنَّ أو رنَّ المظلوم. ولا يغيب عن بصره ديدان في صحراء غيدان تسوم، يسوق إليها رزقها مقسوم ﴿الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1].

فصل

كتب سطور السماء في لوح الهواء ورقشها بنقش النجوم، فجروف التوحيد من بعض سطوره والكل مفهوم، وبسط فراش المهاد وممسك الأطناب في النجوم، وساق إليه العنان بعنان التسخير فإذا الديم تدوم، فإذا اترعت الغدو واقشعت اقشعت الغيوم. ثم عادت فاعظمت وما قصرت ولا فرطت إذ كلامها مذموم. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2].

فصل

فتصبح الأرض مخضرة برائق المنثور وفائح المشموم، وتقوم الوُرق على الوَرق ضاحيه صاحية من سكر النوم، السكر بتطريب التغريد فتنسى الرمل والمزموم، وتشير إلى وفاء ضمان الكامل والويل للغافل الأصم المركوم، فسبحان من حرّم

(١) الآية الكريمة رقم ٢٥٥م سورة البقرة رقم٢.

(٢) الآية الكريمة رقم ٢١ك سورة الحجر رقم ١٥.

أقواماً فوائد العقول والعلوم، وذرأهم للنار فهم ينقضون القلوب ويبنون الجسوم، فإذا وردوا القيامة زفرت جهنم عليهم زفرة كالطائر تحوم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[1].

الخطبة الرابعة

الحمدلله العليم بلا تعليم، العظيم بلا تجسيم، الساتر بذيل كرمه الحليم، القادر وهو فيما قضى رحيم، صفاته كذاته وليس لنا إلا التسليم، العقل يطيش عند عظمته وأم الرأي عقيم، والوهم إذا دخل حيِّز عزته تحار وتهيم والذهن يكل في معرفته والأمر عظيم ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فصل

ينزعج مع كثير فضله الخليل والكليم، ويخاف من سطوته مع عدله البريء والسقيم، لا يغرب عن سمعه نئيم[3] الفيل وبُغام الريم، لا يخفى عن بصره، دريهم في ليل بهيم، لطفه بالعباد قديم، يقبل المقبل وقد شن الأديم، صان أحبابه وأكنهم فكأنهم في حريم، وقوم القوم بذكر القيامة فانتفعوا بالتقويم: ﴿يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[4].

---

(١) الآية الكريمة رقم ٤٤ك سورة الحجر رقم ١٥.

(٢) الآية الكريمة رقم ٣م سورة الحديد رقم ٥٧.

(٣) كل صوت فيه ضعف وهو في الأسد دون الزئير.

(٤) الآية الكريمة رقم ١م سورة الحج رقم ٢٢.

حرف النون
وفيه ثلاث خطب

الأولى

الحمدلله الذي لا تحيط به العلوم والعيون، ولا تدركه الهموم والظنون، ولا تغيره الدهور والسنون، ولا يعتوره الفتور والمنون، رافع السماء تزينها الشهب وتصون، قد أحرقت وحدّقت كالحدق في الخلق فبعضها للرجم وبالنجم هم يهتدون، ودائرة الأفلاك رحىً لو علمتم طحون، ووضع الأرض على ثور وهو حامل النون[1]، فإذا ضايقها الجدب ولقيت منه الهون، وتقدم الرعد قبل الغيث تقدم العربون، فبعث الزرع الميت وأحيا المدفون، ونفخ في فرخ البذر فتحرك تحت الحاظن المحظون، وباح بأسراره فباحت له بكل مكنون، ثم عاد وعاد مردفاً للابكار بالعود وشرب العرق من دولاب أصله ورقى إلى العرجون، وطرب الربيع في خضرة حضرته فسرت كل محزون، وشمر مشمراً في ثياب البطر ولا قارون، وركبت الورق منابر الورق تغني للمشتاق بلحون، وجمعت القدرة بين أضداد الطعوم في آحاد الغصون، ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] فذلك دليل يكفي العاقل ولا يخاطب مجنون، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ

(١) هو حوت عظيم وهذا القول مروي عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وعطاء الخرساني ومجاهد ولم يصح مرفوعاً عن النبي ﷺ وهو الذي فسره ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال أول شيء خلق الله القلم فقال له اكتب -وفيه- «والأرض على ظهر نون..» أخرجه عبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وغيرهم.

(٢) الآية الكريمة رقم ٨٢ك سورة يس رقم ٣٦.

يُؤْمِنُونَ﴾[1] . فمن فرح بالحياة وما جنى الغني فهو مغبون. ومن لم يذكر البعث وما فيه فهو غافل مفتون ﴿كَذَلِكَ نُخرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فسبحان من نبه أقواماً فلم يقنعوا بدون، وفتح أبصارهم وبصائرهم فرأوا طيّ العمر والناس والناس في غفلاتهم والقوم يعملون، وقد حمل وصب نصيبهم بعيني ما يتحملون، إن أقبل النهار فالأمر بالطاعة يقبلون، وإذا جن الليل فكالسليم[3] يتقلبون، شغلهم ذكر مولاهم عن كان ويكون.

فيابشراهم يوم الحشر حتى يبعثون، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَـذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[4] فلو قال العبيد عنهم: من هم؟ لقيل التائبون العابدون، ولو سُئلوا ما الذي كانوا يعملون؟ لأجاب لسان الجزاء: كانوا قليلاً من الليل يهجعون ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُواْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[5].

الخطبة الثانية

الحمدلله الذي ليس يُجسَّم فيضمه مكان، ولا يطرقه التغير فيقال كان، القائم برزق الحيوان، الدائم وكل من عليها فان، أخرج ذرية آدم بأرض نعمان، وقسمهم إلى ذي حظ وحرمان، فكم حقير رفع وكم شريف هان، أظهر من ظهر نوح نبيه فمنهم النبيه ومنهم كنعان، ومن آزر الخليل ومحمد من عدنان، لا يرد قضاءه من ضل عبس وذبيان، ولا يرفع من لم يرض عنه ولو صادفه (كذا) ولا يضر من أسعده

(١) الآية الكريمة رقم ١٠١ك سوزة يونس رقم ١٠.
(٢) الآية الكريمة رقم ٥٧ك سورة الأعراف رقم ٢٧.
(٣) السليم: اللديغ.
(٤) الآية الكريمة رقم ١٠٣ك سورة الأنبياء رقم ٢١.
(٥) الآية الكريمة رقم ١١١ك سورة المؤمنون رقم ٢٣.

لو وقع في حسك السعلان، مشت مشيئته فضل أبوطالب واهتدى عثمان، وحاد القبلة أبولهب وأذن لبلال في الأذان، وحظي بالكرامة عكرمة وأبوجهل بالهوان، وأبعد عتبة وشيبة وقرب صهيب وسلمان، وتيب على قوم يونس وقيل لفرعون الآن، وانكسر لوجود اليتيم كسرى وانشق له الإيوان، يرفع ويخفض ويزين ويشين وينقض ويبني ويُسعد ويشقي ويعدم ويبقي ويتصرف في الإنسان ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] ومن آياته إنك ترى الثرى وهو عطشان، فيرسل إليها الغمام الملث التهتان، فالرعد يرتجز ويحدو في مقدمات الأظعان، وشعل البرق تهدي بنور نيرانها الحيران، والسحاب يبكي لفلشان عينيه فإذا اغتبقت واصطحبت أصبحت الأرض خضرة تلك القيعان، ونشر النور أردية النور فكل الأرض بستان، ونجم الطلع وطلع النجم وفاح الريحان، واكتست نضارة الأوراق عيدان الأغصان، وماست الأرض في حليها على جنوب الغدران، وبذلت للجاني ثمارها بما عز وهان، فامتطت مطا أوراقها ورقها في إنشاء ونشدان، فقلقت قلاقل قلب المشوق وبلبلت بالبلاء والبلى بلبال أهل الهجران، وليس الخلي كالشجي شتان، ما هما والله سيان، فالغض يميل طربا مثل ميل النشوان، والنرجس قد حدّق دهشاً فأما النيلوفر فوسنان، والورد كالخد قد زين بالدنانير الحسان، والبهار والياسمين قد صبغا أجسام العاشقين بالأصفر من الألوان، والشقائق قد أشرق في الحدائق وكذلك الأقحوان، والنمَّام قد نمَّ بطيب روائح الشيح والمرزجوش والريحان، والنبق كأزرار الذهب في الأشجار على نهود العيدان، واللقّاح قد فاح والتفاح قد لاح بين الأغصان، والنارنج والاترنج والمشمش يضيء للسالك في مسالك الميدان كمشاعل النيران، والعصفور يرقص فرحاً والشحرور والعندليب والسمَّان، والحمام يهدل والطيور تهدر وتعزّي وتهني

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٢٩م سورة الرحمن رقم ٥٥.

والهزار قد زان، والفواخت والأطيار قد ملأت بالتغريد وسط النهار وكذلك الورشان، والبلبل قد باح والقمري قد صاح بأفنان الألحان، كل يصدح ويمدح ويتودد ويمجد وينشيء غرر القصائد والرسائل من تقديس الملك الديّان، هذا كله ينبه على بعض مسطور القدرة وإنما هو عنوان، هذا أنموذج يشوق إلى ما في الجنان، وهذه الخطبة أنشأها خادمكم وهو معتذر من النقصان، هذا مضمون ما للمجاهدين الصادقين ولا بد من وفاء الضمان. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[1].

الخطبة الثالثة

الحمدلله الذي عم البرايا بحلمه جوداً وإحسانا، وستر الخطايا على علمه كرماً وامتنانا، وعم أهل معصيته في كل شائن سترا وغفرانا، ونصب على وحدانيته من كل كائن دليلاً وبرهانا، رفع السماء بقدرته وجعل لها من ملائكته سكانا، وأدار الأفلاك بصنعته ولم يرد على ذلك أعوانا، فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا، مدَّ الأرض لمهادن فأوطأ أوطانا، فإذا أجدبت تعاهدها بالعهاد أحيانا فأحيانا، فانظر إلى الغيم يبكي فيحكي أعين المحبين تهتانا، والغصن قد أصبح من ربه بكأس القطر نشوانا، ثم أظهرت صنائع القدرة من الحكمة ألوانا، وضحك النور سرورا بالقطر كما بكاه فقدانا، حي بحياة لا يوصف بالعدم ولا يتفانى، قادر بقدرةٍ لا يعجز عن مقدور ولا يتوانى، لا يغرب عن سمعه صوت الوُرق إذا سجعت فرجعت ألحاناً، ولا يغيب عن بصره دبيب الذر يقصد في البر مكانا، أزعج أهل معرفته إلى أن رقاهم فأورثهم هيمانا، وأوقد في أسرار أحبته من

(١) الآية الكريمة رقم ١١١ سورة التوبة رقم ٩.

الاشتياق إلى رؤيته نيرانا، فأرواحهم تتسرح في بـوادي قربه وقد جعل لها مبارك وأعطانا(١). فهي تغدو نحوه خماصا(٢) وتروح بطانا(٣)، ﴿إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾(٤).

حرف الياء

الحمد لله خالق العرش والكرسي، ورازق الوحشي والإنسي، الموصوف بالجميل الأبدي، الموجود بالدليل الجلي، تعالى عن الشبيه والسمي، وتقدس عن الضد بـالعز الإلهي، يعلم ضمير السر الخفي، ومكنون الخاطر الخفي، ودبيب الذر تحت أخفاف المطي، ويرضى ويغضب لا بالمثل الطبعي، علا من قول الجهول الجهمي، وتعالى عن ظن الغبي المشبهي، واعجباً هزلوا فنزلوا عن المقام السُني، وأودع بدائع البدائع في الآدمي، وجمله بحلية العقل قبل الزي، وأخرجه إلى ساحة الفصاحة من مضيق العي، فهو يرى الغائب بعين المرئي، ويغلب عسكر الحس بجند العقل القوي، ثم هو مقهور بالقضاء السماوي، سقى أرباب محبته من شراب مواصلته بكأس الريّ، واطّلع علـى القلب وحكم بالإبعاد على قلب الغوي الشقي، أثرت محبته في القلوب تأثير الوسمي بعد الولي، ونفذت مشيئته فعاتب رسوله في سلمان الفارسي وصهيب الرومي، ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(٥).

---

(١) أعطان: جمع عَطَن: وهو موطن الإبل، وغلب على مبركها حول الحوض.

(٢) خماص: جياع.

(٣) بطان: الممتلئة البطون.

(٤) بعض الآية الكريمة رقم ٢م سورة الأنفال رقم ٨، وأولها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ﴾ وتتمتها: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

(٥) الآية الكريمة رقم ٥٢ك سورة الأنعام رقم ٦.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نطقت بتوحيده بدائه العقول حتى صدقت النايه، وإذا تكلمت ألسنة النهى نهى علمها عن نهاية، إذا قام الفكر بقدر قدر قدرته وقع على عجز العجز فألغى الغاية، كف كف معامله عن غيره بكفٍّ الكفاية، وحمى من حمى في حميّ فما تعرف ما الحمايه، له بابان: فالباب الظاهر باب الرعايه، وباب السر باب الهدايه، فمن أضلَّه لم يهتد ولو رأت عين رأيه ألف رايه ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾[1].

آخر كتاب اليواقيت

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم حسبنا ا لله.

****

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٩٦ سورة يونس رقم ١٠ وتتمتها: ﴿حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

من روائع الوعظ الإسلامي

الكتاب الثاني

عجيب الخطب

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه

الأستاذ هلال ناجي
وليد بن أحمد الحسين
أبو عبد الله الزبيري

المقدمة

نقدم الكتاب الثاني -عجيب الخطب- وهو من روائع الوعظ الإسلامي بأسلوبه المتميز المسجوع فقد أبدع في تركيبه وطاف على جميع حروف الهجاء فالخطبة الأولى بدون ألف والخطبة الثانية بدون باء وهكذا حتى آخر حرف من حروف الهجاء ولا يهمنا هذا الأسلوب الفني في تراكيب الخطبة بقدر ما يهمنا من مضمون الخطبة ومعانيها التي أبدع فيها ابن الجوزي من المعاني الرصينة التي ينشد إليها القارئ صاحب الذوق العربي الأصيل.

وصف المخطوطة:

لقد اعتمدنا في تحقيق
كتاب «عجيب الخطب» على مخطوطتين

إحداها بخط جد أبي السيد عبدالوهاب بن عبدالرزاق بن محمّد بن إبراهيم الشقاقي العلوي البغدادي[1] تقع ضمن مجموع ضم بعض مصنفات ابن الجوزي، كان الفراغ من نسخه في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من شهور سنة الألف وثلثمائة وأربع وعشرين هجرية.

تشغل مخطوطة عجيب الخطب منه الصحائف (٦٢-٩٣).

وعدة صحائف المخطوط ١٥٢ صحيفة (بترقيم حديث) ومقاس الصحيفة ١٤سم × ٢٠سم ومعدل سطورها ٢٣ سطراً.

(١) الكلام لهلال ناجي.

وكان الناسخ رحمه الله من علماء زمنه، وكان شيخاً للخطاطين في عصره ومشرفاً على جريدة الزوراء، وهي أول جريدة صدرت في العــراق في القـرن التاسـع عشـر، وكان إلى ذلك نائباً في المحكمة الشرعية ببغداد. وقد ولد في بغـداد ومـات فيهـا سـنة ١٣٢٧هـ ودفن بمقبرة الغزالي(١).

وأما المخطوطة الثانية التي اعتمدناها في التحقيق، فقد كانت ضمن مجمـوع أيضـاً محفوظ في دار صدام للمخطوطات في بغداد برقم ١٥٧٨/ ٣.

عدة أوراقه ٥٢ص مقاس الورقة ٢٠,٥ × ١٤,٥سم معدل سطورها ٢١ سطراً تشغل منه الصحائف ١-٤١ (برقم حديث).

ناسخ المجموع حسين بن أمين القائمي أصلاً، البغدادي مسـكناً، الحنفـي مذهبـاً، والسلفيّ اعتقاداً. وقد أنجز كتابه المجموع في الخامس والعشرين من شـهر ذي الحجـة من شهور سنة تسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية الشـريفة. وقـد اعتمدنـا المخطوطة الأولى - رغم تأخرها زمناً- أُمًّا، بسـبب ضبـط عـدد مهـم مـن كلماتهـا، ولجمال خطها وكون ناسخها عالم معروف.

وقد نص ناسخاً المخطوطتين على اسم الكتـاب ونسـبته في الصفحـة الأولى مـن كل مخطوطة، مع فارق واحد في العنوان. سماه العلوي الشقاقي «عجيـب الخطـب»، وسماه القائمي «عجب الخطب» وقد فضلنا العنوان الأول.

وقد أثبتنا ورقة العنوان من المخطوطتين.

---

(١) تنظر ترجمـة الناسـخ في المراجـع التاليـة: البغداديـون ومجالسـهم - إبراهيـم الدروبي ص٢٦٦، جمهـرة الخطـاطين البغداديين - وليد الأعظمي ص ٧١٢، عباس العـزاوي في مجلـة سـومر المجلـد ٢٥ سـنة ١٩٦٩ ص٢١٦. تـاريخ العراق بين احتلالين ٨/ ١٨٩ دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ص ٥٤٨. وترجم له حفيده والـدي رحمـه الله السيد ناجي بن زين الدين في كتابه مصور الخط العربي ص٣٥٧ -هلال ناجي-.

وباسم «عجب الخطب» ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون - العمود ١١٢٨ وقال في صفته: عجب الخطب لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ... أوله: الحمدلله أهل الحمد والثناء... ذكر فيه ثلاثين خطبة حذف في كل منها حرفاً أولها بلا ألف والثاني بلا باء وختمها بخطبة بلا نقط.

وهذا الوصف مطابق تمام المطابقة لمخطوطتينا المعتمدتين.

وذكره إسماعيل البغدادي في هدية العارفين العمود ٥٢٢ بعنوان «عجب الخطب» ضمن تصانيف ابن الجوزي.

وباسم «عجب الخطب» ذكره بروكلمان في الطبعة الألمانية من كتابه «تاريخ الأدب العربي».

ومن الكتاب مخطوطة ثالثة ضمن مجموع محفوظ في جامع الفاتح بالاستانة تحت رقم ٥٢٩٥ (٦) تعذر تصويره.

ثم إن الدليل الداخلي يدعم هذه النسبة، فالمتمرس بأسلوب ابن الجوزي الوعظي لا يخامره أدنى شك في صحة نسبة هذا الكتاب إليه.

ونرى أن ما تقدم يكفي للتحقق من اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى مؤلفه .

وبعد: فهذا الكتاب من جيّد ما خلّف ابن الجوزي في فن الوعظ الإسلامي.

ولقد أصبح هذا الفن على يده فنّاً مستقلاً له ملامح وسمات في الأسلوب والتعبير والصياغة والتصوير.

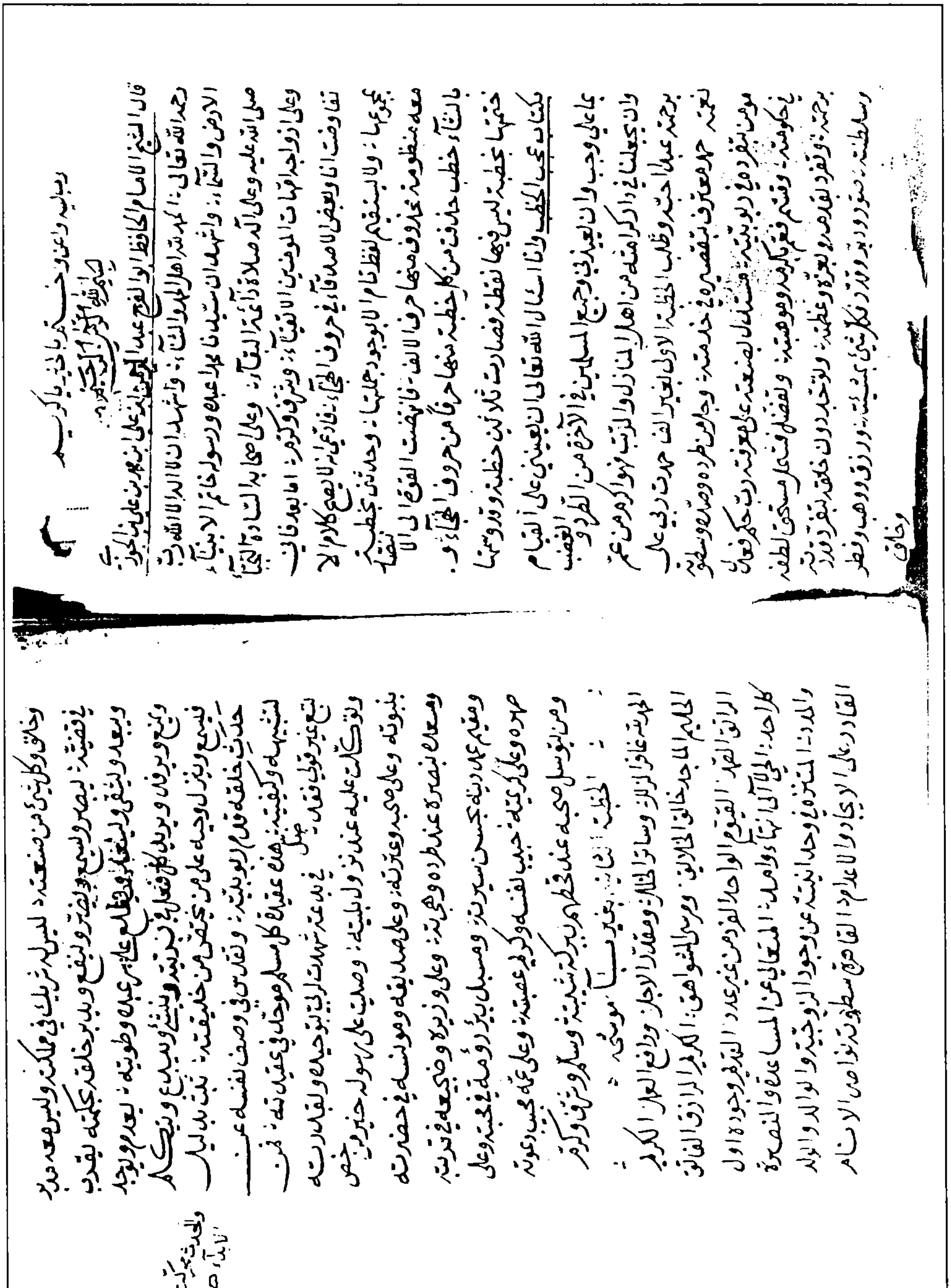
وإذا كان السجع الوعظي قد غلب على خطب الكتاب الثلاثين، فهو سجع موائم لزمنه، ملائم لموضوعه، المهم أنه لم يكن في عمومه سجعاً متكلفاً، بل كان نابعاً عن قدرة بيانية فذة.

وكتاب عجيب الخطب ينشر محققاً أول مرة، خدمة لفن الوعظ الإسلامي بخاصة، ولديننا الحنيف بعامة.

المحققان

الأستاذ هلال بن ناجي

الأستاذ وليد بن أحمد الحسين
أبو عبدالله الزبيري



انموذج الورقة الأولى من مخطوطة دار صدام للمخطوطات المرقمة ٣/١٥٧٨

وانذارهم واباح لهم قتالهم. فرفع عنهم بشريعته اصرهم وعارهم واغلالهم.
فصلى الله عليه وعلى آله وصديقه الاول اول من صدقه في متابعته حين ظهر
لهم فعالهم. وعلى عمر بن الخطاب الذي عدل في امته وتحمل اثقالهم وعلى عثمان
ابن عفان الذي جمع القرآن وتلاله. وعلى علي بن ابي طالب الذي طلق دنياه
وكره مالهم. وعلى عمه وصنو ابيه الذي استسقى لهم ودعا لهم. صلاة يبلغ بها
الحق امالهم. ويزيد عندها باقبالها عليهم اقبالهم. الخطبة الثانية عشر لغير س
الحمد لله الذي اغرق في بحار معرفته قلوب العارفين. واحرق بنار محبته اكباد
المحبين. وهيم في بادية قصده خواطر القاصدين. واعطش في طلب ما قربه
ارواح المشتاقين. رافع الافلاك الدائرة عبرة للمتفكرين. ومزينها بالنجوم
الزاهرة للعالمين. ومقدر طلوعها وغروبها حكمة للمعتبرين. كل ذلك من
عجايب عالم العلوم وفي الارض آيات للموقنين. الواحد قبل توحيد الموحدين.
الموصوف قبل وصف الواصفين. القديم في الازل قبل كون التكوين. الباقي
على الابد قبل كل اوان وحين. الحكيم الخالق المنزه عن الشريك والقرين. المعبود
الباعث المعظم عن الناصر والمعين. الصمد الفرد المتعالي عن الازواج والبنين.
الكريم الرازق والمتفضل بنعمته على العالمين. الحي بحياة قديمة منزهة عن
الجواهر والاعراض والحدث والتلوين. المريد بارادة قديمة فبارادته اقرار
المقرين. وجحد الجاحدين. لا يشتبه عليه اختلاف اصوات الداعين. لا يحتجب
عنه حركات الجنين في ظلام القرار المكين. العالم بعلم لا يفتقر الى الاذكار و
التذكر والتلقين. القادر بقدرة ذلت لنفوذها رقاب المتجبرين. المتكلم
بكلام قديم محفوظ في صدور الحافظين. مكتوب بايدي الكاتبين. اشار
الحق الى انزاله وهو اصدق القائلين. فقال وانه لتنزيل رب العالمين. نزل
به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين. نؤمن به انه على عرشه كما
اخبر في كتابه المبين. ونصدق الخبر بنزوله كما ورد في صحاح الناقلين.

انموذج من مخطوطة عجيب الخطب (مخطوطة جدّ أبي) أمير الخطاطين
السيد عبدالوهاب بن السيد عبدالرزاق الشقاقي العلوي وهي بخطه

كتاب عجيب الخطب

للشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي الحنبلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الحمدلله أهل الحمد والثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله رب الأرض والسماء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله صلوات(٢) دائمة البقاء، وعلى أصحابه السادة النجباء، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين الأتقياء، وشرَّف وكرَّم.

أما بعد: فإني تفاوضت أنا وبعض الأصدقاء في حروف الهجاء فادّعى أنه لا يصح كلام إلا بمجموعها، ولا يستقيم لفظ تام إلا بوجود جملتها، وحدثني بخطبة معه منظومة محذوف منها حرف الألف، فانتهضت القوة إلى الانتصار بإنشاء خطب حذفت من كل خطبة منها حرفاً من الحروف الهجاء، وختمتها بخطبة ليس فيها نقطة فصارت ثلاثين خطبة، وقد وسمتها بكتاب «عجيب الخطب» وأنا أسأل الله تعالى أن يعينني على القيام بما علي وجب، وأن يعيذني وجميع المسلمين في الآخرة من الطرد والغضب، وأن يجعلنا في دار كرامته من أهل المنازل والرتب، فهو أكرم من عم برحمته عبداً أحبه وطلب.

---

(١) في المخطوطة (ب) سبقت البسملة العبارة التالية:
رب يسر وأعن واختم بالخير يا كريم. وبعد البسملة ما يلي:
قال الشيخ الإمام الحافظ أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد بن علي بن الجوزي -رحمه الله تعالى- ثم يأتي النص.
(٢) ب: صلاة.

الخطبة الأولى بغير ألف

حمدت ربي على نعمته، حمد معترف بتقصيره في خدمته، وَجِلٍ من طرده وصدِّه وسطوته، مؤمن بتفرُّده في ربوبيته، مستدلٌّ بصنعته على معرفته، رب حكمَ فعدلَ في حكومته، وقسم فعم بكرمه وموهبته، وتفضل فشمل مستحق لطفه برحمته، وتفرد بقدمه وبعزه وعظمته، وتوحّد دون خلقه بتفرد قدرته وسلطنته، صور ودبر وقدر فكل شيء بمشيئته، ورزق ووهب وفطر وخلق وكل شيء من صنعته، ليس له شريك في مملكته، وليس معه مدبر في قضيته، يبصر ويسمع، ويضر وينفع، ويدبر خلقه بحكمته، يقرب ويبعد، ويشقي ويسعد، ويطلع على سر عبده وطويته، يعدم ويوجد، ويمتع ويرفد، ويريد كل فعل في بريته، وينشيء ويبدع، ويتكلم فيسمع، وينزل وحيه على من يختص من خليقته، ثبت بدليل حدَث خلقه قدم ربوبيته، وتقدس في وصف نفسه عن تشبيهه وكيفيته، هذه عقيدة كل مسلم موحِّد في عقيدته، فمن تبع غير قولي فقد هوى[1] وضل في بدعته، شهدتُ لربي بتوحيده وبقدرته، وتوكلت عليه عند نزول بليَّته، وصليت على رسوله خير من خص بنبوته، وعلى صحبه وعترته، وعلى صِدِّيقه ومؤنسه في حضرته، ومسعده بنصره عند طرده وهجرته، وعلى وزيره وضجيعه في تربته، ومقيم عمد دينه بحسن سيرته، ومسيل بئر رؤمه في محبته، وعلى صهره على كريمته، وحبيب نفسه وكريم عصبته، وعلى عمِّه مجيب دعوته، ومن يتوسل صحبه عند قحطهم ببركة شيبته، وسلَّم وشرف وكرَّم.

الخطبة الثانية بغير باء موشحه

الحمدلله غافر الزلل، وساتر الخلل، ومقدر الأجل، ورافع العمل، الكريم الحليم

---

(١) كلمة هوى سقطت في ب.

الماجد خالق الخلائق، ومرسي الشـواهق، الكريـم الـرازق، الفـاتق الراتـق الصمـد، القيوم الواحد الفرد من غير عدد، القديم وجوده أول كل أحـد، الحـي لا إلى انتهـاء وأمد، المتعالي عن المساعدة والنصرة والمدد، المنزه في وحدانيتـه عـن وجـود الزوجيـة والوالد والولد، القادر على الإيجاد والإعدام، القاهرة سطوته نواصي الأنام، مصـوِّر الأجنة في ظلم الأرحام، ومُخرج الظلام من الضياء والضيـاء مـن الظـلام، موضـح الدلائل، وموجد الشواهد، الموصوف وصفاته كذاتـه، المعـروف ودلائـل معرفتـه في مخلوقاته، المتكلم ولا خلاف عند المسلمين في قدم كلماته، المتقدس عن مماثلـة خلقـه في صفاته، المتعالي في كماله عن التناقص والتزايد، يعلم ما ستر وخفي، وينظر حركة قوائم الذرة على متن الصفا، ويطلع على خطرات السر وأخفى، ويشهد ما ظهر ولا يخفى عليه ما عفا، ويريد عمل المؤمن والكافر والصالح والفاسد، لا يخرج شيء عن إرادته، ولا يشذ موجود عن صنعته، ولا يتعدى كائن عن مشيئته، ولا يقنـط مؤمـن من رحمته، ولا يخرج من عطفه ومنته، ولا يرد من كرمه أمل آمل، ولا قصد قـاصد، استوائه وصف معلوم، وتكييفه أمر معدوم، ونزوله وارد والجاحد له ظلوم، والممثـل له هالك والمعطل محروم، هذا أفضل المسالك وأصح المعاقد، أحمده حمد من وجل من التقصير، وأشكره على الكثير واليسير، وأتوكل عليه في التسـهيل والتعسـير، وأؤمـن أن إليه المرجع والمصير، وأسأله أن يحشـرني علـى أوضـح المنـاهج وأنهـج المقـاصد، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك معــه، ولا ثـاني في وحدانيتـه يشـفعه، ولا زمـان يحصره ويقطعه، ولا مثالاً يوجد معه فيمـا صنعـه، شـهادة يشـهد بصدقهـا كـل نـاء وشاهد، وأشهد أن محمداً رسوله إلى الأمة، أرسله نعمةً ورأفة ورحمــة، ورفعـه علـى الرسل شرفاً وعلماً ومنزلة وحرمه، وقرن ذكره مع ذكره واشـتق مـن اسمـه اسمـه، فالحق محمود وهو محمّـد وحـامد، صلـى الله عليـه وعلـى آلـه وخليفتـه في صلاتـه، وضجيعه في مماته، ومؤنسه في مخافاته، ومن ظهر فضله على غيره في مواسـاته. وهـل يستوي الساهر والنائم، والقاعد والقائم، وعلى وزيره ومشيره عمر الذي أحيا عدله

الإسلام وعمر، واشتهر عدله في نصرة الدين وظهر، وعلا سلطانه على طغاة الكافرين وقهر، وفتح الفتوح ورفع من الدين القواعد، وعلى ذي النورين عثمان جامع القرآن، وسيد الاخوان، المستسلم لقضاء الرحمن، المقتول ظلماً وعدوان، وهو راكع وساجد. وعلى صهره ذي الأخلاق الزكية، والوعود الصادقة الوفية، والأفعال الصالحة المرضية، والمنازل السامية العلية، العالم العادل الحامد الخاشع الزاهد، وعلى عمه جد الخلفاء الأخيار، ذي المنزلة العالية والحرمة السامية والوقار، الواكفة عند دعوته من أماق الغيوم دموع الأمطار، والمنشورة دعوة أولاده في آفاق الأقطار والأمصار، خلّد الله دولة خلافتهم ما أفل نجم نازل، وظهر هلال صاعد، وشرف وكرم.

الخطبة الثالثة بغير تاء

الحمدلله الأول ولا زمان، الآخر ولا أكوان، الباقي ولا إنسان، القادر ولا أعوان، المشكور فضله بكل لسان، المنظور عدله بكل عيان، المألوف كرمه بكل أوان، المعروف قدمه بكل جنان، المعهود فضله بكل مكان رافع السماء بغير أعمدة ولا أركان، وساطح الأرض على الماء مهاداً للحيوان، وخالق النجوم في الفلك السريع الجريان، مرسل الشهب لرجم كل شيطان، ومقدر سير الخنس وجاعل ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1] الحي لا بطبائع وحدثان، القديم الأزلي لا إلى حد وأوان، الحاكم بما يشاء لا عن ظلم وعدوان، العادل في قضائه لا بجور وطغيان، المريد لما يحدث في الكون من كفر وإيمان، ولا يغيب عنه ما يكون ولا ما كان، المحيط علمه بكل شيء وجلَّ عن السهو والنسيان، البصير بجريان الدم في عروق الجثمان، السميع لهفيف الورق على الأغصان، الموصوف بالكمال المنزه عن الزيادة والنقصان، أرسل الأنبياء

(١) الآية الكريمة رقم ٥م سورة الرحمن رقم ٥٥.

بالدلائل الواضحة والبرهان، وأنزل الصحف والإنجيل والزبور والقرآن، وخص محمداً بسماع كلامه حين قال في نص القرآن ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] أحمده على ما أولانا من الإحسان، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أُثقل بها كفة الميزان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبي بكر الصديق المخصوص بالسبق في الإيمان، وعلى عمر بن الخطاب صاحب دار الخيزران، وعلى مجهز جيش العسرة عثمان بن عفان، وعلى علي بن أبي طالب هازم الجيوش وَمُجَدِّل الفرسان، وعلى عمه وصنو أبيه العباس جد الخلفاء الراشدين أصحاب العصر والزمان.

الخطبة الرابعة بغير ثاء

الحمدلله خالق النجوم والشمس والقمر، ورازق الوحوش والطير والبشر، ومبدع النفوس والأخلاق والفطر، موجد الأرواح والأشباح والصور، القديم في الأزل ودليل ذلك واضح بإيجاد بريته ظاهر لمن نظر، الباقي على الأبد وبرهان ذلك بإعدام خلقه باهر لمن اعتبر، الموجود قبل كل موجود وجد وظهر، الدائم بعد كل مفقود عدم وغبر، الكريم الذي لا يكف كف من لجأ إليه وافتقر، الرحيم الذي لا يعذب بنار بعده من تنصل إليه من ذنبه واعتذر، الحي بحياةٍ منزهة عن عوارض الآفات والخطر، العالم فسيّان في علمه ما بطن وما ظهر، المريد لإيمان من آمن وكفران من كفر، القاضي بما شاء فكل جار في خلقه بقضاء وقدر، السميع لهدير الحمام على متون الشجر، البصير بحركات الذر في سواد الليل إذا اعتكر، المتكلم في الأزل بالكلام القديم والآيات والسور، الموصوف بالصفات المحمولة في كتاب وسنة

(١) الآيات الكريمات ١-٤م سورة الرحمن رقم ٥٥.

على ما ذكر، المستوي على عرشه كما ورد به النص والخبر، وينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة عند السحر، نؤمن بذلك احتساباً لا يطرق عليه دخيل الفكر، ونتلقاه بالتصديق تصديقاً به ولا نطلق عليه البحث والنظر، هذا مذهب أهل الحق وجواب المخالف له سقر، أحمده حمد عبد أنعم عليه فشكر، وأتوكل عليه في حمل أعباء ما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهاً جُوهر بالزلل فغفر، واطلع على الخلل فستر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قمع برسالته جند الشيطان وقهر، وبدر قمر ابداره في السماء بالهداية وبدر، وشهد ببرهان نبوته الفكر، وصدق به النص ونطق القرآن فقال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1] صلى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبي بكر الصديق أول من عزّره ونصر، ومن خص بالتقديم والإمامة على كل من غاب وحضر، وعلى عمر بن الخطاب الذي شيد قواعد الإسلام وعمر، وخص بأفضل الحكومة وعدل السير، وعلى ذي النورين الذي جهز جيش العسرة ولبئر رومة حفر، وخص بالشهادة فاستسلم للقضاء وصبر، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي هدم الأزلام وحطّم الأصنام وكسر، وشهد بفضله أهل البدو والحضر، وعلى العباس بن عبدالمطلب الذي استسقى ببركة شيبته السحاب فانهمر، صلاةً دائمةً ما استسلم الركن والحجر، وجرت السحب بوابل المطر، وشرف وكرم.

الخطبة الخامسة بغير جيم

الحمدلله رافع السماء بالقدرة القاهرة، ومزينها بالكواكب الثابتة والسائرة، ومسيرها بتقدير السير إلى الأفلاك الدائره، وخالق الشمس والقمر بالوحدانية الباهرة، مسبغ نعمه على خلقه باطنة وظاهرة، ومظهر دلائل وحدانيته بالآيات المتواترة، القديم بلا أزمان حاضرة، الباقي ولا أكوان عامره، القادر بقدرة ذلت

(١) الآية الكريمة رقم ١ك سورة القمر رقم ٥٤.

لسطوتها نفوس الأكاسرة، المريد عمل كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة، القاضي بما يشاء وكل كائن إلى مشيئته صائرة، العالم لا ينظر واستدلال ومناظرة، الحي لا بأعراض وطبائع ومكاثرة، البصير بحركة الحيتان في قرار البحار الزاخرة، السميع لاختلاف النعم المتناسبة والمتغايرة، المتكلم ولا خلاف عند المسلمين في قدم كلماته ولا مناكره، المستوي على عرشه لا بمعنى الاستيلاء والمهاجره، ينزل إلى سماء الدنيا فيغفر للقلوب الذاكره والعيون الساهرة، يرسل الرياح العاصفة الثائرة، بشرى بين يدي رحمته إلى الأرض العامرة، حتى إذا أرخت السحب عزاليها قاطره، اضحكت ببكائها الأرض الميتة الدائره، وأضحت لمطويٍّ أسرار السحاب ناشره، وعادت كمائم النبات لودائع النّورْ زاهره، وحركت متون الغصون بالثمار فغادرتها بعد الذبول خضرة ناضرة، ومالت إليها ورق الحمام المستكنة والطائرة، وحنت إليها القلوب فعطفت نحوها الأبصار ناظره، كل ذلك دليل على إحياء العظام الناخرة، وآية على إعادة الأنام من أرض الفناء إلى أرض الساهره، دليل على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾[1]، أحمده على نعمه السابغة الغامرة، وأشهد أن لا إله إلا الله أنال بها الدنيا والآخره والرتب الفاخره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الأخلاق الزكية الطاهره، صلى الله عليه وعلى أبي بكر الصديق الذي كان صادقاً في أفعاله وأوامره، وعلى عمر بن الخطاب الذي لم يبق عدله من الظلم غابره، وعلى عثمان الذي واساه وأعانه وآثره، وعلى علي بن أبي طالب ابن عمه الذي آخاه وصاهره، وعلى عمه وصفو أبيه (العباس)[2] بن عبد المطلب الذي رزق الله عقبه الخلافة إلى الآخره.

---

(١) الآية الكريمة رقم ١٠٣ك سورة هود رقم ١١.

(٢) ما بين عضادتين ساقط من المخطوطتين.

الخطبة السادسة بغير حاء

الشكر لله الذي خلق الأرض والسماء، وأرسى الجبال وأجرى الماء، وفصل الأمور وقدر الأشياء، وكرم آدم وعلمه الأسماء، وتوجه بتاج الجلال والافتخار. عجن طينته وصنعه، ولفّق أجزاءه وجمعه، وارتضاه للأمانة وأودعه، وخصَّه بمخاطبته واسمعه، وخلقه من صلصال كالفخار، أظهره من الوجود إلى العدم، وأسجد له ملائكته وأخدم، وأطلعه على علم الأسماء وأفهم، ورفع قدره بالتشرُّف وعلَّم. واصطفاه على سواه بما عرَّفه من الأسرار، رتع في رياض مؤانسته، فامتدّت إليه يد عدوه لمنافسته، فعصى فوضع تاج رياسته، وخالف الجبار، وأُخرج من دار القرار، بسط لسان الاعتذار مما جنى، ومد يد الافتقار لنيل المنى، ونصب سرير الندم ببادية العنا، وكتب في قصة الاستغفار (ربنا ظلمنا أنفسنا)[1]، ووقف على قدم الانكسار بباب الانتظار، فنظر مولاه ذُله بين يديه، وصدق قصده وافتقار إليه، فوقّع له بما أقرَّ به عينيه، ثم اجتباه ربه فتاب عليه، ومن للذنوب والجرائم إلا الغفار، الأوّل ولا سابق، الآخر ولا مطابق، الفاعل ولا مشاقق، الخالق ولا سواه خالق، الصمد القيوم العزيز القهار، المريد لما في الوجود من إيمان وكفر وشقاء وسعود، المعبود وباطل سواه كل معبود، الموجود وكل موجود غيره مفقود، المرئي في القيامة بهذه النواظر والأبصار، البصير بسواد النمل في ظلام الديجور، السميع بوقع قوائم الهوام على صمٍّ أصلاد الصخور، المتكلم بالقرآن والإنجيل والتوراة والزبور، والعالم بعواقب الأمور، وخفيّات الصدور، سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، كلامه القديم قولاً مسطوراً، واستواؤه معلوماً مذكوراً، ونزوله مفعولا مشهورا، ووصفه ثابتاً مأثورا، وتكييفه ممتنع عن العقل

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٣ك رقم ٧.

والأفكار، من عطّل صفاته أثم، ومن مثل ذاته نـدم، ومـن نـزه جلالـه سـلم، ومـن طلب النقل علم، إن هذه عقيدة أهل السنة الأخيار، اشكره على ما أنعم بـه وجـاد، وأؤمن أن إليه المرجع والمعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنزه عن الشركاء والأضداد، المتعالي عن الأزواج والأولاد، هو الله الذي لا إلـه إلا هـو السـلام المؤمـن المهيمـن العزيز الجبار، وأشهد أن محمـداً خـاتم الأنبيـاء، أفضـل أهـل الأرض والسـماء، أرسله ونار الكفر في ضياء، ونـور الإيمـان في انطفـاء، فاشـرق شـهاب الإسـلام برسالته واستنار، فصلّى الله عليه وعلى آله وخليفته وصديقه أبي بكـر الصديـق وعلى عمر وزيره وفاروقه، وعلى عثمان بن عفان زوج ابنته ورفيقه، وعلى علي زوج ابنته وابن عمه وشقيقه، وعلـى عمّـه العبـاس الـذي هطـل بدعوتـه وابـل الأمطار، وسلم وشرف.

الخطبة السابعة بغير خاء

الحمدلله الثابتة أدلة قدرته ووجوده، الشـاملة الطـاف كرمـه وجـوده، الواضحـة آيات شهوده، الظاهرة عقوبات جحوده، الواجب على البرية حفظ عهـوده، النـاطق بمعجزاته تقدم وجوده، نطق بتوحيده الجماد بصلده والحجر بجلموده، والبحر بحيتانـه والبر بأسوده، والفلك بدورانه والسحاب بركوده، والليل بظلامه والصبـح بعمـوده، وإن من شيء إلا يسبح بحمده في حركته وسكونه وقيامه وقعوده، المنزه بكمـال ذاتـه عن نقص الحدث وحدوده، المتقدس عن مشابهة عباده، وكيف يقاس عابد بمعبـوده، القادر بقدرةٍ ذل لها كل جبـار بجنـوده، المريـد فبـين سـعيد بقربـه وشـقي بصـدوده، القاضي بما شاء فكم محكوم بشقائه ومحتـوم بسـعوده، فـلا يـزول عـن قلـم التقديـر بصعوده، ولا جحود لمن شاهد شاهد النقل بوروده، العالم بـأعداد القطـر في انهمالـه وأوزان البحر في مدوده، البصير بجريان الماء في أوراق النبات وعوده، السميع بحركـة السحاب وقعقعة رعوده، المتكلم بكلام قديم أودعه أسـرار فرائضـه وحـدوده، مـن

أثبت الاستواء والنزول فالنص في ذلك أكبر شهوده، ومن رد المنقول بالمعقول، رضيَ عن صحيح الاعتقاد بمفسوده، ومن تلقى وارد الأثر بالتصديق تمسك من الإيمان بعموده، هذا مذهب أهل الحق فتيقظ له ودع المبتدع برقوده، احمده حمد مجتهد في حفظ عهوده، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة من جعل النجاة كنه مقصوده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه على آدمه وشيثه ونوحه وهوده، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أبي بكر الصديق صديقه وضجيعه ومؤنسه وودوده، وعلى عمر بن الخطاب معز الإسلام بمجهوده، وعلى عثمان بن عفان مجهز جيش العسرة ووفوده، وعلى علي بن أبي طالب الشريف بجده وجدوده، وعلى عمه وصنو أبيه الذي قرن إليه النصر بألويته وعقوده، صلاة دائمة ما شدا طائر لتغريده، وانتشر قانص لصيوده، وشرف وكرم.

الخطبة الثامنة بغير دال

الشكر لمن شمل لطفه وعم، واتصل عطفه بخلقه ولم، وقرب من بخدمته وطاعته اهتم، وخص بأوامره من بباب طاعته ألم، غافر الزلل، وساتر الخلل، وقابل العمل، وكاشف الغم، خالق الأمم، ومحيي الرمم، وشافي السقم، ودافع النقم، عالم أوزان الذر، وقاسم النفع والضر، وسامع صوت المضطر، وكاشف كرب المهتم، ذي المنن السوابق، والنعم اللواحق، والعطاء الرائق، والإنعام الوافر الجم، الفاعل بلا نصير، الملك بلا وزير، القاضي بلا مشير، المنزه عن الأب والأم والخال والعم، خالق الأشباح، وقابض الأوراح، وفالق الإصباح، ومنشيء العظم إذا رمّ، كلُّ مخلوق من صنعته، وكل كائن؛ بمشيئته، وكلُّ فعل بقضيته، من طاعته ومعصيته، وإيمان وكفر وشكر وذم، من عرف حفظه توكل، ومن ألف بره توصل، ومن خاف مكره تنصل، ومن آنس به عذب عليه طعم السم، من اتكل عليه أغناه، ومن سلم إليه عافاه، ومن وثق بهذه الأخبار كفاه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

﴿فِي اليَمِّ﴾[1]. يسمع وينظر، ويطلع على الزلل فيستر، ويوصف من تنزيهه ما يذكر، وتعالى عن كيف وكم ولم، رؤيته جائزة بالبصر، وكلامه الكتب والسور، هذا الحق ومن خالفه كفر، وطريق نجاته أضيق من سم، نطق النص ولا ينكر، ومنع الشرع عن تكييفه فلا يذكر، وجاءت السنة بنزوله في السحر، فمن خالف فقد وقع في الضلالة بجهله في بحر خضم من مال إلى التأويل عطل، ومن قال بالتكييف بطل، ومن طلب طريق النجاة تحنبل، هذا الحق فإذ شئت تمسك به والزم، اشكره على ما أنعم به والهم، واستغفره مما هو به أعلم، واستعنه على صعوبة اليوم الأعظم، واسأله إعانتي على هول مأتم، وأؤمن أن نبيه أبا القاسم خاتم الأنبياء، أفضل أهل الأرض والسماء، وشفيع الرسل ورئيس الأصفياء، صلى الله عليه ما أخبر مخبر فصيح ونم، وعلى أول الخلفاء المخصوص بالرحمة والرأفة، أبي بكر أبي قحافة، الوافر العلم الثابت الحزم، وعلى السريع الإجابة، المخصوص بالنيابة، المفضل في زمنه على الصحابة، فاتح الأمصار بالبأس والعزم، وعلى ثالث الإمامة المخصوص بالحياء والكرامة، المعروف بالفضل والاستقامة، الصابر على ما تم عليه من المأتم، وعلى علي أخي النبوة، والمخصوص بالأخوة، الموسوم بالكرم والفتوة، كاسر كل بطل وقاتل كل قرم، وعلى عمه وصنو أبيه العباس الذي هطل ببركته الغمام على الناس، وأغيث الخلق بحرمته حين القنوط واليأس، وقال له الرسول: (ابشر يا عم فإن الخلافة فيك وفي عقبك يا عم).

الخطبة التاسعة بغير ذال

الحمدلله الفاعل بغير مانع، القاضي بغير دافع، الباقي على الأبد بغير قاطع، الحي بغير أمزجة ولا طبائع، الملك بغير شريك ولا منازع، الكريم فكل مخلوق في

---

(١) بعض الآية الكريمة ٧ سورة القصص رقم ٢٧.

كرمه طامع، مزين السماء بالنجوم الثوابت والطوالع، ومقدر سيرها باختلاف الأزمنة والمطالع، خالق الصامت والناطق والجامد والمائع، والرازق للمؤمن والكافر والعاصي والطائع، القديم الثابت قدمه بالدلائل القواطع، المريد فكل فعل إلى إرادته راجع، إن أسر العبد فهو عالم وإن نطق فهو سامع، وإن خفى فهو باطن وإن بخل فكرمه واسع، كلامه حق وهو لقدمه تابع، واستواؤه ثابت نطق به القرآن في سبع مواضع، ونزوله وارد والتصديق به نافع، وصفاته صدق والإيمان بها في القلوب واقع، الراجي لبره مسارع، والخائف من مكره جازع والمشتاق إلى قربه ساجد وراكع، والعارف بحلاوة خدمته غير هاجع، والمستأنس بمناجاته غير مقاطع، والمتجافي وسادته فيه موصوف بقوله ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[1]، احمده على الإنعام المتتابع، وأشهد أن لا إله إلا هو محدث المضار والمنافع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالدليل القاطع، والنور الساطع، المنسوخ بشرعته أحكام الشرائع، المعظم بشرف اسمه رباع المساجد والجوامع، صلى الله عليه وعلى الصديق الناصر النائب التابع، والمنفق المشفق الصابر القانع، وعلى الفاروق العادل والسيف القاطع، صاحب الفتوح والسير والوقائع، وعلى الشهيد بغير ناصر والمظلوم بغير رادع، مجهز جيش العسرة ومطعم كل جائع، وعلى الإمام الحسام الهزبر المدافع، قاتل كل مارق ومبيد كل طامع، وعلى عمه وصنو أبيه العباس الجاري به طرف السحاب الهامع.

الخطبة العاشرة بغير راء

الحمدلله الجواد فلا يبخل، الحليم فلا يعجل، القديم الذي ليس له بداية والأول الباقي الذي لا يغني ملكه ولا يتحول، موضح الدلائل على وحدانيته ومن يشك

(١) الآية الكريمة رقم ١٦ك سورة السجدة رقم ٣٢.

فليتأمل، وموعد عباده بالعطايا السنية ومن أحب فليعمل، ومستدعي خواص خلقه فمن طلبه لم يكسل، وموفقهم على جادة قصده ومن عدل فما أعدل، المألوف عطاؤه ومن ذاق حلاوة جوده تدلل، المخوف عذابه ومن خشي أليم عقابه تذلل، ولا تعليل لأفعاله ومن قال: لم؟ فقد علل، ومن تكلم في تشبيه الذات فقد مثل، ولا تكييف لصفاته ومن قال: كيف؟ فقد تأول، ومن جحد إثبات الصفات فقد عطل، كلامه قديم ومن قال بخلقه فقد ضل يتقول، يسمع ويشهد، ومن جحد فليس على إيمانه معول، استواؤه وصف له ومن قال بالاستيلاء فقد أمحل، ونزوله ثابت في كل ليلة رواه خمس وعشرون من الصحابة عن النبي المبجل، ودونه البخاري ومسلم ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، دع المشبه وما سول، والمعطل وما بدل، وإن كنت جاهلاً فاعلم، وإن كنت عالماً فلا تجهل، كيف يشبه المكيف بالتكييف والممثل بالممثل. هذا اعتقاد أهل الحق ومن ادّعى سواه فقد أعدل[1]، احمده على ما أنعم منه وخول، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً أمحو بها قبح ما أعمل، وأشهد أن محمداً عبده ونبيه الأعظم الأفضل، صلى الله عليه وعلى صاحبه الصديق الأول المفضل، الذي جاد وأنفق وأشفق وتفضل، وعلى الثاني العادل فيما تكلف وتحمل، الذي أبان الدين وأعان المسلمين وتبتل، وعلى الشهيد المظلوم وما بدل ولا تبدل، وعلى الإمام السميدع البطل المبجل، مطعم الطعام وقد أجدب العام وأمحل، مبيد من جحد وأبطل وتقول، وعلى عمه وصنو أبيه العباس الذي أغاث الله عند دعوته بالغيث وأنزل، صلاةً باقية ما بقي الزمان الأطول.

الخطبة الحادية عشر بغير زاي

الحمدلله الذي خلق الخلائق وأعمالهم، وأبدع صورهم وأفعالم، ونوع صفاتهم

(١) أعدل: أي أشرك. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يشركون.

وذواتهم وأشكالهم، وقدر حياتهم ومماتهم وآجالهم، وعلم أسرارهم وإضمارهم وأحوالهم، وسمع دعائهم وندائهم وسؤالهم، ونظر حركاتهم وسكناتهم وانتقالهم، وحتم بقضائه اعترافهم وأفكارهم وتوحيدهم وضلالهم، اختص منهم طائفة لمعاملته وهذّب خلالهم، ووسمهم بوسم معرفته وقطع عن سواه أشغالهم، وكشف لهم بلطف العناية ستور الهداية وجلالهم، إن عالمهم أربجهم ووفى لهم، وإن وعدهم عطف عليهم ورقى لهم، إن قربهم من بابه أعذب بمناجاته وصالهم، وإن أقبل عليهم فأعرضوا قطع بالطرد أوصالهم، وإن أبدى لهم حلاوة أنسه هجروا في طلبه حلالهم، وإن كاشفهم فالتفتوا مرر عليهم بالالتفات ما حلا لهم، علم ضعفهم في قصده فخفف أثقالهم، وأحاط بصدق افتقارهم إليه فجعل عليهم اتكالهم فيما خصهم ونالهم، وقال في محكم كتابه ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾(١) أحمده ما وضح لعباده وأبدى لهم، وأشهد أن لا إله إلا الله إله طرد الجاحدين لوحدانيته وأكذب أقوالهم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد أطلق المشركون نفاقهم وجدالهم، فأمر بتحذيرهم وإنذارهم وأباح لهم قتالهم، فرفع عنهم بشريعته إصرهم وعارهم وأغلالهم، فصلّى الله عليه وعلى آله وصديقه الأول أول من صدقه في متابعته حين ظهر لهم فعالهم، وعلى عمر بن الخطاب الذي عدل في أمته وتحمل أثقالهم، وعلى عثمان بن عفان الذي جمع القرآن وتلا لهم، وعلى علي بن أبي طالب الذي طلق دنياه وكره مالهم، وعلى عمه وصنو أبيه الذي استسقى لهم ودعا لهم، صلاة يبلغ بها الحق آمالهم، ويزيد عندها بإقبالها عليهم إقبالهم.

الخطبة الثانية عشر بغير سين

الحمدلله الذي أغرق في بحار معرفته قلوب العارفين، وأحرق بنار محبته أكباد

(١) بعض الآية الكريمة رقم ١١١م سورة التوبة رقم ٩. وتتمتها: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

المحبين، وهيّم في بادية قصده خواطر القاصدين، وأعطش في طلب ماء قربه أرواح المشتاقين، رافع الأفلاك الدائرة عبرة للمتفكرين، ومزينها بالنجوم الزاهرة، للعاملين، ومقدر طلوعها وغروبها حكمةً للمعتبرين، كل ذلك من عجائب عالم العلوم وفي الأرض آيات للموقنين، الواحد قبل توحيد الموحدين، الموصوف قبل وصف الواصفين، القديم في الأزل قبل كون التكوين، الباقي على الأبد قبل كل أوانٍ وحين، الحكيم الخالق المنزه عن الشريك والقرين، المعيد الباعث المعظم عن الناصر والمعين، الصمد الفرد المتعالي عن الأزواج والبنين، الكريم الرازق والمتفضل بنعمته على العالمين، الحي بحياة قديمة منزهة عن الجواهر والأعراض والحدث والتلوين، المريد بإرادة قديمة فبإرادته إقرار المقرين، وجحد الجاحدين، لا يشتبه عليه اختلاف أصوات الداعين، لا يحتجب عند حركات الجنين في ظلام القرار المكين، العالم بعلم لا يفتقر إلى الإذكار والتذكر والتلقين، القادر بقدرة ذلت لنفوذها رقاب المتجبرين، المتكلم بكلام قديم محفوظ في صدور الحافظين، مكتوب بأيدي الكاتبين، أشار الحق إلى إنزاله وهو أصدق القائلين، فقال ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(1)] نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، نؤمن به أنه على عرشه كما أخبر في كتابه المبين، ونصدق الخبر بنزوله كما ورد في صحاح الناقلين، ونقف مع إثبات صفاته الواجبة إرغاماً لأنوف المعطلين، ونمتنع من تكييف ذاته القديمة ردّاً على المشبهين، ونبين بالإبطال إبطال المتأولين، هذه عقيدة أهل الحق وإياك ومذاهب المبتدعين، أحمده إذ جعلني برحمته من الموحدين، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة ادّخرها لنشر الدواوين ووضع الموازين، وأشهد أن محمداً عبده ونبيه أفضل الأولين والآخرين، بعثه إلى الخلق كافة للتحذير والإنذار والتبيين، وأمره بإظهار شرفه فقال ﴿وَقُلْ إِنِّي

(١) الآية الكريمة رقم ١٩٢ك سورة الشعراء رقم ٢٦.

أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[1]. فصلّى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبي بكر الصديق أفضل الأنصار والمهاجرين، ومن أخبر النبي بفضله على الخلق بعد النبيين، وعلى ابن الخطاب صاحب دار الخيزران ومكمل الأربعين، وعلى عثمان بن عفان العالم العابد الصبور الأمين، جامع الكتاب، وخليفة المحراب، ومجهز جيش المؤمنين، وعلى علي بن أبي طالب حجة المتقين، وحاطم الأوثان وقاتل المشركين، وعلى عمه وصنو أبيه وجد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، صلاة دائمة واصلة إلى يوم الدين، وشرف وكرم وعظَّم.

الخطبة الثالثة عشر بغير شين

الحمدلله مسكن روعات قلوب الخائفين بإيمانه، ومحيي موات نفوس الطالبين بإحسانه، وساتر أسرار المذنبين بعفوه وغفرانه، مروّح أرواح العاجزين بلطفه وامتنانه، رافع فلك السماء بتقدير دورانه، ومُجري الفلك على الماء بسرعة جريانه، الواحد فلا ثاني في ملكه وسلطانه، الفاعل فلا مساعد له في حكمه واتقانه، تفرّد بفطرة صورة الجنين في ظلمة أحشائه، وأبدع في تسوية بنانه واعتنى بتلفيق أجزائه، وتسهيل كلامه وبيانه، وحركه برياح الطلق حين آن أوان إتيانه، وأخرجه إلى دار التكليف لإظهار عرف عرفانه، ونقله في درج الحياة يقطع ساعاته وأزمانه، وأوضح له سبل معرفته بإقامة دلائله وبرهانه، وجعل غاية بقائه إلى فنائه وتمزق جثمانه، وأزعجه بالرحيل وجرّعه كأس الانتقال عن أوطانه، وانتزع عواري دنياه فلم يحظ منها بغير أكفانه، وأفرده بعد أنسه بإخوانه في ظلم لحده وديدانه، وخلا بمنكر وسؤاله ونكير وافتتانه، وساكن ما قدّم في منزل يوانس من في مكانه، ثم أعاده بعد أن أباده لعرض صحيفته وديوانه، وواقفه على ما أسلفه وويلاه من مواقفة ديانه، القديم قبل

(١) بعض الآية الكريمة رقم ٨٩ك سورة الحجر رقم ١٥. وأولها: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الكون وأهله والزمان وأحيانه، الباقي بعد فناء آثاره وذهاب أعيانه، الحي بحياة منزهة عن نقائص الأفعال وحدثانه، المريد فكل إيمان بإسعاده وكل جحودٍ بحرمانه، القاضي فكل قريب بفضله وكل بعيد بخذلانه، العالم بأوزان قطر السماء وأعداد الرمل في سيلانه، الخبير بسر ضمير الإنسان واختلاج لسانه، البصير بسواد النمل في سواد الرمل وقد أخفاه الليل بجريانه، السميع لحنين الوُرْق على أغصان زبد النبات وبانه، المتكلم بكلام قديم أعجز الخلق عن الإتيان بمثله يكتبه الكاتبُ ببنانه، ويتلوه التالي بلسانه، استواؤه معلوم بقوة سلطانه، ونزوله وارد عن رسوله لا يتأول بل نزول إحسانه، بل نثبت ما أثبته لنفسه من صفاته، إذ لم نطلع على دليله وبيانه، ونؤمن بما قاله نبيه وتلاه في قرآنه، دع المعطل بحرمانه، والمجسم بخذلانه، وتوخ بإيمانك السنة فقد أفلح من كانت عنوان إيمانه، أحمده على ما أنعم من تعريفه وتبيانه، وأعترف أن لا إله إلا الله إله غمر مستحق رحمته بعفوه ورضوانه، وأُقرُّ بأن محمداً عبده ورسوله أرسله بأوضح مِلَله وأفضل أديانه، فصلى الله عليه وعلى آله وعلى أبي بكر الصديق المفضل على أصحابه وإخوانه، وعلى عمر بن الخطاب السابق بالفضائل بعده لأقرانه، وعلى عثمان بن عفان زوج ابنتيه وجامع قرآنه، وعلى علي بن أبي طالب منكس أعلام الكفر وكاسر أوثانه، وعلى عمِّه وصنو أبيه الذي هطل بدعوته السحاب بتهتانه، صلاة دائمة ما دار الفلك بقطبه والنجم بسيرانه.

الخطبة الرابعة عشر بغير صاد

الحمدلله جامع الأموات، وسامع الدعوات، رافع الطاعات، ودافع البليّات، القديم الحليم الخالق، وقاسم الآجال، وعالم الأحوال، وقابل الأعمال، ومبدع الأشكال، الكريم الرحيم الرازق، مزين السماء بزينة الكواكب، ومجريها بالتقدير بين طالع وغارب، ومطلعها من أقطار المطالع كالكواكب، ومظهر أنوارها بادلهمام الغياهب، ومقدرها بالطلوع بالساعات والدرج والدقائق، فكأن السماء على الثرى

قبة عسجدية مغشاة بحلة لا زوردية، وكأن النجوم تماثيل أشكال ياقوتية، أحكمت في تمثيلها بقدرة ربانية، القبة لم تدنسها أيدي الحدث ولا نالتها المطارق، ترتفع بالظلام ستورها، ويظهر بالغسق بعد الشفق نورها، ويغيب نبراسها فتضحك لأفوله ثغورها، وتظن أن قد أمنت من الزوال وسلمت من العوائق، حتى إذا بهرت العيون بضيائها الباهر، وخطرت في طلب حقائق كيانها الخواطر، وخفقت بسرعة سيرها خفوق النواظر، وأزهرت في مراكزها إزهار النبات الناضر، وانتظمت كواكب «المجرة»[1] بينهما انتظام المخانق، عطفت عليها غائرة عساكر النهار، وثار عليها الفجر طالباً للثار، وغار منها القمر فطلع بعد أن غار، فأخذت جيوشها في الهزيمة والفرار، ونعق بشملها للفراق من الشرق ناعق، فانطفت أنوارها بالرحيل وخبت، وزلت أفراسها بالهزيمة وكبت، وكلت أسياف نورها بالشتات ونبت، وتولت إلى الغروب منهزمة وهربت من سلطان الشمس فرار الآبق السارق، فخيّم بأقطارها جند الظلام وعسكر، وشرط القمر على «الشرطين» أن يظهر، وتبطن «البطين» بين «الهقعة» و«الهنعة» وتستر، وثار «الثريا» مسرعاً في الرحيل وتعثر، ودبر «الدبران» وقد انقطعت منه العلائق،وتسحر نسيم السحر أنفاس الجوِّ وطاب، وذرع «الذراع» طرف الهرب للذهاب، وانتثرت «النثرة» حتى توارت بالحجاب، وطرف «الطرف» فانطفى نوره، وغاب، ولاح من ثغر الفجر بحركة الشمس بارق، وشُجَّت «الجبهة» بيد النهار واندمت، وزبر الفجر «الزبرة» فغارت وانهزمت، وتبلدت «البلدة» بالهلع بعدما فهمت، وجرت «عين العوّا» فهمت، وعاق «السماك» عن السمو في العلو عائق، وفرّ «الغَفَر» هارباً إلى «الزُبانا»، وكل «الإكليل» وطلب من الفجر أمانا،

---

(١) المجرة والشرطين والبطين والهقعة والهنعة والثريا والدبران والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة واللدة وعين العوّا والسماك والغفر والزبانا والإكليل والشولة والنعائم والسعود وسعد وسعد الذابح وسعد الأخبية والحوت. كلها أسماء أجرام سماوية.

وشيلت «الشولة» عن محلها فلم تر مكانا، واستغاثت «النعائم» «بالسعود» فلم تجد عوانا، وساقها إلى الأفول بعد كمال الطلوع سائق، وابتلع «سعد» بلع حلقوم الأنوار، وذبح «سعد الذابح» بحد مدية النهار، واختبى «سعد الأخبية» في غار الأبكار، وركد «الحوت» لاحقاً مقدار التيار، وبدا قرن الغزالة طالعاً من المشارق، كل هذه الخلق ولآثار، دلالة على وحدانية القديم الجبار، وبرهان يعتبر به ذوو الفطن والأفكار، وطريق نظر واستدلال يعرف به أهل الاعتبار، أن فاعل ذلك موجد الأكوان ومبدع الخلائق، الواحد لا من عدد وحساب، الباقي لا إلى أمد وذهاب، الفاعل لا بعلل وأغراض وأسباب، المنزه عن الأشكال والأمثال والأضراب، المتعالي عن النظير والمشارك والمشاقق، الناظر فلايحتجب عنه منظور، السميع فلا يخفى عنه ذاكراً ولا مذكور، العالم فلا يغيب عن علمه مستور، القادر فلا يخرج عن قدرته مقدور، المريد فلا يتغير من إرادته طاعة طائع ولا فسق فاسق، المعروف فضله وقدره، المخوف بأسه ومكره، المألوف عطفه وبره، الواجب توحيده وشكره، رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق، أحمده على نعمه وفضله، وأستعينه على أقضيته وعدله، وأؤمن بتفرده في حكمه وفعله، وأعتقد أن ليس في الوجود كمثله، وأشهد أن لا إله إلا الله إله أقرَّ بربوبيته كل ساكت وناطق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ونجم الكفر قد حان أفوله، وربع الإيمان قد درست طلوله، وطرف التوحيد قد ظهر عليه همولـه، فدحض الحق معالم الشرك بإظهار أنوار الحقائق، فسلام الله عليه وتحيته، وعلى آله وخليفته، الذي بانت في يوم الغار الحريش شفقته، وسبقت إنفاق الكل عند الأجر نفقته، وثبت بإجماع الأمة من غير خلاف خلافته، وكملت له المناقب وحسنت منه الخلائق، وعلى فاروق الإسلام، وحسام الانتقام، وسراج أهل الجنة الكرام، وكافل الأرامل والأيتام، من جمع بين الفضائل وجميل الطرائق، وعلى ذي النورين الشهيد، ذي الرأي السديد، والفعل الحميد، والمفضل بعدها على القريب والبعيد، الذي سلّم للقضاء المقدور

بقلب ثابت غير خافق، وعلى الأخ المقارب والشهاب الثاقب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كاسر الجيوش والكتائب، وقاتل كل كافر ومبيد كل مارق، وعلى عمه العباس ذي الخلق الرضي، والفضل الأبي، والحسب الزكي، الذي أرخت بدعوته السحب عزاليها بالقطر المتدافق، وسلم وشرف وكرم.

الخطبة الخامسة عشر بغير ضاد

الحمدلله الذي عم العباد بنعمته وإرفاده، وخص العباد بهدايته وتعريفه وإرشاده، خالق النهار بأنواره، والليل بسواده، والغيث بأمطاره، والسحاب بإرعاده، والبحر بحركته والبر بجماده، والفلك بسيرانه والثرى بمهاده، لا شريك معه في صنعته وخلقه وإعداده، ولا ثاني يشفعه في وحدانيته وانفراده، القديم قبل الكون وآباده، الباقي بعد الدهر ونفاده، المنزه في كماله عن نقص الحديث وازدياده، المتعالي عن الجور في جريان أفعاله ومراده، العالم بسر عبده في سويداء قلبه وفؤاده، الخبير بعواقب أحواله في إصداره وإيراده، البصير للنار المستكنّة في ذات الحجر وزناده، السميع فهمس الهامس عنده كإنشاده، القادر بقدرة ذل لها كل جبار بانقياده، المريد بصلاح عبده وفساده، وإيمانه وإلحاده، المستوي على عرشه ومن أنكر فالنص شاهد بمحاله وعناده، ينزل إلى سماء الدنيا ومن بدل فقد بدل صحيح اعتقاده بفساده، قسم الأنام بين سعيد بقربه وشقي بإبعاده، واختص منهم طائفة لمحبته وولايته ووداده، فهم بين متجافٍ لوساده وهاجر لرقاده، كاحل لجفن عينه بعد لذيذ نومه بسهاده، وقال في نعتهم في كلامه القديم الذي لا ينفد ولو كان البحر من مداده، رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده، أحمده على عطفه ولطفه وإسعاده، وأشهد أن لا إله إلا هو باعث الخلائق لمعاده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم أنبيائه ورسله وعباده، صلى الله عليه وعلى أبي بكر الصديق أول من هاجر معه من بلاده، وعلى فاروقه عمر بن الخطاب معز الإسلام بعدله وفتوحه

وأجناده، وعلى زوج ابنتيه عثمان بن عفان مضني الأوقات بأذكاره وأوراده، وعلى أخيه علي بن أبي طالب هازم جيوش الملحدين بنزاله وطراده، وعلى عمّه وصنو أبيه العباس الذي جعل الله من ورائه الخلافة لأولاده. صلاة دائمة ما استنار البيت بزوّاره، والركن بورّاده.

الخطبة السادسة عشر بغير طاء

الحمدلله محيي من أحب من عباده لمناجاته، ومرتضي من شاء من خلقه لمعاملاته، محرك أسرار القاصدين بنفحاته، ومحيي قلوب العارفين بنظر آياته، من عرف حقه ثبت في مجاهداته، ومن ألف فضله وقف مع عباداته، ومن ذاق حلاوة أنسه تفرد من مخلوقاته، ومن أعرض عن سواه نال مقام مكاشفاته[1]، قرن جنته ورحمته بعناياته، وأوعد بعذاب معاقبته على مخالفاته، وأبان برهان إلهيته في موجوداته، وأوضح دليل قدمه بإحداث مبتدعاته، شهدت العقول بتوحيده وتنزه ذاته، وأمر المنقول برفع تشبيهه وإثبات صفاته، القديم في الأزل قبل الزمان وساعاته، الباقي على الأبد بعد إفناء الكون ومحدثاته، الحي فلا فناء يعرض لبقائه ولا زوال يدخل على حياته، العالم بإعلان عبده وإسراره وخفياته، البصير بسيلان الدم وجريان اليم وحركاته، السميع فخافي قول عبده عنده كمناداته، المريد وتباً لمن يزعم أن أفعال العبد باختيار نفسه وإراداته، المتكلم بالكلام الأزلي الثابت قدم سوره وآياته، المستوي على عرشه كما أخبر بصريح كلماته، رؤيته جائزة بالأبصار ومن أنكر فقد تاه في ضلالاته ونزوله ثابت بالأخبار ومن تأول لم يلتفت إلى ترهاته، دع المشبه بغفلاته، والمعطل بمحالاته، وخذ بهذا الاعتقاد فقد أفلح من جعله سبباً لنجاته، أحمده على ما أنعم من فضله وكفاياته، واشهد أن لا إله إلا هو شهادةً

(١) هذه اللفظة من ألفاظ الصوفية المبتدعة.

ادخرها ليوم ملاقاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق في ملاقاته، الصادع بدلالاته، المفضل على الرسل بشرف خصائصه ومعجزاته، صلى الله عليه وعلى آله وأبي بكر الصديق السابق بتصديقه ومواساته، وعلى فاروقه عمر العادل في سيره وحكوماته، وعلى ذي النورين المخصوص بمرافقته في حياته، وعلى صهره وابن عمه ومن خصه «يوم الغدير»[1] بمؤاخاته، وعلى عمه وصنو أبيه العباس الذي توسل المسلمون في المحل بدعواته.

الخطبة السابعة عشر بغير ظاء

الحمدلله عالم السرائر والأضمار، وغافر الجرائم والأوزار، وقاسم الأخلاق والأرزاق والأعمار، وموجد الأكوان والألوان والأرزاق والأعيان والآثار، رافع الشمس بقدرته في أوج الفلك الدوار، ومقدر سيرها بالدقائق والدرج في الطلوع والغروب والاستتار، وجاعلها آية مبصرة في النهار، حتى إذا حفت بها النجوم ابتلاها بالغيوم فأخذت في السرار، وترنمت حداة الرعود فأزهر الغصن بعد الذبول والخمول والانكسار، وهطلت دموع السحاب بالانتحاب فجرى بوابل الأمطار، ولعبت به الرياح فانبسط وساح في فساح القفار، وأومض برقه من خلاله ودقه يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، عارضه الشمال وقد استكمل في جيش كرار، فبرز من كمينه الربيع فثار كطالب ثار، فثار عليه التقشيع فأخذ منه بثار، فحيث انقطع ماء

(١) يوم الغدير، ملخص خبره: إنه لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خُم، ثم دعا صلوات الله وسلامه عليه: الصلاة جامعة نصف النهار حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أتعلمون أني أولى بكم من أنفسكم، قالوا: نعم، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأخذ بيد علي حتى رفعها.
وقد ورد هذا الحديث الشريف في مصادر كثيرة من كتب الحديث والتاريخ بأسانيد متعددة وبصيغ مختلفة، جمع معظم رواياتها الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٠٣ -باب قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» والحديث صحيح رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي ورواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وغيرهم.

دمعه المدرار، ضحكت ثغور الأرض بعده لبعده بالنوار، وانفسحت إلى الضوء كمائم الروض بأسرار الأزهار، وتفتحت العيون عما أكنه كانون فاسترد ودائع الثرى آذار، ونم على الخزافى النمام ففاح أرج نسيمه في الجو وثار، وامتدت عين النرجس في المجلس إلى القيصوم والسوسن والبهار، فخجل الياسمين من الحاضرين عند ذلك (٨١) وغار، وعطف الورد بعد طول الصد على الجلنار، فاشتاقت الشقائق إليهما لمجانسة الاحمرار، وحن الريحان إلى اللينوفر فاطرق إذ نأى المزار، وجالت عساكر الأقحوان فتعلق بهما المنثور واستجار، واستنارت أنوار النسرين فوقف السوسان عند رؤ يته وحار، وصال ريح الشيح فبان نسيم البان والعبيثران وثار، وأيس الآس من الزوال واستطال لدوامه بالافتخار، واكتسى الغصن أثواب الطل فازهر بأنواع الثمار، وأشرق الأترنج في الأغصان كقناديل النضار، وحدّق النارنج من الأوراق كمشاعل من نار، وتحقق الرمان في صدور الأغصان كنهود الأبكار، وتعلق النبق في عيدانه كتعلق الأزرار، وهبت نسائم أنفاس الأسحار، فصفقت ورْق الغصون ورقصت أبدان الأشجار، واطّردت بين خلالها السواقي والأنهار، وتطارحت على أعوادها التمائم والأطيار، وشكا الورشان أشجان الأحزان إلى الهزار، وغنت الحمائم برقة النسائم وجملة الأوتار، فتجاوبت في الهدير بوصف الغدير فتقاطرت من الأوكار، كل ذلك دلالة على قدرة الواحد القهار، وبرهان على نقل الأنام من هذه الدار إلى تلك الدار، ودليل يعتمد عليه أهل البصائر والاعتبار أنه هو الخالق لهذه المخلوقات والموجد لهذه الآثار، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[1]، أحمده حمداً آمل به الفوز بدار القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله قاصم الأشرار، وراحم الأخيار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي العربي

---

(١) الاية من سورة الرعد رقم ٣م.

الهاشمي المختار، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق مؤنسه في الغار، وعلى عمر بن الخطاب معز الإسلام وفاتح الأمصار، وعلى عثمان ذي النورين شهيد الدار، وعلى علي بن أبي طالب المخصوص في الحروب بذي الفقار، وعلى عمه وصنو أبيه العباس بن عبدالمطلب جد الخلفاء الأئمة الأبرار، صلاة دائمة ما تحرك الفلك الدوار، واستلم الركن ورميت الجمار.

الخطبة الثامنة عشر بغير عين

الحمدلله الذي أحرق في طلب قربه أشباح القاصدين وأفناها، وأقلق في طلب حبه أرواح المشتاقين وأضناها، وكشف برهان وحدانيته لأبصار المخلصين وأراها، وأوضح طريق توحيده لقلوب المؤمنين وهداها، خلق النفوس المؤمنة بقدرته لخدمته وسوّاها، وبصرها بجميل رشدها وحذرها بوبيل مرعاها، وحملها إذ كلمها بما حملها من تكليف ما أمرها ونهاها، وشرفها فيما صرفها حيث صرفها من قصر هواها، وارتضاها دون سواها، بما آتاها واصطفاها وحماها فيما أولاها وتولاها، وابتلاها فكتمت شكواها، فكشفت[1] ما غطاها ورآها، وناداها، فأجابت مولاها فوسمها بملكه واشتراها، وخلق النفس الضالة وأقصاها، وصدها وما ذكرها ولا ناداها، أمرها بخدمته فجحدت هداها، كلما همت بالصلاح ردها فسادُها وبلواها، وكلما أنست بالفلاح صدها خذلانها وأقصاها، فسبحان من منح تلك بقربه وأهلك هذه وأشقاها، وأشار لنا إلى ذلك في قوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[2] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[3] أله جل في جلاله من أن تمثل له الخواطر أشكالاً وأشباها، وتنزه في

(١) ب: فكشف.

(٢) الآية الكريمة رقم ٧ك سورة الشمس رقم ٩١.

(٣) الآية الكريمة رقم ٨ك سورة الشمس رقم ٩١.

وجوده وبقائه أن ينفد ملكه أو يتناهى، الخبير بوسـواس الصـدور وأسـرار القلـوب وأخفاها، البصير بحركة النملة وقد أكنها الليـل وأخفاهـا، المدرك لخفـي الأصـوات فسيان لديه سر القلوب ونجواهـا، المتكلـم بسـور وآيـات أنزلهـا وفضلهـا وأحكمهـا وتلاها، فمن قال غير ذلك فبنفسه تلاهى، ذاته ثابتة الوجود وسوف نراها، وصفاتـه ظاهرة الورود كما حكاها، من صدقها فقد مثلها ومن تأولها فقد نفاها، ومن آمن بها فقد نزهها ومن ردها فما أثبت إلهًا، نؤمـن بصفـة استوائه كمـا وصـف بهـا نفسـه وارتضاها، وثبتت الأخبار بنزوله ونصدق قول من رواهـا، ونسـلك طريـق الكتـاب والسنة لا نتخطاها، وندين بظواهر أخبار الصفات ولا نتكلف كيف ما نظم سـواها، ونقفو أثر السلف ولا ندخل في إيماننا اشتباها، ونهجر اختلاف طوائف المخـالفين في نصر الحق ولا نتولاها. هذه سبيل أهل النجاة فاحتفظ بها فقـد خـاب مـن ينسـاها، وفارق بإيمانك فرق الضلالة فإن الشيطان أرداها، أحمده حمداً أؤمـل بـه مـن مراتـب الزيادة أقصاها، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادةً أطلب بها من منازل الشهادة أسناها، وأشهد أن محمّداً نبيـه ورسـوله أرسـله والبـاطل قـد درس رسـوم الحـق وأخفاهـا، وكشف بنور رسالته ظلم الضلال وجلاها، فصلوات الله واصلة إليه ما جرى القمـر بسير الشمس وتلاها، والى صاحبه أبـي بكـر الصديـق وارث خلافتـه وأفضـل أمتـه وأتقاها، وإلى الفاروق الذي أنال الخلافة حقهـا وأرضاهـا، وإلى ذي النوريـن الـذي جهز الجيوش وحفر البئر وبناها، وإلى أبـي السـبطين الـذي أراق سـيف قهـره دمـاء المشركين وأجراها، وإلى صنو أبيه الذي أنزل الله ببركة شيبته مـن السـحاب أمواهـا، وسلم وشرف وكرم.

الخطبة التاسعة عشر بغير غين

الحمدلله الذي خلق الإنسان من نطفـة أمشـاجا، وجمـع بقدرتـه عنصـراً وطباعـاً ومزاجا، وجعل بحكمته وعلمه لمسلك دمه عروقاً وأوداجا، وقدّر أخـلاق حركتـه في

ظلمة بشيمته هدواً وانزعاجا، الواحد الذي أوضح لبريته إلى طرق خدمته منهاجاً، وفطر خواطر خليقته في مفاوز معرفته أدلاجا، رفع الفلك وقسمه درجاً ومنازل وأبراجا، وحير فيها الفهوم وجعل الشمس سراجا وهّاجا، وسطح الثرى بساطا للورى وسلك فيها سبلاً فجاجا، وحفظه عن الزوال ورفع عنه الخبال اضطرابا وارتجاجا، وانفرد لنفسه بالانفراد، وجعل المحدثات افراداً وأزواجا. ونبه العقول لتقف على ما يقول وخاطب بقوله وناجاه ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾(١)، أحمده إذ وصل إلي بنور الإيمان ابتهاجاً، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أدَّخِرها ليوم أكون فيه محتاجاً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكرمه بالرسالة وجعل له إليه معراجا، فصلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي ألبس الإسلام بفضله وبعدله تاجا، وعلى عمر الفاروق الذي جعله الحق لأهل الجنة سراجا، وعلى عثمان ذي النورين الذي كان بحر حياته عجاجا، وعلي علي بن أبي طالب الذي دهم المجرمين بسيف نقمته وفاجا، وعلى صنو أبيه العباس الذي أنزل الله بدعوته من السحب وابلاً ثجاجا، صلاةً دائمة ما رفع اصطكاك المطايا فوقف عجاجا، وجمع جمع «منى» فجاجا، وشرف وكرم.

الخطبة العشرون بغير فاء

الحمدلله الذي نصب على وحدانيته من صنعته دليلاً، وجعل لخاصته إلى طريق خدمته بعنايته سبيلاً، ووعد عباده على يسير عبادته براً جميلا، وكان لخلقه على ما ضمن من رزقه وكيلا، المتعالي بجلال كمال عظمته أن تحيل له الأمثال تشبيهاً وتمثيلاً، لا يحتجب عن سمعه صوت ناطق صيِّتاً كان أو ضئيلاً، ولا يغيب عن نظره حاضر

(١) الآيات الكريمات ٦-٨ك سورة النبأ رقم ٧٨.

ولا غائب قبيحاً كان أو جميلاً، ولا يعزب عن علمه إدراك معلوم كثيراً كان أو قليلا، ولا يخرج عن إرادته أمر رشاداً كان أو تضليلا، لا يختص عن قدرته مخلوق جباراً كان أو ذليلا، أودع كتابه من أسرار دينه أمراً ونهياً وتحريماً وتحليلا، وامتن على رسوله بإنزاله حيث قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾(١) من عدل عن خدمته أصبح بصارم عقوبته قتيلا، ومن أعدل بصدق طاعته نال عند رجعته ظلاً ظليلاً، ومن استروح اليوم بمعصيته حمل يوم محاسبته حملاً ثقيلا، ومن أعرض عن سلامته حضي بندامته يوم تكون الجبال كثيباً مهيلاً ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾(٢)، أحمده على نعمه بكرةً وأصيلا، وأشهد أن لا إله إلا هو الله شهادة أطلب بها من الحق مقاماً، جليلا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اختصه بشيرا ونذيرا وحبيباً وخليلا، صلى الله عليه وعلى أبي بكر الصديق الذي جرد على عنق التكذيب بتصديقه حساماً صقيلا، وعلى عمر بن الخطاب الذي كمل الله به الإسلام تكميلا، وعلى عثمان ذي النورين الذي قام بالقرآن ليلاً طويلاً، وعلى علي بن أبي طالب الذي أباد المشركين قبيلاً قبيلا، وعلى عمه وصنو أبيه العباس الذي جمع من مناقبه حسبا جميلاً وشرف وكرم.

الخطبة الحادية والعشرون بغير قاف

الحمدلله ساتر المعائب، وغافر الشوائب، وراحم التائب، وموقف الطالب، وماتع الشاكر والكافر والحاضر والغائب، والذاكر والجامد والنائب، رافع السماء ومزيّنها بزينة الكواكب، ومدبر حركات سيرها في الطوالع والغوارب وساطح الأرض على الماء باختلاف المسالك والمذاهب، ومودعها بحكمة لطائف الحِكم وغرائب العجائب،

(١) الآية الكريمة رقم ٢٣م سورة الإنسان رقم ٧٦.

(٢) الآية الكريمة رقم ٢٤ك سورة الفرقان رقم ٢٥.

المنزه في وحدانيته عن المساعد والمصاحب، المتعالي في فردانيته عن المشارك والمناسب، العالم باختلاج الجنين وبخفي الأغراض والمآرب، المريد لما يدخل في الوجود من خير وشر ومسنون وواجب، السميع فهمس الهامس عنده كضجيج المخاطب، البصير لدبيب النمل على صفا الرمل في حنادس الغياهب، المتكلم بالكلام الأزلي الجاري على لسان التالي وبنان الكاتب، المستوي على عرشه وإثبات تأوله بمعنى الاستيلاء عازب، ينزل إلى سماء الدنيا في كل ليلة جمعة(١) والخبر بدليل ذلك غير كاذب، من عدل في ذاته إلى التمثيل عمت عليه سبل المطالب، ومن مال في الصفات إلى التعطيل رجع بأملٍ خائب، ومن صرف كلامه إلى التأويل ادعى مشاركة في العلم الغائب، ومن نزهه عن الأشباه والتكييف حظي بأحسن المكاسب، ومن وصفه بما أخبره أتانا بإيمان صائب، هذا مذهب أهل السنة فإياك ومذهب الأجانب. أحمده على ما منح من الصبر على المصائب، وأشهد أن لا إله إلا الله إله بسط بره على كل غارب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المخصوص بأرفع المنازل وأشرف المناصب، وصلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق المفضل بما ثبت في صدره على كل صاحب، وعلى عمر بن الخطاب خير خلف وأفضل نائب، وعلى عثمان ذي النورين ذي الذهن الوافر والعمل الدائب، وعلى علي بن أبي طالب كاسر الجيوش وهازم الكتائب، وعلى العباس بن عبدالمطلب الذي هطلت بدعوته الغيوث السواكب، صلاة دائمة ما لمع نجم طالع وخفي بسير غارب، وشرَّف وكرّم.

الخطبة الثانية والعشرون بغير كاف

الحمدلله موقظ الغافل، ومبغض الرافل، ومظهر الحق على الباطل، وموضح

---

(١) لا يخص نزول الرب سبحانه وتعالى بليلة الجمعة بل ينزل ربنا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «هل من داعٍ فاستجيب له، هل من سائل فاعطيه» وهكذا في جميع ليالي الأسبوع دون تحديد كما ثبتت السنة بذلك.

بدائع الشواهد وقواطع الدلائل، ومرسل فاضل الخلائق بلوامع الرسائل، وقابل الوسائل، ورافع المنازل، ومجيب المضطر السائل، العادل عن خدمته غير عادل، والغافل عن معاملته غير عاقل، قضى بالفناء على عباده وارتضى لنفسه دواماً غير زائل، وأجرى قلم القدرة على عباده فهم بين مقصر وطائع وبطال وعامل، الواحد لا من عدد متواصل، الفرد الصمد المتنزه عن المشابه والمماثل، الحي بحياة منزهةٍ عن نقائص المحمول والحامل، القادر بقدرة نافذة بغير مانع ولا حائل، المريد بإرادة لا يخرج عنها هجر هاجر ولا وَصْلُ واصِل، السميع لحنين الوُرْق على الوَرَق وشجو البلابل، العليم بخفي خطرات السرائر وبلبال البلابل، البصير بجريان الدم في عروق الذابل الناحل، المستوي على عرشه ومن قال في الاستواء كيف فهو جاهل، الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه باطل، ينزل إلى سماء الدنيا فلا يرد سؤال سائل، ولا أمل آمل، ومن قال لا في الإثبات إلى التمثيل عاد بعقل ذاهل، ومن وقف في التنزيه على التأويل فالله عند لسان كل قائل، ومن ظن أن التوحيد في التعطيل لم يظفر في الإيمان بطائل، ومن طلب سبيل النجاة سلم علم المنقول إلى الناقل، ومن أحب إصلاح العقيدة لم يصغ بسمعه إلى قول متحامل، هذه طريق النجاة فلا تمل عنها وسر في الأوائل. أحمده على إنعامه ولطفه الشامل، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أعدها ليوم الخطب النازل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله من أشرف المناسب والقبائل، صلى الله عليه وعلى صاحبه الصديق المرافق الموافق الباذل، وعلى الفاروق العادل، وعلى عثمان المقتول ظلماً ولم يقاتل، وعلى علي بن أبي طالب ذي المراتب والمناقب والفضائل، وعلى عمِّه وصنو أبيه العباس أبي الخلفاء الراشدين الأفاضل، صلاة دائمة ما استبق حمام حافل، واندفق غمام هاطل.

الخطبة الثالثة والعشرون بغير لام

حمدت نعمة ربي حمد معترف بتقصيره، خائف من نقمة بعثه ومصيره، حذر من رده وتعسيره، طامع في عفوه ورحمته وتيسيره، رب قدير قدر فقدر وأحسن في قدرته وتقديره، وأنشأ وصور وأتقن في إنشائه وتصويره، وحكم وأحكم ما أوجده بحكمته وتدبيره، أحرق أرواح محبّيه بنار تحيره، وهيم همم طائعيه بسطوة تحذيره، وخص خواص قاصديه في طريق قصده بتخفيره، امتحن دعاوى مريديه بعد صفاء قربه بتكديره، وخبر أسرار عبده وهجسات ضميره، وأحاط بكنه طوياته في إظهاره وتسريره، ثبت قدم ذاته بحدث مصنوعاته وتجبيره، وظهر برهان وحدانيته بإبداع مبدعه وتصويره، من تقدم بطاعته فبتقديمه، ومن تأخر بمعصيته فبتأخيره، ومن جحد فبمشيئته وقضائه، ومن أقر فبتوفيقه وتسخيره، قدرته نافذه في غني مصنوعه وفقيره، وإراداته ثابتة في كثير كسب عبده وحقيره، سمعه وبصره صفتان فمن أنكرهما فبفساد رينه وتزويره، وكتابه ونبيه حجتان ومن ردهما فرده طريق تكفيره، هذا اعتقاد من حرس من إفراز شيطانه وتغريره، واستعد بحفظ اعتقاده جواب منكره ونكيره، أحمده في عسير أمره ويسيره، وأشهد أنه رب رغب في نعيمه وحذر من سعيره، وأشهد بنبوة عبده ونبيه وبشيره ونذيره، شرّفه بمقام قربه ودنوّ رفعته وتوقيره، وأبتعه بصدّيقه ومؤنسه وضجيعه ووزيره، وفاروقه ومعزه ومشيره، وزوج ابنتيه ومجهز جيش عسرته وحافر بيره، وبأخيه وابن عمه ومن خص بمؤاخاته يوم غديره، وبعمه وصنو أبيه حين أمر بإكرامه وتوقيره.

الخطبة الرابعة والعشرون بغير ميم

الشكر لله الذي جاد بفضله على واجديه، وجاد ببذله على سائليه، وأسبل ستر لطفه على هاجريه، وأجزل برَّ عطفه على ذاكريه، قرب فدنا بوجوده إلى طائعيه، وبعد فلا أحد يدانيه، جلاله أزلي لا جلال يساويه، وبقاؤه أبدي لا فناء يعتريه،

وانفراده ثابت لا ننفيه، وسلطانه ظاهر لا نخفيه، الأول قبل الكون وساكنيه، الآخر على الأبد بعد الدهر وأهليه، الحي فلا فناء يدخل على حياته فينفيه، القادر وكل قادر سواه عجزه يرديه، القاضي فكل فعل في خلقه بإرادته يقضيه، إن نزل بلاؤه قصر العبد عن تلافيه، وإن توالى عطاؤه عجز عن شكر تواليه، يدرك الطالب وقاصيه عنده كدانيه، ويحيط بسر الراغب وخافيه، ومضمره عنده كباديه، ويبصر حركة الذر في وهاد الثرى وعاليه، لا يشتبه عليه حاجات راجيه، ولا تختلف لديه أصوات داعيه، قوله حق وإنزال كتابه لا شك فيه، وخبرة الصدق وثبوته لا إبطال فيه، استواؤه ثابت بالنص ولا حجة لجاحديه، ونزوله وارد في النقل بطريق لا يطعن فيه على راويه، القائل في ذاته بالتكييف هالك بالتشبيه، والحاصل في صفاته بالتحريف شيطان ضلاله يغويه، والحائد عن ظاهر النقل إلى تصريف العقل غير فقيه، والآخذ في التوحيد بالتصديق سالك طريق التنزيه، والعاقل راجع إلى حال عن حال لا يعنيه، والنجاة في رد الخبر عند ذاكريه إلى ناقليه، هذه عقيدة أهل الحق فاجعلها جوابك حتى تلاقيه. اشكره على عطائه الذي لا أحصيه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أعدها لِهَوْلٍ أتقيه، وأشهد أن سيد الأولين والآخرين عبده ورسوله الذي فرض علينا أن نطيعه ولا نعصيه، صلى الله عليه وعلى آله وصدّيقه وناصره وتابعه وثانيه، وعلى وزيره وفاروقه وخليفته وثانيه، وعلى ذي النورين ابن عفان كاتب القرآن وتاليه، وعلى علي بن أبي طالب زوج ابنته وحليف طاعته وأخيه، وعلى العباس الذي أخبر أن الخلافة في بنيه.

الخطبة الخامسة والعشرون بغير نون

الحمدلله الذي ذلت لعظمته رقاب الجبابرة وخضعت، وخرت لعزته جباه الأكاسرة واتضعت، وحادت في طلب كيفيته خواطر الإلحاد وتقطعت، وتزلزلت لهيبته صم الصخور وتصدعت، حث السحاب السائرة بالرياح فتألفت واجتمعت، وأجراها بتقدير السوق في فسح العلو فارتفعت، وزجرها بالرعود القاصفة فزجرت وأبرقت ولمعت، أرسلها إلى الأرض الموات فأغرقت حياضها وأترعت، وفرَّقها من

بعد ما لفقها فتفرقت في الأقطار وتشعشعت، وابتسمت ثغور الأرض فأبدت ودائع زهرها وأطلعت، وأطلع الحق فيها آثار رحمته فجالت فيها الأبصار ورتعت، وأودعها دلائل قدرته فتعلقت بها الأفكار وبرعت، إلهٌ ارتاعت لسطوته أرواح البريّة وجزعت، وتعلّقت بعواطف رحمته قلوب العصاة وتجمعت، يبصر دبيب الذرة على سواد الصخرة إذا سعت، ويسمع صوت الحمام وهمس أقدام البهائم إذا رتعت، ويعلم خفيَّ ما أوحت الأسرار إلى الضمائر وأودعت، ويزيد على وفق إرادته خلق الخلائق وطبعت، وتكلم بكلام وصل إلى الأسماع ووعت إليه وسمعت، يوصف بالاستواء على عرشه كما قال وضرورة التأويل ما دعت، ويشرف السماء الدنيا كل ليلة جمعة[1] والأخبار بذلك قد وردت وجمعت، هذا مذهب أهل الحق إياك وفرق الضلالة وما ابتدعت. أحمده على أياديه التي عمت واتّسعت، وأشهد له بربوبيته التي ردت دلائلها حجج أهل الشرك وقطعت، وأشهد برسالة محمّد عبده ورسوله الذي خاطبته الظبية وسلمت عليه وسمعت، صلى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبي بكر الصديق الذي اتفقت على تصديقه وفضله الصحابة وأجمعت، وعلى عمر الفاروق الذي أقامت درته هيبة السياسة وردعت، وعلى شهيد الدار الذي صبرت روحه الكريمة على مرارة كأس البلاء وتجرعت، وعلى الإمام الذي تفرقت به جيوش الكفار وتصدعت، وعلى عمه العباس الذي هطلت بدعوته آماق السحب وهمعت، صلاة دائمة ما وقفت وفود الحجيج بجمع وجمعت، وسعت في مساعي الصفا والمروة وتمتعت.

الخطبة السادسة والعشرون بغير هاء

الحمد لمن أوجب الحمد على الخلق استحقاقا، وضمن للعبد حصول الرزق انعاما وارفاقا، رافع السماء بغير علائق سبعا طباقا، ودحا الأرض وجعل الجبال

(١) تقدم التعليق على تخصيص ليلة الجمعة بنزول الرب سبحانه في الخطبة -الحادية والعشرون بغير قاف-

أوتادا وأطواقا، قدر سير النجوم بالقدر المعلوم غروباً وإشراقا، وأسرى الشمس والكواكب الخنس اتصالا وكمالا ومحاقا، وكمل خلق الإنسان تصويراً وأخلاقاً وأجالاً وأرزاقاً، وصرّف الأحوال والطباع فقراً وغناء وبخلاً وانطلاقاً، وأمر قلم التقدير فخط الأعمال غيا ورشادا وإيمانا ونفاقا، أوضح على القدم من حدث المخلوقات دليلا مصداقا، وأحاط بسر الضمير وحركة الطرف رمقا وإطراقا، واتصف بالسمع والبصر والكلام والاقتدار إجماعا وإفراقا، استوى على العرش ومن مثل فقد ارتكب زوراً واختلاقاً، أحمد ربي إذ رفق بي عطفاً وإشفاقا، وأقر أن خالقي واحد أحد أخذ بالتوحيد على البرايا ميثاقا، وأؤمن أن محمداً رسول الله اخترق في الإسراء حجب السبع الطباق اختراقا، فصلى الرب على الرسول المفضل على الخلائق فضلاً وفعلاً ونسباً وأخلاقا، وعلى أبي بكر الصديق أفضل الناس إسلاماً وتصديقاً وإنفاقا، وعلى الفاروق الذي فرق بين الحق والباطل افتراقا، وعلى عثمان بن عفان الذي لم يزل إلى الخيرات سباقا، وعلى علي بن أبي طالب الذي كسر الأوثان وجندل الفرسان ولاقى، وعلى العباس بن عبدالمطلب الذي جرت عزالى السحب لما أشار بالدعاء انبجاسا واندفاقا.

الخطبة السابعة والعشرون بغير واو

الحمدلله خالق الأنام، مصرف الأحكام، رافع الأسقام، دافع الآلام، الملك الجبار الذي لا يضام، القادر القاهر الذي لا يرام، القديم في الأزل قبل تتابع الأيام، الباقي على تعاقب الدهر بغير انعدام، الحي بحياة منزهة عن حدث الأجسام المتعالي عن الكلال المنزه عن المنام، الممجد في بقائه عن الفناء المعظم في إيراده عن الانقسام، السميع لاختلاف نغم هديل الحمام، البصير بحركة الذر تحت ادلهمام الظلام، الخبير القدير البصير العلي العلاّم، المتكلم بكلام قديم أعجز بفصاحته كل كلام، المزيد فمن سلم إلى إرادته نال مراتب الكرام، من حرف ما عرف من الصفات ألحق إلاهه بالأصنام. ومن نجا من التكييف بالأخبار الصحيحة استقام، هذه عقيدة طريق المحققين فمن أراد السلامة فهذا الإسلام، أحمده على ما أعمني به من الإنعام، حين

ألهمني أن اشهد أن لا إله إلا الله المؤمن السلام، مخلصاً في الطلب لدار السلام، شاهداً أن محمداً نبيه عليه السلام، صلى الله عليه صلاة دائمة تجمع في أطرافها السادة الأئمة الكرام، أبابكر الصديق المقدم الإمام، ثم عمر بن الخطاب ربيع الأنام، ثم على عثمان جامع الكلام، ثم على علي بن أبي طالب مُجَنْدِلْ الأبطال بالحسام. ثم على عمه العباس بن عبدالمطلب جد الخلفاء الكرام الأعلام، صلاة دائمة ما طلع نجم في ظلام، على ممر الساعات وتعاقب الأيام.

الخطبة الثامنة والعشرون بغير لا

الحمدلله الذي من آمن به أمن، العطوف الذي أنعم على عباده بالفضل له وأذن، الباقي وجل أن ينعدم الواحد وعز أن يقترن، الحاضر وتقدس عن أن ينحصر الغائب وتمجد أن يجتنن، ويسعد ويسلب ويرتهن، ويحبط ويعلم وسيّان في علمه ما ظهر وبطن وخزن، ويسمع ويبصر والبادي عنده كالمستكن، يتكلم ويسمع ومن قال بخلق كتابه لعن، ومن مال إلى التشبيه في استوائه فتن، ومن قال بالتأويل في نزوله أراد أن يوحد وما حسن، ومن انصرف عن سوق العلم قانعاً ببضاعة الجهل فقد غبن، ومن أحب النجاة من الندامة لم يتعرض لسان مالم يبن.

هذا اعتقاد أهل الحق والمؤمن كيس فطن، أَحْمَدُهُ حَمْدَ معتمد على فضله مرتكن، وأشهد أنه واحد في ملكه شهادة عبد هالك إن لم يعن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل منتعل وأشرف مختتن، صلى الله عليه وعلى آله ومؤانسه حين هاجر وضجيعه حين دفن، وعلى عمر الفاروق العادل الناطق بالصواب اللسن، وعلى عثمان القائم بحق المسلمين حين طعن، وعلى علي بن أبي طالب الذي وعد محبِّيه بالجنة بموطن وطيء غير خشن وضمن، وعلى عمِّه وصنو أبيه العباس الذي هطل بدعوته وابل الغيث وهتن.

الخطبة التاسعة والعشرون بغير ياء

الحمدلله الأول ولا موجود حاضر، الآخر ولا خراب ولا عامر، الفرد المنزه عن إحاطة الأوهام والخواطر، الأحد المقدس في ذاته عن مجانسة الأجسام والجواهر، خالق كل شاكر وذاكر، ورازق كل جاحد وشاكر، ومعدم كل منظور وناظر، وباعث كل مقبور وداثر، إن أخفى العبد فهو سامع وإن أسر فهو ناظر، وإن كتم فهو عالم وإن عصى فهو قادر، أراد عمل كل عامل من مؤمن وفاجر، تكلم فأسمع ووعد بنظر ذاته بهذه النواظر، استوى وصفة ذاته والممثل لها كافر، ونزوله لا يشبه مخلوقاته والنقل به متواتر، هذا مذهب أهل الحق وما الجاحد كالمثبت ولا الراقد كالساهر، أحمده لعموم إنعامه السابغ الغامر، وأشهد أن لا إله إلا هو الراحم الغافر، وأشهد أن محمداً رسوله المبعوث بالأدلة القواطع والحجج البواتر، فسلام الله له مواصل ما لاح برد لامع وأشرق صبح ظاهر، مواصلاً لأصحابه الأنجم الزواهر، الإمام السابق المنفق الناصر، والإمام الفاروق العادل فاتح الفتوح ومجهّز العساكر، والإمام عثمان بن عفان صاحب الصبر الظاهر والورع الوافر، والإمام الشجاع الفارس المبارز قاتل كل مارق ومُجَدِّل كل كافر، والعباس بن عبدالمطلب المخصوص بالعقب الفاخر، والحسب الطاهر، وشرّف وعظم وكرم.

الخطبة الثلاثون بغير نقط

الحمدلله الواحد الأحد، وكل أحد سواه مطلع الاعداد، العادل الصمد، ولا والد ولا ولد، ملك وصور وحكم ولا مساعد ولا إسعاد، وأمهل وأهلك أهل الرد والإلحاد، وسمك السماء ومسك ولا حامل ولا عماد، وسطح المهاد وأوسع ولا أوطار ولا وساد، وكل طامع حاد عما سمع حال حاله لما حاد، ولا وصول إلا لوالهٍ صد لأمل الوصال حلاوة الوساد، ولا ورد إلا الساهر وأورد طعم المورود مرار

السهاد، إله وعد أهل السعادة أعلى محل وأكرم مـراد، وهـدى أهـل الإهمـال سـوء المرصاد وهول المعاد، عالم سامع مـدرك مسـمع لاعمـل لعـامل إلا مـا أراد، الملحـد هالك والموحد مالك ومسلك السلامة سعادة الوراد، أحمده وأوحده حمداً أعـده للأهوال الحداد، وأمدح رسوله أكرم العموم وأكرم الآحاد، سـلام الله واصـل ما لاح لامع وأدلهم سواد، مواصل صدور أهل الكمال والسداد، وسلم وكرم. وصلى على محمّد المكرم.

تمت الخطب والحمدلله وحده[1]

****

(١) بعدها في ب: وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

من روائع الوعظ الإسلامي

الكتاب الثالث

رؤوس القوارير

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه

الأستاذ هلال ناجي

وليد بن أحمد الحسين

أبو عبد الله الزبيري

المقدمة

الحمدلله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمّد وآله وصحبه وسلم.

فهذا الكتاب الثالث الموسوم بـ-رؤوس القوارير- والذي قسمه ابن الجوزي رحمه الله إلى أربعة أبواب مختلفة المشارب فجعلها كالتالي:

الباب الأول: في ذكر المختار من الخطب وفيه إحدى وثلاثين خطبة ختم كل خطبة بآية من كتاب الله والتزم في كل خطبة السجع بحرف من حروف الهجاء، وتفتقر هذه الخطب إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف والشواهد الشعرية وكثير من الجُمَل المسجوعة في هذه الخطب هي عبارة عن إشارة إلى حديث نبوي أو قصة أو مناسبة أو غير ذلك.

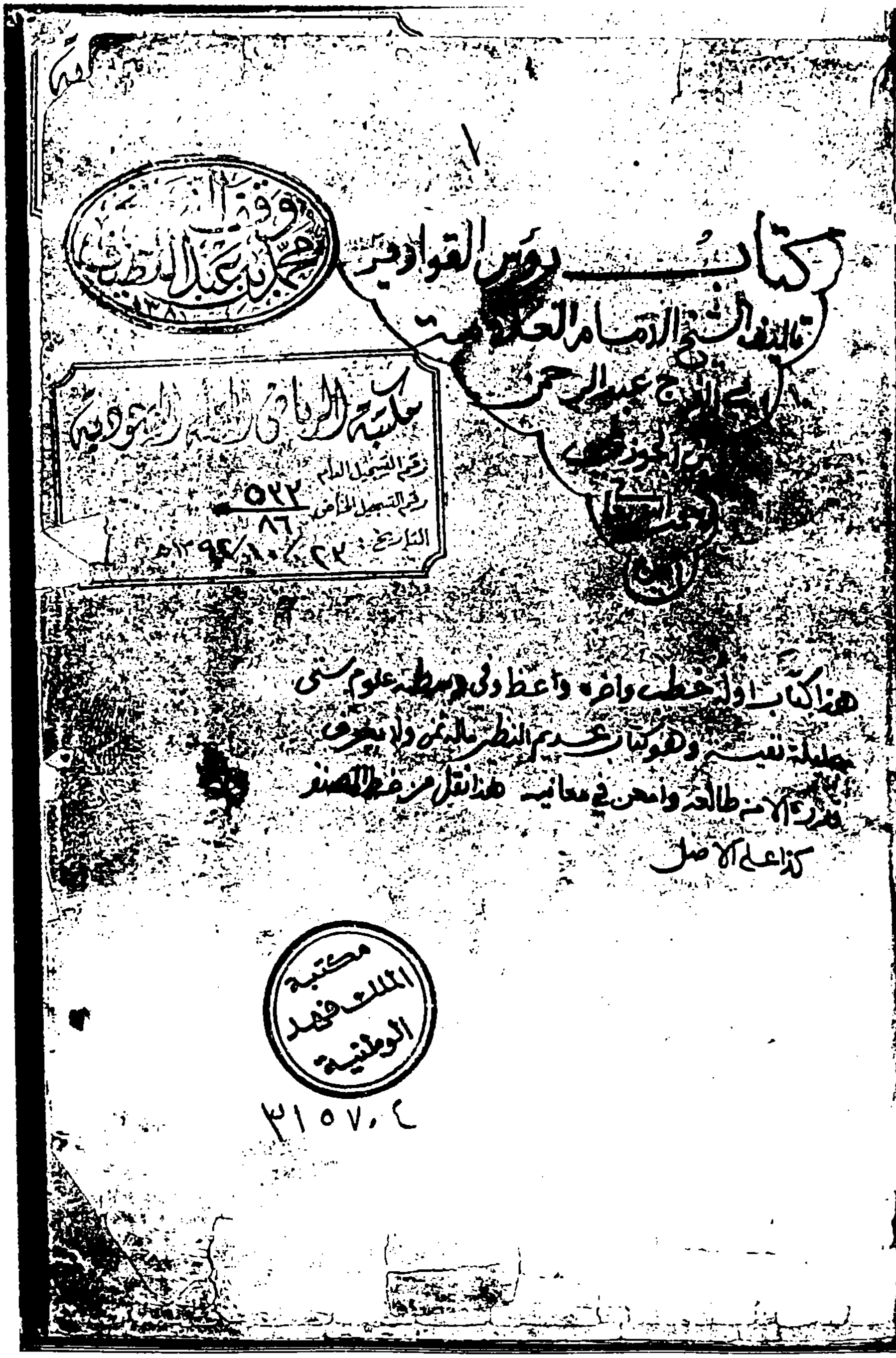
الباب الثاني: خص ابن الجوزي رحمه الله هذا الباب بـ-تصرف اللغة وموافقة القرآن لها ـ وقسمه إلى فصول مجموعة في خمسة وثلاثين فصلاً جمع فيها من الفوائد والشرائد العربية المختلفة.

الباب الثالث: أودع فيه المؤلف من الطرف والنتف والفوائد العامة والأسئلة وجمع فيه ثمان وعشرين فصلاً.

الباب الرابع: هذا الباب عبارة عن مجموعة من الحكايات المتسمة بالوعظ التذكير والطرف العِبَر وهي ثلاثة وثلاثون فصلاً وقد تجد ضمن هذه الحكايات من الغرابة والنكارة دون أن يعلق عليه بشيء وهذا أسلوب اعتاده ابن الجوزي في كثير من مؤلفاته.

وصف المخطوطة:

المخطوطة المعتمدة في هذا العمل هي نسخة تفضلت بها مكتبة الملك فهد الوطنية بالمملكة العربية السعودية في الرياض تتسم بجمال الخط ووضوحه وقد كتب في آخرها [آخر الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته وسلامه على سيدنا محمّد النبي الأمي وآله وصحبه قال في الأصل وفرغ من نسخه يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان سنة خمس وأربعين وستمائة هـ وقد حصل الفراغ من خطه يوم السبت تاسع ذي القعدة سنة ١٣٢٥هـ على يد كاتبه عبدالرحمن بن عثمان النجدي] كما أحب أن أشير إلى أن الكتاب طبع عام ١٩٥٠م أي قبل خمسين سنة في مصر فكانه في عداد المخطوط كما أني استفدت من التعليقات المهمشة في تلك الطبعة إلا أن تلك الطبعة لم ترفق معها صورة من المخطوط.



كتاب رؤس القوارير
تأليف الشيخ الإمام العلامة
أبي الفرج عبد الرحمن
بن الجوزي
رحمه الله
آمين
وقف محمد بن عبد اللطيف
مكتبة الرياض السعودية
رقم التسجيل العام ٥٢٢
رقم التسجيل الخاص ٨٦
التاريخ ٢٢/١٠/١٣٩٤هـ
هذا الكتاب أوله خطبة وافرة واعظ وفي وسطه علوم شتى
جليلة نفيسة وهو كتاب عديم النظير بالمثل ولا يعرف
قدره إلا من طالعه وامعن في معانيه هذا نقل من خط المصنف
كذا على الأصل
مكتبة الملك فهد الوطنية
٣١٥٧٠٤

انتخبته هذا وقد قسمته اربعة ابواب الباب الاول
في ذكر المختار من الخطب الباب الثاني
في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها الباب الثالث
فيه طرف ونتف واسولة الطائف الباب الرابع
في المتعلق بالوعظ ولما كان اصل هذا الكتاب
بالاضافة الى علوم الوعظ والتحذير سميته بروس
القوارير فان الاطبا ياخذون من كل قارورة فيها
شراب شيئا فيمزجونه فيحدث منه دواء لا يحصل
من مفرده وهذا منتخب منه واسال الموفق لكل
مطلوب بلوغ لكل محبوب

الباب الاول في ذكر المختار من الخطب الخطبة الاولى

الحمد لله الذي انشا الادمي من ماء ضعيف وقوى وغربل
اللبن بغربال اللطف فتقوى بصنعته
استدار المصير وتحوى ولشكر نعمته سجد المصلي وخوى
يصوركم في الارحام ولا يدري ادم و لا حوا وينزل
القطر فينبت السماك والعوا ولا يخفى رزق الحمل
ولا يهمل قوت النمل ولا الحيات في الرمل تطوى تحت
اجل فكرك في اركانك وتدبر بناء بنائك ويكفي في

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، خلق الإنسان من صلصال، ووفقه لمعرفة ما يحتاج إليه في سائر الأحوال، ثم جعل فريقاً إلى الهدى وفريقاً إلى الضلال، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وصحبه والآل، صلاة دائمة إلى يوم الدين والمآل.

أما بعد: فقد أكثرت من نقل الفوائد، والتنقيب على كل ما هو مستحب مفيد لا يكلف القارئ وفائدته أعظم الفوائد، وعندما رأيت الحاجة ماسة إلى وضع كتاب ملمّ بما كتبت عدت لتنقيح ما كتبت، ثم انتخبت منها كتاباً قسمته أربعة أبواب:

الباب الأول: في ذكر المختار من الخطب. الباب الثاني: في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها. الباب الثالث: فيه طرف ونتف وأسئلة. الباب الرابع: في المتعلق بالوعظ.

ولما كان أصل هذا الكتاب بالإضافة إلى علوم الوعظ والتحذير. سميته [برؤوس القوارير] فإنّ الأطباء يأخذون من كل قارورة فيها شراب فيمزجونه فيحدث منه دواء من مفرد، وهذا منتخب منه.

والله الموفق لكل مطلوب. والملفق لكل محبوب.

الباب الأول
في ذكر المختار من الخطب

الخطبة الأولى

الحمدلله الذي أنشأ الآدمي من ماء ضعيف وقوى، وغربل اللبن بغربال اللطف فتقوى، بصنعته استدار المصير وتحوى، ولشكر نعمته سجد المصلي وخوى، يصوركم في الأرحام ولا يدري آدم ولا حوّى، وينزل القطر فبهت السماك والعوى، ولا ينسى رزق الحمل، ولا يهمل قوت النمل، ولا الحيات في الرمل تطوّى. أجل فكرك في أركانك، وتدبر بناء بنانك، ويكفي في العبر نطق لسانك، إذا تلوّى، فإن عرفت ما أنعم به وأبلى، وتيقنت ما أسدى وأولى، فـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾[1].

الخطبة الثانية

الحمدلله الذي يجيب سائله ولا يخيب، ويثيب معامله حين ينيب، ويغيث بالصلاح من يعيث ولا يغيب، ويطنب ذاكره وذكره يطيب، يسمع حنين النيب، إذا ترنم حداتها بالنسيب ويبصر دبيب الماء في العودين اليابس والرطيب، ويعلم عدد ما يحوى من الذر الكثيب، وقدر ما قد رمى به الواجد الكئيب، يقسم الرزق فلا ينسى الحوت في البحر والعفر[2] في الشناخيب[3]، ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) الآيتان الكريمتان رقم ١-٢ من سورة الأعلى رقم ٨٧.

(٢) جمع أعفر وعفراء: وهي نوع من الظباء يعلو بياضه حمرة.

(٣) جمع شنخوب بالضم: وهو رأس الجبل كالشنخوبة بالضم والشنخاب بالكسر.

الخطبة الثالثة

الحمدلله منشئ الكون ومبدع عجائبه، وجاعل الآدمي خالص لبابه، حكم بالإسعاد والإشقاء ولم يحابه، فأي درع يقي وقع السهم من صيابه، كل النفوس عطشى إن لم تنل من شرابه. وكل البرق خلب إن لم يقع في سحابه، وكل السير باطل إن لم يكن في ركابه، لا كانت الدنيا لولا السعي في طلابه، تلمح عجائب صنعته فهل له من مشابه، أما ساق ساقي المزن على جنوب الجنوب فمشى به، فإذا بهر صوت الرعد واشتهر سيف البرق رمى جميع أسلابه، فإذا انتهى نقيه وفرغ محض أو طابه، تبدل الروض سجع حمامه عن حنين نابه[1]، وطرب كل غصن فصافح الأرض بأهدابه، وماس[2] الربيع في ثياب الصبا ميس الصبى في شبابه، وصوت النبات بالشكر لو أنك تدري من عنى به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[3].

الخطبة الرابعة

الحمدلله فالق النوى والحبوب، وخالق الصبا والجنوب، المنزه عن الآفات والعيوب، المطلع على خفيات الغيوب، أحيا بعد البلى لافى التراب جسم أيوب، ورد بعد البعد يوسف على يعقوب، يبصر دبيب الدم في العروق عن المطعوم والمشروب، ويسمع أخفى أصوات الأوراق طفقن يصطفقن عن هبوب، أرسل الرياح تحمل السحاب الغائب على أن يئوب، فإذا زجر الرعد ضحك البرق لتلك الخطوب، فانفجرت عيون المزن فجرت كدمع الحزن المسكوب فبرزت الثمار من

(١) هي الناقة المسنة جمعها أنياب ونيوب.

(٢) ماس: تبختر، والمياس والمائس والميوس: هو المتبختر.

(٣) الآية رقم (١٤١)ك من سورة الأنعام رقم ٦.

الأكمام، تنادي بلسان الإعلام، ما يقدر شيء من الأصنام على إنشاء أنبـوب، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[1].

الخطبة الخامسة

الحمدلله الذي يختار من يشاء ويجتبي، فمن المختارين يوسف النـبي صـاح الهـوى يازليخا راودي والعبى، فقاوم الهوى مقاومة الفطن لا الغبي، فصوتت نيران شهوات زليخا بذلك الصبي، جز فقد أطفأ نورك لهي، وكـان القميـص أصـدق شـاهد علـى الأمر المختبي، اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي، أحمـده إذ أظفرنـي بالمعـاني قبل طلبي، وأصلي على رسوله النبي، وعلى صاحبه أبي بكـر الصديـق أبـي، وعلـى عمر مخرج الرسول من دار الخيزران وقد طال ما خبي[2]، وعلى عثمان الـذي بـابنتي رسول الله حبى، وعلى عليّ الذي من زمن الطفولة بالدين ربى، وعلى عمه العباس الذي قال فيه الرسول صنو أبي، جد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الواجبـة طاعتـه ومخالفه جاهلي في مذهبي، هل أخـبرتم مثـل سـيرته، أو خـبرتم كسـريرته، فيـا أكـف المؤرخين اكتبي، فموالاة أيامه حسبي، وخدمتي عربي وحسبي، ثم الشـكر لمـن غـرس الفصاحة في أرض قلبي وقال اخصبي، فكل ألفاظي ممرع[3] ليس فيهـا وبـى، وذلـك بفضل ربي لا بي ولا بأبي، يا أعين الناس انظري واعجـبي، ويـا قلـوب الحـاضرين افهمي واطربي، لو قاومني كل الفصحاء غلبتهم إي وربي.

(١) الآية الكريم رقم ٧٣م من سورة الحج رقم ٢٢.

(٢) امتنع عن الخروج مخافة أذى كفار قريش فدعا بأحب العمرين فأسلم عمر وجهر بالدعوة بعد إسلامه رضي الله عنه.

(٣) مخصب، وفي المثل «أمرع واديه» إذا أخصب، وهو يشير إلى جزالة كلامه وفصاحته وكثرة فائدته.

الخطبة السادسة

الحمدلله رافع السماء ذات البروج، محفوظة من الفطور والفروج، مزينة بالنجوم كالعقد والدملوج[(١)]، أحسن من ثوب مذهب بالدر منسوج، وواضع الأرض على الماء وقد كانت تموج، فثبتها بالراسيات قائمة مقام العلوج، وقسم متمهدها بين قيعان ومروج، ودبر مصالحها بالحر والثلوج، وكساها كأس القطر فإذا خروج البذر يروج، ففاحت ريح الربيع كريح العبير واليلخوج، ثم قضى على ساكنيها بعد الخروج منها بالولوج، وسوى في الموت بين العرب والعجم والروم والزنوج، فليس من وراء السد يأجوج ومأجوج، ونفخ في الصور نفخة زادت على الروح الخجوج، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[(٢)].

الخطبة السابعة

الحمدلله مدير الأفلاك ومثير الرياح، ومبدع الأملاك ومبدئ الأرواح، ومقدر الفساد ومدبر الصلاح، ذلك الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح، الله كبير كثير الأسجاح[(٣)]، وملك وافر الجود متظافر السماح، تسبحه جمود الجبال وجرى الماء القراح، وتحمده الأنعام إذا شبعت في المراح، وإن من شيء إلا يسبح بحمده في الغدوّ والرواح، يسمع هفيف الرياح في الأرض القرواح[(٤)]، ويبصر دبيب الذر قبل وقت الصباح، ويعلم خائنة الطرف الخئون الطماح، أستغيث بفضله فأنفع شيء الإلحاح، وانظر الى الأرض كيف يقوى جدبها فتلبس الأمساح، فيغيثها بالغيث فإذا للوكف

(١) هو المعضد.

(٢) الاية الكريمة رقم ٤٢ك من سورة ق رقم ٥٠.

(٣) حسن العفو.

(٤) الأرض التي لا ماء بها ولا شجر.

كفاح، فالديمة ساكتة وللرعد صياح، والأمر قريب والبرق يشهر السلاح، والبذر قد تهشم لكنه انفقأ عن صحاح، وتغلغل الماء قلب الغدق فإذا الغدق رداح، وتبسم الروض تبسم الأحباب عند بدو المزاح، وكادت الأغصان تطير فرحاً بالطير وابن الجناح. والربيع قد تقطر وفاحت منه أرواح، والأرض قد أخرجت ملكها كما آثر أبو الدحداح[1]، وأخذت تشير بانفتاح النور إلى من بيده المفتاح، ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[2].

الخطبة الثامنة

الحمدلله الذي بسط الأرض العريضة الفسيحة، وقدر الأعمال الحسنة والقبيحة، وخاطب فتكاليفه حاظرة ومبيحة، حرم الميتة والمنخنقة والمتردية والنطيحة، وتدارك جسد الآدمي لئلا ينحل وينحلّ فأهل الذبيحة، أفقر وأغنى فزرود تشكو العطش وتشكو الغرق البطيحة، وأجزل العطاء فربما وهب الجنة بتسبيحة، قضى الديون وفك الرهون، فأقر العيون القريحة، وفاوت بين الخلائق في الخلائق فأبله وذو قريحة؛ لقد تجلى لخلقه بخلقه فجحدُ وجوده فضيحة، والصامت يدل بحالاته، والناطق بمقالاته الفصيحة؛ كم أقام غرس غروس على عروش مليحة، وكم أخرج وجوها من النبات على اختلاف الألوان صبيحة، وكم أقام الورق على الورق تصدح بمديحه، والنرجس متبرج والجنبذ يكتم ريحه وطيب الربيع مختلف والبدوي يحب الشيحة[3]، والطير في الهواء تخرق بشاذيف[4] أجنحتها ريحه، وما من منذر إلا

---

(١) صحابي فاضل، لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً﴾ أتى إلى النبي ﷺ وقال قد أقرضت ربي حائطاً فيه ستمائة نخلة، رضي الله عنه وحديث القصة مشهور عن ابن مسعود، أخرجه سعيد بن منصور وابن سعد والبزار والبيهقي في شعب الإيمان انظر الدر المنثور للسيوطي (١/ ٧٤٦).

(٢) الآية الكريمة من سورة النور رقم ٣٥م رقم السورة ٢٤.

(٣) شجر طيب الرائحة.

(٤) أطاريف.

ويصيح على باب الهوى نصيحة، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[1].

الخطبة التاسعة

الحمدلله القديم[2] الوجود، العميم الجود، العظيم المعبود، الكريم المقصود، يبصر حركة الدود في باطن العود، ومن الغصن الأملود[3] كما يرى جرى الماء إلى العنقود، ويحصى حباته في الليالي السود، صفاته كذاته ولا وجه للجحود. كف الكيف مسلولة وباب التشبيه مسدود، فاحذر قول المشبهة فأول القوم اليهود، أيقاس من ليس كمثله شيء على شيء معهود، أخذ الميثاق من يوم ألست فتذكروا العهود، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[4]، واحذروا الخلاف فإنّ عقاب العقاب صيود، ولا يغرنّكم الإمهال فربما مشى العذاب على رؤود[5]، نفذ قضاءه فصهيب مقبول، وأبو لهب مردود، وعكرمة يتلقى، وأبو جهل مطرود، ويجمع الخلائق بنفخة الصور من قعر اللحود، ويحشرهم في صعيد ثم في صعود وصعود، ويبثهم في عرصة القيامة أكثر من رمل زرود، ويستشهد الأركان ويستنطق الجلود، وينصب ميزان العدل ويرد بهرج النقود، ولا ينتفع العاصي بقوله ما أعود، ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[6].

---

(١) الآية من سورة النور رقم ٤١.

(٢) تقدم الكلام على القديم في كتاب اليواقيت الخطبة الرابعة.

(٣) النعام اللين من الأغصان.

(٤) بعض آية من سورة المائدة رقم ١م رقم السورة ٥.

(٥) أي مهل.

(٦) الآية الكريمة رقم ١٠٣ك من سورة هود رقم ١١.

الخطبة العاشرة

الحمدلله الذي صور الأجسام وصيرها، وغور النجوم وسيرها، ورقم نقوش النفوس في صحائف الوجود وسطرها، أجدبت الأرض فاشتكت عجرها وبجرها[1]، فصاح الرعد بالغيث صيحة ثمود بمن عقرها، وألاح البرق أسيافه قد شهرها، فملأت السحب نهرها لما نهرها، وأترعت حياضها وفيضت غدرها، وتلاقيا فاعتنقا لمدة لم يرها، وانتدب معماد الوصال بعد قبح الخراب فعمرها، فأخرج القطر من حبات الأرض مخبأها ومضمرها، وأتى بلآلئ الغمار[2]، في عروس الشتاء فنثرها، فألقت عصاها عن عبء تعبها ورفضت سفرها، وصنعت عجائب الولائم ومدت سفرها، ونمقت وشيها ورونقت منظرها، وطلقت حجابها وتزوجت عمرها، وأطلعت في بساتينها شمس نورها وقمرها، ودب الماء في عروق النخلة يقصد ثمرها، ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾[3].

الخطبة الحادية عشرة

الحمدلله الذي بشر البشر، وفطر الفطر، وقدر فأجرى القدر، وستر المذنب ثم غفر، أخرج من يابس الأعواد رطب الثمر، وأنبع الماء من صيخود جلمود الحجر، وأطلع النار من أبهر أخضر الشجر، يعلم متساقط الورق ومتناسل الوبر، جلت ذاته عن مشابهة الصور، وعز قعر بحر عزه أن يلحقه سابح سانح الفكر، زرع بذر محبته في قلوب أحبته وبذر، فنهارهم كله عيد وليلهم كله سحر، أنشأ السحاب وعلم قطر

---

(١) ومنه حديث أم زرع وفيه «...إن اذكره اذكر عُجَرَه وبُجَرَه» أي أموره كلها باديها وخافيها وقيل أسراره وعيوبه (النهاية لابن الأثير (١/ ٩٦) (٣/ ١٨٥).

(٢) الغمار، الكسر، جمع غمر وغمير: هو الماء الكثير.

(٣) الآية الكريمة رقم ٦٠ من سورة النمل رقم ٢٧.

المطر، فإذا تروت به الأرض اهتزت بعد الحصر، وأخرجت على الأفنان فنوناً من الخضر، وقام خطيب الأطيار على الأشجار وشكر، وخلع الربيع ثوب المرض ولبس حلل المطر، فتناغت[1] أطياره، وأطردت انهاره، ووطن بهاره[2] فظن أن لا غير، حتى تنفس بريد الشتاء بالبرد وجاء الخبر، فانتفضت الأغصان في حماها من حمياها وانتقضت المرر[3]، ونادت بلسان حالها الحال في ديار الكدر، وهذا آخر الأمور لو أن العاقل اعتبر ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾[4].

الخطبة الثانية عشرة

الحمدلله الذي أرسل سحائب المطر، فثجت حتى ارتجت النهر ومجت حتى عجت الغدر، فصبحت مما لجت الحدر، فرجت على الورق الورق الشكر، فلما أقلعت أطلعت الثمر، وظهرت من التخوم كالنجوم الزهر، وشكرت حتى سكرت الغصون الضمر، وارتعت إذ سعت فشبعت خيل وحمر، فسبحان مدير الفلك ولو لم يدر لم يدري العادل في أقضيته لم يحف ولم يجر، فاوت بين عباده فمنهم الفهماء ومنهم الغثر[5] ومنهم مستقيم القدم ومنهم العثر، ومنهم أرباب التقى ومنهم الفجر، أرسل طوفان الفتن فغطى البحار الزخر، وبنى لأهل الصلاح ذات ألواح ودسر، فإن أردت صفتهم فهم الخائفون الحذر، حفظوا حدود الشرع لا كالمذاييع البذر، وإن سألت عن الهالكين فقوم رضوا بالمياه الكدر، أطلقوا أنفسهم في هواها كالسوائب والبحر، فلو رأيت ماشيهم إذا وقع لم يثر،

---

(١) أي تجاوبت.

(٢) بهاره: هو نبت طيب الريح.

(٣) جمع مرة: وهي القوة.

(٤) الآيتان الكريمتان رقم (٦-٧) ك من سورة القيامة رقم ٧٥.

(٥) جمع أغثر: وهو الأحمق الجاهل، نهاية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[1].

الخطبة الثالثة عشرة

الحمدلله الذي جعل الدنيا معبر اعتبار، يفتقر ملاح سفينتها إلى حذق واصطبار، ولم يرضها لأوليائه فبنى لهم غير هذه الدار، وبالغ في ذمها ويكفي ما فيها من الأكدار، غير أنه زينها وطفل الهول ذو اغترار، زين للناس حب الشهوات، والشهوات حيلة عيار، من النساء والنساء حبائل الشيطان المكار، تخرب إحداهن الدين بعد أن تخرب الدار، فالعربي ينادى من معاشرتهن ويلي الأعجمي يصيح زنهار، والبنين وكم صغار قاسى الأب لأجل الصغار، فلما ترقوا عقوا والعقوق من الذنوب الكبار، والقناطير المقنطرة وما اجتمعت إلا بأوزار، والخيل المسومة يجول بها في حلية العجب المغوار[2]، بينا هي تجري براكبها عثرت به أي عثار، والأنعام وهي معجبة للمالك والنظار، بينا هي في صعود الزيادة إذ صاحبها إلى القبر في انحدار، والحرث مخضراً ومصفراً مختلف الألوان والأزهار، بينا ورقة على ورقة دخل بين البين غراب البين يندب الآثار، ذلك متاع الحياة الدنيا وهل المتاع إلا عارية تعار، أسمعتم عيوب العاجلة أيشترى زنابير الثمر مشتار، ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[3].

الخطبة الرابعة عشر

الحمدلله الذي ساق سحاب الشهوة برعد هوى رجوز، فجرت قطرات النطف

---

(١) الآية الكريمة رقم ١٨ك سورة القمر ٥٤.

(٢) أي الشجاع.

(٣) الآية الكريمة رقم (١٥)م سورة آل عمران رقم ٣.

إلى أحسن الحروز، فتقلبت في أعجب الحالات إلى حين البروز، ثم أخرجه طفلاً ينتقل من خرق القماط[1] إلى جر الخروز، ويمر في أعراضه إلا أن العقل حجوز، فأعجب والديه فأنفقا عليه كل مكنوز، فلما حل الهرم بوادي ساره منع الولدان سقط بعد هذه الكلمة سطراً كاملاً هو [يجوز، وأقلع شجر بستانها وتعطلت المروز، وانقضى زمن الدلال] وفات وقت النشوز[2] ووقعت النواة في الكوز، فجاءت البشارة في كانون اليأس بآمال تموز، فعجلت أن تقول متى، تصديقاً لما أتى، من الوعد بفتى، فقالت: ﴿يوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ﴾[3].

الخطبة الخامسة عشرة

الحمدلله الذي لانت لهيبته العتاة والشرس[4]، وذلت لسطوته الطغاة الجبس[5] ونفذ حكمه فبحكمته المأتم والعرس، ولم يدفع قضاه لا درع ولا ترس، يرى في الجنة كما روى وكيع[6] بن عدس، متكلم وقد جل عن صفات الخرس، كلامه مسموع بالأسماع مكتوب في الطرس، أنزله على رسله الكرام الفضلاء الندس[7]، ﴿مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[8].

---

(١) أي المهد.

(٢) أي الترفع.

(٣) الآية من سورة هود رقم ٧٢ك.

(٤) جمع أشرس: وهو الجريء في القتال.

(٥) جمع جبوس: وهو الفسل بمعنى الرذل الذي لا مروءة له.

(٦) هو القبيلي تابعي روى له الأربعة ووثقه ابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر أرجو أن يكون الصواب حدس بالحاء (انظر تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١١/ ١١٥).

(٧) الندس: أي الفهماء الفطناء.

(٨) الآية رقم ٢٥٣م من سورة البقرة.

الخطبة السادسة عشرة

الحمدلله الذي يسبحه الغصن الرطيب والعود اليبيس، والثوب الجديد والخلق الدريس، لا ينفق عنده النفاق ولا يحب التدليس، فرق الخلائق بين مرءوس ورئيس، وباين بين العزائم فمنطلق وحبيس، وستر العواقب فكم مطرود في حلل التعبد يميس؛ اختار آدم فغلت القلوب بالحسد فكان أثر التنفيس، أن قالت الملائكة نحن أهل التسبيح والتقديس، فقيل ليس كل الطعام يصلح لدقيق الكيس، وقال إبليس: هذا من طين والطين خسيس، وأنا من نار وجوهر النار نفيس، فقاس مع النص، والفقيه إذا جاء النص لا يقيس، فانماث بالحسد عقله كما يماث سقط [المريس، فلما قيل اسجدوا ضرب الشريس الخلق الاشريس، فلازمه] الخزي واللعن سجيس عجيس[1]، فهو يبغض الأذان لجهله ويحب النواقيس، وما أمهل إلا ليرى صبر نوح وذكاء إدريس، وثبوت الخليل يوم حرقوه وقد حمي الوطيس، وملاقات الكليم فرعون وقد اقتسما كلمتي نعم وبيس، وزهد عيسى وفضل أحمد أحمد من سارت به العيس، ويرى من الأتباع من له مرتبة أنا جليس، ومن الكاملات مع نقص الأنوثة كآسية وبلقيس، فلما أحس الملائكة بفضل آدم ووجدوا سجدوا إلا إبليس.

الخطبة السابعة عشرة

الحمدلله الذي رفع السقف وبسط الفراش، وقسم الرزق فنال الأسد والفراش، والطير الكاسب والضعيف الخشاش، كل دبر له ما قدر له من المعاش، شكا إليه القفر الفقر وبالغ في الإجهاش، فساق إليه السحاب فسقى الترب العطاش، وأنعشه بغرسه من مرضه أي إنعاش، وانتظرت الورق بالصدح حياة النبت إن عاش، فحدق

(١) سجيس عجيس بفتح السين والعين: بمعنى أبداً.

النرجس وخجل الجلنار وورد الخشخاش، ونزل الطل فنقط خد الورد برشاش، استوى على العرش لا كما في النفوس من جلوس وافتراش[1]، وينزل إذا جن الليل ووجه المشبه أسود من تلك الأغباش[2]، عظيم إذا سار العقل نحو عظمته حار وطاش، المعطلة ثقال والمشبهة وحاش، ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[3]، أحمده حمد راض بقضائه إذا جاش الجاش، وأصلي على رسوله محمد الذي عرج به، وجبريل الركابي والفراش، وعلى صاحبه أبي بكر الذي لا يبغضه إلا الروافض الوحاش، وعلى عمر الذي أنهض الإسلام بجده وانتاش، وعلى عثمان مجهز جيش العسرة بالمال والرياش[4]، وعلى عليّ الراقد ليلة الهجرة على الفراش، وعلى عمه العباس المستسقى بشيبته فسبق الوبل الرشاش، جد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الذي كان الجود في آخر نفس فأحياه وأعاش مواعظي شوافي، وخطبي عوافي، وأنا أستخرج القوافي بمنقاش، سلعي مطلوبة، وألفاظي محبوبة، ونصبتي منصوبة، لا منصوبة بجلب الرياش[5]، واعتمادي على السنة والقرآن، واعتقادي

---

(١) قوله استوى على العرش لا كما في النفوس من جلوس وافتراش مراده رحمه الله أن الله سبحانه استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته وليس هو مماثلاً لما قد يقع في النفوس من جلوس المخلوق على ما يجلس عليه وافتراشه؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ وأما الاستواء الذي يليق بجلاله وعظمته فقد ثبت فيه حديث عن عمر رضي الله تعالى عنه فيجب إثباته على الوجه الذي يليق بالله سبحانه؛ كما يجب إثبات الاستواء والنزول والمجيء والمحبة والرضا والضحك وغير ذلك من صفاته الثابتة في النصوص من الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، فإن القول في الصفات كالقول في الذات يحتذى حذوه ويقاس عليه فكما أنا نثبت ذاتا لله سبحانه لا تشبه الذوات فكذلك يجب أن تكون صفاته لا تشبه الصفات لأن صفات الخالق تليق به وصفات المخلوقين تليق بهم، وهذا هو الصراط المستقيم في هذا الباب.

(٢) الظلمة.

(٣) الآية الكريمة رقم (٤١)ك من سورة الأعراف رقم ٧.

(٤) أي اللباس والأحلاس.

(٥) المال.

اعتقاد فقهاء البلدان، وأورد الصحيح في نفسي وأقلى البهتان، وقد عرف الدكان والقماش، فيالها من خطبة رتبها صانعها، وزينها صائغها، كما يزين المنقوش النقاش، فهداها إلى وطنها، وأهداها إلى سكنها، وقد قنع من ثمنها، أن يقال له شاباش.

الخطبة الثامنة عشرة

الحمدلله الخالق الصانع، الرازق المانع، كل عزيز عند عزه قانع، وكل سلطان في لجام قهره خاضع، عرّف نفسه من طريق العقل فعرض البدائع، وكلف خلقه من سبيل النقل ففرض الشرائع، ومن آياته أنك ترى الأرض وهي بلاقع، تشكو إليه عطشها الأليم الفاجع، فيثير لها سحاباً يبكي مصابها الواقع، فكلما بكى ضحكت بالنور اليانع والنور الساطع، بين أحمر قان وأسود فاحم وأصفر فاقع، ودعت أوراقها ورقها فلما اجتمعت سجعت بأعجب المقاطع، ورفل الربيع في أثوابه، بين أترابه، كما غفل اللاهي في شبابه عن المصارع فانقلب النبات هشيماً وأيام النعم خوادع، هكذا تحول الحالات ويقع الشتات في المجامع، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[1].

الخطبة التاسعة عشرة

الحمدلله مدبر الأصل والفرع، ومقدر الضر والنفع، وجامع الكم والكيف[2] في الوضع، ووصفه بالبصر والسمع، يتلقى على البصر والسمع، من صحيح على شرط الفرق السمع، بين الخالق والمخلوق دون الجمع، إذ ليس كمثله شيء على وجه القطع، رمى سهم قدره أهداف المخلوقات بالضر والنفع، وعلات قلوب العتاة ترده كالشمع، كريم لا يوصف بالبخل في حال المنع، ينزل القطر من ذات الرجع،

---

(١) الأيتان الكريمتان (٥-٦)ك من سورة الذاريات رقم ٥١.

(٢) أي الكثرة والصفة.

فيجعله سبباً لخروج الزرع، وطلوع الطلع، وری الضرع، ويعلم عدد قطراته وأجزاء النقع، ويسمع خفى صوته وقت الوقع، وهفيف الرياح تلعب في الربع، وركز إخفاف المطى في النقا والجزع، ولا تخفى عليه ذرة في الأرضين السبع، ويبصر في الشئون جريان الدمع، خفض العاصين وخص المخلصين بالرفع، وألهمهم جهاد النفوس فأرواحهم في النزع، والقوم في جد يبذلون فيه نهايات الوسع، وهم في الجملة لا يخرجون من دار الشرع، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[1].

الخطبة العشرون

الحمدلله الخالق الصانع فلا شريك له في صنعه، الرازق المانع فلا معطي لمنعه، أخرج النبات بقدرته فهو المتولى لرزعه؛ فالرعد يزمجر بصوته والبرق يخوف بلمعه، والقطر مغربل ينزل بلطيف وقعه، وعين السحاب تبكي فتحكي صب الصب لجمعه، ودولاب العرق يرقى الماء من أصله إلى فرعه، وطفل البذر يمتص امتصاص الفصيل من ضرعه، وكف القدرة للحب يصف وقد وكل الجف بطلعه، وعروس الثرى تزف في الربيع من خدر كانون إلى ربعه، والحمام يشكر ويشكو فقد الإلف بسجعه، كأنه بما يبدى بدوى يبكي على نجده وسلعه، فوجه النرجس قد أقمر، واللينوفر قد ضم نفسه وأضمر، وجميع النبات ينادي الأخضر والأحمر والأصفر، ﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[2].

---

(١) الآية الكريمة رقم (٨٣)م من سورة المائدة رقم ٥.

(٢) بعض آية من سورة الأنعام رقم (٩٩)ك رقم ٦.

الخطبة الحادية والعشرون

الحمدلله الذي لا ينال عز عظمته سانح تمثيل، ولا يدرك قعر عزته سابح تخييل، متنزه الذات عن الشبه والمثل العديل، ثابت الصفات وقد كفر أهل التعطيل، جال الفكر حول حمى قدسه ثم رجع كالذليل، وسار الوهم في جند الحس فسد في وجهه السبيل، وتاه في عرض النادي وحار الحادي وضل الدليل، صفاته منقولة لا عن قال وقيل، المعطل خارج والمشبه ثقيل، أيقاس خالق الأشياء بالأشياء هذا تغفيل، يسبحه السحاب ودمع عينيه يسيل، وتشكره الرياض يضحكها الفعل الجميل، وتحمده الورق تدعو على الورق الهديل، وتناغي الغصن يرقص بها في حديث طويل، وتذكره الظباء في الكناس والأسد في الغيل، سبقت قضاياه فاهتدى جبريل، وضل عزازيل[1] ونثرت عطاياه فأصاب هابيل وحرم قابيل، ونفذ أمره فهلك آزر ونجى الخليل، وقع ابتلاءه فذهبت من البكاء عين إسرائيل، وجرت أقداره فملك يوسف وضاعت حيلة روبيل، وظن أبرهة ببلاهته مناضلته فأرسل عليها طيراً أبابيل.

الخطبة الثانية والعشرون

الحمدلله الذي يحول كل شيء ولا يحول، ويزول كل مقيم ولا يزول، ويطول شرح ما به يطول[2]، صفاته متلقاة من الكتاب والسنة بالقبول، شاهدات عدلات وما عن العدول عدول المستخرج منهما فضل ومن غيرهما فضول، يصول بنصوصهما عند الخوض في الأصول، إذا أخفى غيرنا عقيدته ضربنا على عقيدته بالطبول، ما للمعطلة فهم ولا للمشبهة عقول، سر على نجيب الكتاب والسنة تبلغ المأمول، ولا تقد حمار التعطيل ولا ثور التشبيه إنها بقرة لا ذلول، لا شك في الاستواء لا ريب في

(١) يعني إبليس.

(٢) يطول أي يمتن ويجود.

النزول، أتجحد لسبع آيات،قد علمتم إثم الغلول، ليس النزول نقلة[١] ولا الاستواء حلول[٢] نقر ونمر وفي طريق التفتيش غول، أيتكلم في الخالق من يخرج من حيث يبول، احذروا المنافقين فما للنفاق محصول، ليتك لم تترك بعدك نسلاً يابن سلول[٣]، يا لها من كلمات شفت بين اللهاة والشفة تجول، لو سمعها ابن السكيت زان بها أو زان فعول، أو امرؤ القيس لم يقل بسقط اللوى بين الدخول، أو كعب ابن زهير لنسى الأغن غضيض الطرف مكحول، زاد أطرابها القلوب على هل بالطلول، سبحان من أفردني عن نظير يقول وأقول: أتشبه الأحداق النجل بالعيون الحول، أيخفى على مميز خال على خد من ثؤلول، كلما سعدت صعدت والأجواف نزول، كأني بقوم في المجلس ينكرون ما أقول، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، ويحكم تكلموا بما ينفعكم وخلوا الفضول ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾[٤].

---

(١) (قوله ليس النزول نقله) أراد بذلك أنه سبحانه ينزل ولا يخلو منه العرش وهذا هو قول الجمهور من أهل السنة كما قد بينا ذلك في حاشية الخطبة الثالثة والعشرين وظاهر كلام كثير من أئمة السنة والحديث الكف عن ذلك والاقتصار على ما وردت به النصوص في إثبات النزول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الحموية: قال أبو عبدالله إلى آخر ما ذكر في الحاشية وقوله ولا الاستواء حلول هذا لفظ مجمل، ولعل مراده رحمه الله أن العرش لا يحويه سبحانه ولا يحمله بل هو سبحانه الممسك للعرش ولغيره كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ﴾ فهو سبحانه قد استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته من غير أن يحويه أو يحيط به أو يحتاج إليه فإنه أجل وأعظم من أن يحيط به شيء من خلقه.

(٢) قال أبو عبدالله محمد بن عبدالله الدميني الإمام المشهور من أئمة المالكية: ومن قول أهل السنة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً. إلى أن قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول قال نعم أومن به ولا أحد فيه حداً. وسألت عنه ابن معين فقال نعم أومن به ولا أحد فيه حداً، وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال.

(٣) يعني بذلك عبدالله بن أبي رأس المنافقين.

(٤) الآية الكريمة رقم (٩)م من سورة المجادلة رقم ٥٨.

الخطبة الثالثة والعشرون

الحمدلله الذي لا شأن يشغله، ولا نسيان يذهله، ولا قاطع لمن يصله، ولا نافع لمن يخذله، جل عن مثل يطاوله، أو ند يشاكله، أو نظير يقابله، أو مناظر يقاوله، يحلم على العاصي ولا يعاجله، ويدعى الكافر له شريكاً ويمهله، فإذا بطش هلك كسرى وصواهله، وذهب قيصر ومعاقله، استوى على العرش، وما العرش حامله، وينزل لا كالمنتقل تخلو منازله[1]، هذا جملة اعتقادنا وهذا حاصله، من ادعى علينا التشبيه فالله يقابله، مذهبنا مذهب أحمد ومن كان يطاوله، وطريقنا طريق الشافعي وقد عرفت فضائله، ونرفض قول جهم وقد عرف باطله، نؤمل رؤية الحق ومتى خاب آمله، لقد حنت حنة إلى ولد فسألت من لا يرد سائله، فانكسرت بوضع أنثى فجبر المكسور قابله، فكفلها زكريا فإذا وكيل الغيب يواصله، فيالها من مكفول ما تعني كافله، فلما بلغت حملت بمن شرف حامله، فتعجبت من ولد لا عن والد يشاكله، فقيل هزي فهزت جذعاً يابساً تزاوله، فأخرج في الحال رطباً يلتذ آكله، فاستدلت على تكوين ولد تحمد شمائله، فالنصارى غلت، واليهود عتت، فأتت به قومها تحمله، واها لبحر فصاحتي ما يدرك ساحله، ولبيد جزالتي قد تعبت رواحله، قتلت فصاحتي حسادي بلفظي، وخير البر عاجله.

الخطبة الرابعة والعشرون

الحمدلله الذي عز من بخدمته يحتمي، وشرف من إلى طاعته ينتمي جل عن نظير وشبيه وسمى، أقر بوحدانيته لحمي ودمي، وأعلمني وجودي أنه أخرجني من عدمي،

---

(١) هذا هو قول الجمهور من أهل السنة كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عنهم وصوبه. والمعنى أنه ينزل نزولاً يليق بجلاله ولا يخلو منه العرش قال كثير من أهل الحديث يجب الكف فلا يقال يخلو منه العرش واختاره الحافظ عبدالغني المقدسي صاحب العمدة وهو قول قوي لسكوت النصوص الدالة على إثبات النزول عن ذلك.

وعجز عن الإحاطة بصفاته ذهني وفهمي، بث جواهر الوجود وقال لصنعته انظمي، وحدث الألباب بعجيب الخطاب وقال افهمي، يستغيث بغوثه المريد أيقظ هممي والمنيب إلى بابه ثبت قدمي، والسالك طريق مرضاته قولي عزمي، والمعذب بالشوق إليه أرحم ألمي، كلم موسى كفاحاً وقال اسمع كلمي، وأنزل فكفاك كتابنا أصم المبتدع أم عمى، أفيؤمن اليهودي وينكر المسلم بالنبي السنة الطمى، أيجحد الحق وسيفي في يدي وتحتي أدهمي، لأوقعن بأعداء السنة نبلاً إلى أن تبلى أعظمي، لا زالت منصوبة في صحراء المجاهدة خيمي، لا سكت صوت بوقي ولا نكس علمي، جمعت بين الكتاب والسنة وعاش تؤمى، سوط السنة بيدي اضرب من إلى البدع ينتمي، هذه عصاي أتوكأ عليها أهش بها على غنمي، يا لها من درر قذف بها بحر قلبي إلى ساحل فمي، نفخت كير الفصاحة فحمى فحمى.

الخطبة الخامسة والعشرون

الحمدلله الذي لا تحيط به العلوم والعيون، ولا تدركه الوهوم والظنون، ولا تغيره الدهور والسنون، ولا يعتوره الفتور والمنون، رفع السماء تزينها الشهب وتصون، قد أحدقت وحدقت كالأحداق في الجفون، فبعضها للرجم وبالنجم هم يهتدون، ووضع الأرض على نون[1]، فإذا ضامها الجدب ولقيت من الهون، انبعث من أجلها سحاب اللطف الهتون، وتقدم الرعد قبل الغيث تقدم العربون فبعث كل زرع ميت وأحيا المدفون، ونفخ في فرخ البذر فتحرك تحت الحاضن المحضون، وباح القطر بأسراره فباحت له من مكنون، ثم عاد وعاد مردفاً للأبكار بالعون، وشرب

(١) هو حوت عظيم في قول جماعة من المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس وجماعة من السلف، وتقدم الكلام على ذلك.

العرق من دولاب أصله ورقى إلى العرجون، فطرب الربيع في حضرة خضرته فنثر كل مخزون، وشمر مشمراً في ثياب البطر ولا قارون، وركبت الورق منابر الورق تغني المشتاق بلحون، وجمعت القدرة بين أضداد الطعوم في آحاد الغضون، ﴿وَيُرِيكُمْ ايَاتِهِ فَأَيَّ ايَاتِ الله تُنكِرُونَ﴾[1].

الخطبة السادسة والعشرون

الحمدلله الذي ليس بجسم فيضمه مكان[2] ولا يلحقه التغيير فيقال كان، القائم بأرزاق جميع الحيوان، الدائم وكل من عليها فان، لا ترد قضاءه مناصل عبس ولا ذبيان، ولا ينفع من لم يرض عنه ولو صادقه رضوان، ولا يضر من أسعده ولو وقع في حسك السعدان، ومن آياته أنك ترى الثرى وهو عطشان، فيرسل إليه الغمام

(١) الآية الكريمة رقم (٨١١)ك من سورة غافر رقم ٤٠.

(٢) هذا خطأ تبع فيه المصنف غيره من أهل الكلام المذموم، والصواب الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة وهو مذهب السلف الصالح كالإمام الشافعي وأحمد وإسحاق ونحوهم أنهم لا يطلقون لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً لوجهين: أحدهما أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة ولا عن أحد من سلف الأمة فصار من البدع المذمومة الثاني أن معناه يدخل فيه حق وباطل، فإن أراد من نفاه أنه ليس بجسم يشبه الأجسام فهذا حق والله عز وجل منزه عن ذلك، وإن أراد بنفي الجسم أنه ليس بمستو على العرش ولا يرى في الآخرة ولا ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة ونحو ذلك مما ثبت في النصوص وتلقته الأمة بالقبول فهذا المعنى الذي أراده باطل لثبوت النصوص بهذه الصفات وإجماع أهل السنة على إثبات ما دلت عليه على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. وبالجملة فكل من أثبت صفة لله تعالى لم ترد النصوص بإثباتها أو نفي صفة لم ترد النصوص بنفيها فإنه يسئل عن مراده فإن أراد حقاً قيل له مرادك حق ولفظك مبتدع وهذه قاعدة عظيمة النفع في هذا الباب وقوله لا يلحقه التغير يعني أنه سبحانه لا يلحقه التغير المستلزم نقصاً بوجه من الوجوه كالفناء والمرض والفقر والجهل ونحو ذلك من صفات النقص، بل هو سبحانه لم يزل ولا يزال متصفاً بجميع صفات الكمال متنزهاً عن جميع صفات النقص والعيب، وقوله فيقال كان يعني أنه لا يقال كان الله كذا لأن ذلك يلزم منه لحوق التغير على زعمه وهذا غلط والصواب جواز ذلك على وجه الإخبار عن سبقه لخلقه واتصافه بصفات الكمال كما في الحديث الصحيح عن عمران رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله» الحديث، وكما قال تعالى في كتابه العزيز في غير موضع ﴿وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً﴾ و﴿وَكَانَ الله سَمِيعاً بَصِيراً﴾ وأمثال ذلك كثير، وليس يلزم من إطلاق ذلك على الوجه المذكور محذور بوجه من الوجوه.

الملث الهتان، فإذا اغتبقت واصطحبت أصبحت خضرة تلـك القيعـان، ونشـر النـور أردية النور فكل الأرض بستان، ونجم الطلع وطلع النجم وفـاح الريحـان، واكتسـت نضارة الأوراق عيدان الأغصان، وماست الأشجار في حليها على جنـوب الغـدران، وبذلت للجاني ثمارها بما عز وما هان، فامتطت مطى أوراقهـا ورقهـا في إنشـاد ونشدان، فقلقلت قلب المشوق وبلبلت أهـل الهجـران، وليـس الخلـى كالشـجى شتان، والغصن يميل طرباً للنسيم مثل ميل النشوان، والنرجس قد حـدق دهشـاً فالليتوفر فوسنان، كل هذا ينبه على مسطور القدرة إنما هو عنوان، هـذا أنمـوذج ما في الجنان مضمون للصادقين ولا بد من وفاء الضمان، ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّـاً فِـي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[1].

الخطبة السابعة والعشرون

الحمدلله الذي أظهر دليل وحدانيته لأرباب معرفته وأبانه وجلـى حجـة وجـوده على أهل جحوده وجلى برهانه، ابتعث السحاب يميس إلى الغصـن اليبيـس فألانـه، وكان البذر في نوم ثقيل ففتح أجفانه، ولبس كل ميت ثياب خضـرة ورمـى أكفانـه، فبث الربيع روحه وريحه وريحانه، ونثر الفنون على الأفنان وكسا مردانه، وماست في ألوان الحلل كل شجرة كانت عريانة، ومنح الليتوفر لون الوجل، واليـاسمين صفـرة الخجل، وأوقد في الجلنار نيرانه[2]، وصعدت الورق منابر الـورق وركبـت أغصانـه، وضربت عيدان شجوها لما علت عيدانه، فأزعجت قلب المشـوق وهيجـت أحزانـه، فتمايل طرباً كأنه خرج من حانه، فبينا الربيع يخطـر في ثيـاب الوصـال نـوى الزمـان هجرانه، فصار هشيماً فسبحان من أظهر عجائب قدرته وسلطانه ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(١) جزء من آية من سورة التوبة رقم (١١١).

(٢) هو: زهر الرمان، قاموس.

ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ﴾[1]، أحمده حمد من تولاه وأصلح شأنه، وأصلي على رسوله محمد الذي طوى الدواوين كلها ونشر ديوانه، وعلى عمر الذي أذل كسرى وأقطع ديوانه، وعلى عثمان الذي جهز جيش العسرة بماله، وعلى عليّ الذي قلوب أهل السنة لا منارة الكوفة إليه حنانه، وعلى عمه العباس الكبير القدر العظيم المكانة، زينت به قريش وافتخرت كنانة، جد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أدام الله عزه وسلطانه، سبق القدماء بالجود وهل تسبق الريح الهفانة، لو صاح بين الأوائل منادي سلع المكرم خرج وأمانه، لسلموها إليه ورأوا بذل ما لم يجدوا خيانة، طم بحر فضله وطمى حتى أروى أهل الزمانة، فنحمد الله إذ أدركنا عصره ورأينا زمانه، وفقه الله وسدده وأيده وأعانه، فأجلوها من خدرها عفيفة عن الابتذال بالصيانة، لم تقلب على أيدي الوعاظ فيقال خمانة، هل سمعتم بمثلها أمانة في أعناقكم أمانة، ولا أباهي بها علماء الزمان بل ساكني الجبانة، لو وضع علمهم في كفة القبان كان لفظي الرمانة.

الخطبة الثامنة والعشرون

الحمدلله الذي زين الآدمي وأحسن وجهه، فقوّس الحاجبين وسطح الجبهة، وأمرّ ماء الأذنين وأعذب النكهة، وأنبت له الحدائق تشتمل على قوت ونزهة، ومد أمد عمره فعاش من الدهر برهة، وقدر الأرزاق فذو فقر وذو فدهة، فرزقه يأتي الأسد في الأكمة والذر في الجلهة[2]، فرض الصلاة على الأمم ولكل وجهه، واستامنا[3] زكاة السائمة وسامح في الكسعة والنخة والجبهة[4]، وحث على الورع، والورع ترك

---

(١) الآية الكريمة رقم (٤٠) من سورة الروم رقم ٣٠.

(٢) أي الصخرة العظيمة المستديرة.

(٣) استامنا أي كلفنا.

(٤) الكسعة بالضم: الحمير، وقيل الرقيق، والنخة: الرقيق، والجبهة: الخيل.

الشبهة، يحب العائذين بكرمه الحفي اللائذين بحلمه الوفي، الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه.

الخطبة التاسعة والعشرون

الحمدلله الذي آوى بعطفه من إلى لطفه أوى، وداوى بإنعامه من يئس من أسقامه الدوا، لا يرى على من لاذ به وانضوى ضوى[1]، فإن أعرض عن خدمته إلى الهوى هوى، لا يعزب عن سمعه صوت الظبي إذا بغم والثعلب إذا ضبح والذئب إذا عوى والبعير إذا رغى وقبقب وهدر واجتر بعد الخوى، والأسد إذا زأر ونام ونهت ونأت موعداً بالقوى، والفرس إذا صهل وحمحم والتوى، والورق إذا أعربت فأطربت أهل الجوى والمدنف المضنى وقد عاد كالعود إذا ذوى، ولا يغيب عن بصره أصغر ذر في بئر بر قد انزوى، أخذ موسى من يد الأم وقد كانت تخشى التوى، فنم بتابوته اليم إلى فرعون فأقام ثم وثوى، ثم أخرجه إلى شعب شعيب ورده لينشر بزا قد انطوى، فبينا هو في الطريق يعالج البرد والطوى، ناداه ربه بالواد المقدس طوى، ربى محمداً يتيماً ضعيفاً لا مال ولا قوى، ثم أقطعه النبوة فشهدت له الأعلام والصوى وزوى له شرق الأرض وغربها وكل الملوك زوى، ونصب له كرسي العلا فعلا عليه واستوى، ثم رفعه إلى قاب قوسين فرأى وروى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[2].

الخطبة الثلاثون

الحمدلله الذي لم يزل في قدره عليا، وفي قهره قويا، خلق سعيداً وشقياً، ورزق

---

(١) ضوى: أي نقص.

(٢) الأيتان الكريمتان (١/ ٢)ك من سورة النجم رقم ٣.

مطيعاً وغويا، أنزل من السماء وسميا، فاستنقع الثرى ريا، فلقى برى بحرياً، فلبست الأرض حلياً، وربى به الزرع كما يربى صبياً، وخالف حلى حاله فكم فرق عليه زيا، فتارة ترى لوناً رومياً، وتارة تواجه وجهاً زنجياً، وتارة تشبه نجماً درياً، والنرجس شديد الوقاحة وما زال اللينوفر حيياً، هذا بعض أفعاله فلا تكن عامياً عمياً، ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[1].

الخطبة الحادية والثلاثون

الحمدلله غافر الخطايا، الوافر العطايا، دافع الأذايا، رافع الرزايا، تسبحه البرايا، بالغدايا والعشايا، وتطير القلوب من هيبته شظايا، إثبات قدمه أول القضايا، والنهي عن تشبيهه آكد الوصايا، استوى على العرش لا كاستوائنا على الحشايا، ينزل إلى سماء الدنيا لا كار تحال السرايا، هذه عقيدتي والله يعلم الطوايا، لقد أقمت لأهل التعطيل دبايا، وأخذت أهل التشبيه كلهم سبايا، ولو أمكنني لأشهرتهم على المطايا، ولو صح لي ما تركت منهم بقايا، لقد غادرت فصاحتي كل ناطق عيايا، وعند ارتجال الخطب تبين المزايا، فيظهر الفرق بين التكلف والسجايا، فليس لهم إلا النغيبة[2] أو القطرة من الروايا، ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾[3] في المرباع من غزوات الفصاحة والصفايا، قطعت فصاحتي الفيافي فتم حجي إلى القوافي، ولم تقف المطايا، ثمن العلم نقد الجد وما يباع نسنايا، ومن يتعشق عذب الثنايا تجشم فيها عذاب الثنايا.

---

(١) الآية الكريمة رقم (٦٥)ك من سورة مريم رقم ١٩.
(٢) النغبة بالفتح وتضم: الجرعة، والنغيبة بالتصغير: الجريعة.
(٣) الآية الكريمة رقم (١٤٦)ك من سورة الأنعام.

الباب الثاني
في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها

لما كانت اللغة تنقسم قسمين: أحدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوزات، وكان هذا القسم الثاني هو المستحلى عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قيل لهم: عارضوه بأي القسمين شئتم، ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا، ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن.

قال امرؤ القيس[(١)]:

ومـا ذَرَفَـتْ عينـاكِ إلاّ لتضربـي ... بِسَـهْمَيْكِ في أعشـارِ قلـبٍ مُقَتَّـلِ

فشبه النظر بالسهم فحلا هذا عند كل سامع. وقال أيضاً[(٢)]:

فقلـتُ لـه لّمـا تَمَطّـى بِصُلْبِـه ... وأردفَ أعجـازاً ونـاءَ بَكَلْكَـلِ

فجعل لليل صلبا وصدرا على جهة التشبيه وقال عنترة[(٣)]:

مـن كميـت أجادهـا طابخاهـا ... لم تمـت كـل موتهـا في القـدور

أراد بالطابخين الليل والنهار فنزل القرآن على عادة العرب في كلامهم فمن

(١) ديوانه ص١٣ ورواية صدره: إلاذ لتقدحي.

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٨ ورواية صدره: تمطّى بجوزِه.

(٣) ليست في ديوان عنترة بتحقيق محمّد سعيد مولدي (وهي أوسع طبعاته وأجودها).

عادتهم التجوز، وفي القرآن: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ﴾[1] والكناية في القرآن ﴿وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾[2] ويكنون الشيء ولم يجر له ذكر: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[3] ويصلون الكناية بالشيء وهي لغيره ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾[4] ومن عادتهم الاستعارة ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[5] والحذف ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[6] وزيادة الكلمة ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾[7] ويزيدون الحرف ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[8] ويقدمون ويؤخرون ﴿عِوَجَا * قَيِّماً﴾[9] ويذكرون عاماً ويريدون به الخاص ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾[10] يريد نعيم بن مسعود، وخاصا يريدون به العام ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّـهَ﴾[11] وواحداً يريدون به الجمع ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[12] وجمعا يريدون به الواحد ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[13] وينسبون الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

(١) الآية الكريمة رقم (١٦)م من سورة البقرة رقم ٢.
(٢) الآية الكريمة رقم (٢٣٥)م من سورة البقرة رقم ٢.
(٣) الآية الكريمة رقم (٣٢)ك من سورة ص رقم ٣٨.
(٤) الآيتان الكريمتان رقم (١٢/١٣)ك من سورة المؤمنون رقم ٢٣.
(٥) الآية الكريمة رقم (٢٢٥)ك من سورة الشعراء رقم ٢٦.
(٦) الآية الكريمة رقم (١٩٧)م من سورة البقرة رقم ٢.
(٧) الآية الكريمة رقم (١٢)م من سورة الأنفال رقم ٨.
(٨) الآية الكريمة رقم (٢٠)ك سورة المؤمنون رقم ٢٣.
(٩) الآيتان الكريمتان (١-٢)ك من سورة الكهف رقم ١٨.
(١٠) الآية الكريمة (١٧٣)م سورة آل عمران رقم ٣.
(١١) الآية الكريمة رقم (١)م سورة الأحزاب رقم ٣٣.
(١٢) الآية الكريمة رقم (٥)م سورة الحج رقم ٢٢.
(١٣) الآية الكريمة رقم (٦٦) سورة التوبة ٩.

وَالْمَرْجَانُ﴾[1] وإلى أحد اثنين وهو لهما ﴿وَالله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[2] وإلى جماعة وهو لواحد ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾[3] ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾[4] وبلفظ المستقبل وهو ماض ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّـهِ﴾[5] ويأتون بلفظ فاعل بمعنى مفعول ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ﴾[6] ويأتون بفعلت للتكثير ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾[7] وفي التقليل ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾[8] ويضمرون الأفعال ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[9] أي فضربوه ويضمرون الحروف ﴿سَنُعِيدُهَا سِيَرتَهَا الأُولَى﴾[10].

فصل

ومن عادتهم تكرير الكلام؛ وفي القرآن ﴿فَبِأَيِّ الاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[11] وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهو إعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك يسمى الاتباع فيقولون: أسوان أتوان؛ أي حزين، وشيء تافه نافه، وإنه لثقف لقف، وجايع

(١) الآية الكريمة رقم (٢٢) سورة الرحمن ٥٥.
(٢) الآية الكريمة رقم (٦٢)م سورة التوبة رقم ٩.
(٣) الآية الكريمة رقم (٧٢)م سورة البقرة رقم ٢.
(٤) الآية الكريمة رقم (١)ك سورة النحل رقم ١٦.
(٥) الاية الكريمة رقم (٩١)م سورة البقرة رقم ٢.
(٦) الآية الكريمة رقم (٤٣)ك سورة هود رقم ١١.
(٧) الآية الكريمة رقم (٢٣)ك سورة يوسف رقم ١٢.
(٨) الآية الكريمة رقم (٣٨)ك سورة الأنعام رقم ٢.
(٩) الآية الكريمة رقم (٧٣)م سورة البقرة رقم ٢.
(١٠) الآية الكريمة رقم (٢١)ك سورة طه رقم ٢٠.
(١١) الآية الكريمة رقم (١٣)م سورة الرحمن رقم ٥٥.

نايع وحل بل، وحياك الله وبياك، وحقير نقير، وعين خدرة بدرة، أي عظيمة، وخضر مضر، وسمح لمح، وسيغ ليغ، وشكس لكس، وشيطان ليطان، وتفرقوا شذر مذر، وشغر بغر، ويوم علك أك، إذا كان حاراً، وعطشان نطشان، وعفريت نفريت، وكثير بثير، وكن إن، وحار جار يار، وقبيح شقيح لقيح، وثقة تقة نقة، وهو أسق أمق ضنق للطويل، وحسن بسن قسن، وفعلت ذلك على رغمه ودغمه شنغمه، ومررت بهم أجمعين أكتعين أبصعين.

فصل

وقد تأتي العرب بكلمة إلى جنب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها؛ وفي القرآن ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾هذا قول الملأ، فقال فرعون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[1] ومثله ﴿أَنَاْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال يوسف ﴿ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[2] ومثله ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ انتهى قول بلقيس، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[3] ومثله ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ انتهى قول الكفار فقالت الملائكة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ﴾[4].

(١) الآية الكريمة رقم (١١٠)ك سورة الأعراف رقم ٧.
(٢) الآيتان الكريمتان رقم (٥١-٥٢)ك سورة يوسف رقم ١٢.
(٣) الآية الكريمة رقم (٣٤)ك سورة النمل رقم ٢٧.
(٤) الآية الكريمة رقم (٥٢)ك سورة يس رقم ٣٦.

فصل

وقد تجمع العرب شيئين في كلام فترد كل واحد منها إلى ما يليق به؛ وفي القرآن ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ إلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[1] المعنى يقول المؤمنون متى نصر الله؟ فيقول الرسول «ألا إن نصر الله قريب» ومثله ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾[2] فالسكون بالليل وابتغاء الفضل بالنهار، ومثله ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾[3] فالتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح لله تعالى.

فصل

وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان فيبينونه متصلاً بالكلام تارة منفصلاً أخرى، وجاء القرآن على ذلك؛ فمن المتصل بيانه ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾؛ وأما المنفصل فتارة يكون في السورة كقوله تعالى في براءة ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ مبين عند قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلا خَبَالاً﴾ وتارة يكون في غير السورة كقوله في البقرة ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ بيانه في المائدة ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾ وفي سورة النساء ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ بيانه في الحديد ﴿قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً﴾ وفي الأعراف ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ بيانه في تبارك ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ وفي الأعراف ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ بيانه في القصص ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى

(١) الآية الكريم رقم (٢١٤)م سورة البقرة رقم ٢.
(٢) الآية الكريمة رقم (٧٣)ك سورة القصص رقم ٢٨.
(٣) الآية الكريمة رقم (٩)م سورة الفتح رقم ٤٨.

الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ﴾ وفي براءة ﴿إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بيانها في مريم ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ وفي يونس ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ وبيانه في حم السجدة ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ألا تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ﴾ وفي إبراهيم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بيانه في العنكبوت ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ وفي النحل ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ بيانه في الأنعام ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وفي بني إسرائيل ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ وبيانه في الأنفال ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي طه ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾ بيانه في النازعات ﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ وفي الصافات ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ بيانه في القمر ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ وفي الصافات ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بيانه في المجادلة ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي﴾ في المجادلة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ بيانه في الأنعام ﴿وَالله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وفي نون ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ بيانه في الأنبياء ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلا أَنتَ﴾.

فصل

وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له، وقد يكون بعيداً عنه، وعلى هذا ورد القرآن؛ فأما المقارن فكقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[(١)] وأما البعيد فتارة يكون في السورة كقوله تعالى في الفرقان ﴿وَقَالُواْ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾[(٢)] جوابه فيها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

(١) الآية الكريمة (١٨٩) من سورة البقرة.

(٢) الآية الكريمة (٧) من سورة الفرقان.

إلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾[1]. وتارة يكون في غير السورة كقوله تعالى في الأنفال ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا﴾ جوابه في بني إسرائيل ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ﴾ وفي الرعد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ جوابه في يس ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وفي الحجر ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ جوابه في ن ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾ وفي الفرقان ﴿قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَـنُ﴾ جوابه ﴿الرَّحْمَـنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ وفي الزخرف ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ جوابه في القصص ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ وفي القمر ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ جوابه في الصافات ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ وفي الطور ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ جوابه في الحاقة ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾.

فصل

فأما أجوبة الأقسام، فتارة يكون القسم في أوائل السور، وتارة في بعضها؛ فأما الذي في أولها فكقوله تعالى ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ إِلَـهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾، حم الزخرف ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ جوابه ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ حم الدخان ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ هَـؤُلاَءِ لَيَقُولُونَ﴾، ﴿ق وَالْقُرْآنِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾، ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ جوابه ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾، ﴿وَالطُّورِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، ﴿وَالنَّجْمِ﴾ جوابه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾، ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ جوابه ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ﴾ جوابه ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾،

---

(١) الآية الكريمة (٢٠) من سورة الفرقان.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ جوابه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ جوابه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ جوابه ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ جوابه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، ﴿وَالتِّينِ﴾ جوابه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ جوابه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ﴾ وأما الأقسام في غير أوائل السور فكثيرة كقوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

فصل

واعلم أن لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير، فتراهم يتصرفون في الكلمة الواحدة بالحركات فيجعلون لكل حركة معنى كالحِمْل والحَمْل والرُوح والرَّوْح؛ وتارة بالإعجام كالنَضْخ والنَضْح والقَبْضة والقَبْصة والمَضْمَضَةْ والمَصْمَصَةْ؛ وتارة يقلبون حرفاً من الكلمة ولا يتغير عنده معناها كقولهم: صاعقة وصاقعة وجذب وجبذ وما أطيبه وأيطبه وربض ورضب وانبض في القوس وانضب ولعمرى ورعملى واضمحل وامضحل وعميق ومعيق وسبسب وبسبس ولبكت الشيء وبلكته وأسير مكلب ومكبل وسحاب مكفهر ومكرهف وناقة ضمرز وضمزر: إذا كانت مسنة، وطريق طامس وطاسم، وقفى الأثر وقاف الأثر، وفاع البعير الناقة وقعاها، وقوس عطل وعلط: لاوتر عليها، وجارية قتين وقنيت: قليلة الرزء، وشرخ الشباب وشخره: أوله، ولحم خنز وخزن، وغاث يغيث وغثى يغثى، وتنح عن لقم الطريق[١] ولمق الطريق، وبطيخ وطبيخ وماء سلسال ولسلاس ومسلسل وملسلس:

---

(١) لقم الطريق بفتحتين وكصرد: معظمه أو وسطه.

إذا كان صافياً، ودقم فاه بالحجر ودمقه: إذا ضربه وفثأت القدر وثفأتها: إذا سكنت غليانها، وكبكبت الشيء وبكبكته: إذا طرحت بعضه على بعض.

فصل*

ومن سعة اللغة أن العرب تضع للشيء الواحد أسماء من غير تغير يعتريه، فيقولون: السيف والمهند والصارم، ويغيرون الاسم بتغير يعتري، فيقولون لمن نزل في الركى فملأ الدلو: مايح وللمستقى من أعلاها: ماتح؛ فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق، والياء المعجمة من تحت لمن تحت.

فصل

وقد قالوا: الصباحة في الوجه، والوضاءة في البشرة، والجمال في الأنف، والحلاوة في العين، والظرف في اللسان والرشاقة في القد واللباقة في الشمائل.

فصل

ويقولون: صدر الإنسان، ويسمونه من البعير. الكركرة، ومن الأسد: الزور، ومن الشاة: القص، ومن الطائر: الجؤجؤ، ومن الجرادة: الجوشن، والثدي: للمرأة، وللرجل: ثندوة. وهو من ذوات الخف الخلف، ومن ذوات الظلف: الضرع، ومن ذوات الحافر والسباع: الطبى.

---

* يراجع كتاب «فقه اللغة» للثعالبي والألفاظ لابن السكّيت وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر والألفاظ الكتابية للهمذاني ومُتَخَيَّر الألفاظ لابن فارس وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي الطرابلسي، في هذا الفصل وفصول تليه.

فصل

ويفرقون في الأوطان، فيقولون: وطن الإنسان، وعطن البعير، وعرين الأسد، ووجار الذئب والضبع، وكناس الظبي، وعش الطائر، وكور الزنانير، ونافقاء اليربوع، وقرية النمل.

فصل

ويفرقون في المنازل، فإن كان من مدر قالوا: بيت، وإن كان من وبر قالوا: بجاد، وإن كان من صوف قالوا: خباء، وإن كان من شعر قالوا: فسطاط، وإن كان من جلود قالوا: قشع، وإن كان من غزل قالوا: خيمة.

فصل

ويقولون لما يصنعه الطائر على الشجر: وكر، فإن كان على جبل أو جدار فهو وكن،فإن كان في وكن فهو عش، فإن كان على وجه الأرض فهو أفحوص، والأوحى للنعام خاصة.

فصل

ويفرقون في الشهوات، فيقولون: جائع إلى الخبز، قرم إلى اللحم، قرد إلى التمر، جغم إلى الفاكهة، عيمان إلى اللبن، عطشان إلى الماء، شبق إلى النكاح.

فصل

ويقولون لولد كل سبع: جرو، ولولد الأسد: شبل، ولولد كل وحشية: طفل وطلا، ولولد الناقة: خوار، ولولد الفرس: مهر وفلو ولولد البقر: عجل، ولولد الحمار: جحش، ولولد النعام: رأل وحفان، ولولد الظبية: خشف، ولولد الضب: حسل، ولولد الأرنب: خرنق، ولولد الثعلب: هجرس، ولولد الدب: الديسم،

ولولد الخنزير: خنوص، ولولدها من الضبع: فرعل، ولولدها من الذئب: سمع، ولفرخ الحمام، الجوزل، ولولد الضفدع: هجاه، ولولد الفيل: دغفل، ولولد الحرباء، السقد، ولولد اليربوع والفأرة: درحن، ولولد الحية: جربش ولفرخ الحجل: سلك، ولفرخ العقاب: صرم، ولفرخ النسر: هيثم ولفرخ الكروان: ليل، ولفرخ الحبارى: نهار، ولولد العقرب: فصعل.

فصل

ويفرقون في الأصوات، فيقولون صهل الفرس، وحمحم وشحج البغل، ونهق الحمار، ورغى البعير وجرجر وقبقب، وأطت الناقة، وثغت الشاة ويعرت، وثأجت النعجة، ونب التيس، وبغم الظبي ونزب، وزأر الأسد ونأم ونهت ونأت، ووعوع الذئب، ونهم الفيل، ودقح القرد، وقبع الخنزير، وضبح الثعلب، ومأت السنور، وفحت الأفعى، ونضنضت الحية، ونعق الغراب، وزقأ الديك ونقت الدجاجة، وصرصر البازي والصقر، وصفر النسر، وهدر الحمام وهدل، وغرد المكاء، وربطت البطة، وعندل البلبل، ونقنقت النعامة، وقطقط القطا، ووطوط الخفاش، وانقضت الضفادع، وعزفت الجن.

فصل

ويفرقون في الضرب، فيقولون للضرب بالراح على الوجه: صك، وعلى مقدم الرأس: صقع، وعلى القفا: صفع، وعلى الخد ببسط الكف: لطم، وبقبضها: لكم، وعلى الذقن والحنك: وهز، والجنب: وخز، وعلى الصدر والبطن بالكف: وكز، وبالركبة: زبن، وبالرجل: ركل، وكل ضارب من الحشرات بمؤخره: يلسع، وبفيه: يلدغ.

فصل

ويفرقون في الجماعات، فيقولون: كوكبة من الفرسان، وكبكبة من الرجال، وجوقة من الغلمان، ولمة من النساء، ورعيل من الخيل، وصرمة من الإبل، وقطيع من الغنم، وسرب[1] من الظباء، وعرجلة من السباع، وعصابة[2] من الطير، ورجل من الجراد، وخشرم من النحل.

فصل

ويقولون: يدى من اللحم غمرة، ومن الشحم زهمة، ومن البيض زهكة، ومن الحديد سهكة، ومن السمك ضمرة، ومن اللبن والزبدة شترة، ومن الثريد مردة، ومن الزيت قنمة، ومن الدهن زنخة، ومن الخل خمطة، ومن العسل لزقة، ومن الفاكهة لزجة، ومن الزعفران ردعة، ومن الطين ردغة، ومن العجين ودخة، ومن الطيب عبقة، ومن الدم ضرجة وسطلة، ومن الوحل لثقة، ومن الماء بللة، ومن الحمأة دوطة، ومن الأشنان قضضة، ومن المداد وحدة، ومن البزر والنفط نمسة ونسمة، ومن البول قتمة، ومن العذرة طفسة، ومن الوسخ درنة، ومن العمل مجلة.

فصل*

لا تقول العرب مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان، ولا للعظم عرق إلا ما دام عليه لحم؛ ولا كأس إلا إذا كان فيه شراب، وإلا فهي زجاجة؛ ولا كوز إلا إذا كانت له عروة، وإلا فهو كوب؛ ولا رضاب إلا إذا كان في الفم؛ ولا أريكة

(١) وفي القاموس: السرب القطيع من الظباء والنساء وغيرها..

(٢) وفي القاموس: العصبة بالضم من الرجال والخيل والطير: ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصابة أ.هـ.

* ينظر كتاب «الصاحبي في فقه اللغة» لأحمد بن فارس ص٩٨ في باب الأسماء التي لا تكون إلاّ باجتماع صفات وأقلّها ثنتان.

إلا للسرير عليه قبة؛ ولا ريطة[1] إلا إذا كانت لفقين، وإلا فهي ملاءة، ولا خدر إلى إذا كانت فيه امرأة، وإلا فهو ستر؛ ولا للمرأة ظعينة إلا إذا كانت في الهودج؛ ولا قلم إلا إذا كان مبريا، وإلا فهو أنبوب، ولا عهن إلا إذا كان مصبوغاً، وإلا فهو صوف؛ ولا ركية إلا إذا كان فيها ماء، وإلا فهو بئر؛ ولا خاتم إلا إذا كان عليه فص؛ ولا رمح إلا إذا كان له زج وسنان، ولا بدنة إلا للتي تجعل للنحر؛ ولا لطيمة إلا للإبل التي تحمل الطيب والبز.

فصل

حروف النداء خمسة: يا وأيا وهيا وأي وألف الاستفهام: فأما يا فظاهرة نحو: يا إبراهيم، يا موسى[2].

وأما أيا[3] فأنشدوا:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى   عيالك قد أمسوا مراميل جوعا

وأما هيا فقال ذو الرمة[4]:

هيا ظبيةَ الوَعَساءِ بينَ جُلاجلٍ   وبيَن النَّقا آأنتِ أَمْ أُمُّ سالِمِ

---

(١) (قوله ولا ريطة إلخ) فيه نظر، والذي في النهاية والقاموس والمختار وفقه اللغة والمصباح: أنه لا يقال ريطة إلا إذا كانت قطعة واحدة وإلا فهي ملاءة.

(٢) يا حرف من حروف التنبيه يُنادى به مرة ولا يُنادى به أخرى. ينظر: رصف المباني في حروف المعاني للمالقي ص٤٥١.

(٣) أيا معناها التنبيه ويُنادى بها كما ينادى بـ«يا» إلاّ أنها تكون لازمةً لنداء البعيد مسافة أو حكماً كان ثم والغافل. ينظر: رصف المباني ص١٣٦ والجنى الداني ص٤١٩.

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٦٢٢ ورواية صدره: أيا ظبية.. و(هيا) حكمها حكم أيا، والهاءُ فيها بدل من همزة أيا. رصف المباني ص٤٠٩، والجنى الداني ٥٠٧.

وأما أي فأنشدوا[1]:

ألم تسمعي أيْ عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُّحى ... غناء حمامات لهن سجيع

وأنشد سيبويه في ألف الاستفهام:

أَزَيْدُ أخا ورقاءَ إن كنت ثائراً ... فقد عرضت أحناءُ حَقٍّ فَخاصِمِ[2]

فصل

كل أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة: آدم وصالح وشعيب ومحمد؛ وقد تترك العرب الاسم الأعجمي على حاله وقد تغيره إذا عربته، فقد قالوا إبراهيم وإبراهام وإبراهم وإبراهِم، وقالوا إسماعيل وإسماعين، ولهم في يونس ست لغات كسر النون وفتحها وضمها مع الهمز في الثلاث لغات من غير همز.

فصل

في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾[3]

إنما سمي الهلال هلالاً لأنه حين يرى يهل الناس بذكره: أي يرفعون أصواتهم، من قولهم استهل الصبي ويقال أهل الهلال ولا يقال هل، وفي كم يسمى هلالاً؟ أربعة أقوال: أحدها يسمى هلالاً لليلتين والثاني لثلاث ليال والثالث حتى يحجر وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة والرابع إلى أن يبهر ضوءه سواد الليل وهذا يكون في

---

(١) البيت لكثيّر عزة في ديوانه ١/ ٢٣١ ورواية عجزه: بُكاءَ حماماتٍ لهُنَّ هديرُ وأي تكون تنبيهاً ونداءً ٨/١٢ أنها تختص بالقريب منزلة المصغي إليك. وينظر «الجنى الداني في حروف المعاني» للمرادي ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الكتاب لسيبويه ١/ ٣٠٣.

(٣) الآية الكريمة رقم (١٨٩)م سورة البقرة رقم ٢.

الليلة السابعة ثم يسمى قمراً؛ وقد جعلت العرب لكل ثلاث من الشهر اسماً، فقالوا: ثلاث غرر لأن غرة كل شيء أوله، وثلاث نفل لأنها زيادة في الغرر، وثلاث تسع لأن آخر أوائلها التاسع، وثلاث عشر لأن أول أيامها العاشر، وثلاث بيض لأنه تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها، وثلاث درع لاسوداد أوائلها، وثلاث ظلم لإظلامها، وثلاث حنادس لسوادها، وثلاث دآدى لأنها بقايا. وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر.

فصل

العرب تكنى بالأب، فتقول: أبو الحارث الأسد، وابو جعدة الذئب، وأبو الحصين الثعلب، وأبو اليقظان الديك، وأبو خداش السنور، وأبو أعمرة الجوع؛ ويكنون بالأم قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «أخذتك أم ملدم» يعني الحمى وأم غياث وأم الطباء الفلاة وأم راشد المفازة وأم معمر الليل وأم عمرو الضبع وأم الهيثم العقاب وام عوف الجرادة وأم حبين دويبة وأم الندامة العجلة وأم الدهم المنية وأم الزبيق الداهية وكذلك أم قشعم وأم الرقوب وأم حبوكرة؛ واما ذكرهم الابن فقال الله تعالى: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر: وابن بيض، المنكشف الحال، وابن جدد: المنجلي الأمر، وابن خلاوة: البريء من الشيء، وابن أنس: الصفي، وابن يم: الخليج، وابن داية: الغراب، وابن ذكاء: الصبح، وابن طاب: جنس من الرطب، وابن ثاداء: وابن تاطاء: ابن الأمة وابن بلدتها وابن بعطتها وابن بجدتها: العالم بالشيء وابن أقوال المقتدر على كلام وطامر بن طامر البرغوث؛ واما ذكرهم للبنات فيقولون بنت الجبل للصداء وللحية التي لا تجيب لراق وبنت الشفة الكلمة وبنت أدحية النعامة وبنات الليل الأحلام وبنات طبق للدواهي.

---

(١) الآية الكريمة رقم (٧)ك من سورة الشورى رقم ٤٢.

فصل

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾(١) للشمس ثلثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب فهي في كل يوم تطلع من مشرق وتغرب في مغرب ولا تقطع فلكها إلا في سنة؛ وأما القمر فإنه يقطع فلكه في شهر فذلك أنه ينزل في كل ليلة منزلاً ومنازله ثمانية وعشرون ثم يستتر؛ والمنازل التي ينزلها هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسماؤها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوى والسماك والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر والرشاء وهو الحوت؛ والأنواء النجوم واحدها نوءاً، وسمي نوءاً لأنه إذا سقط ناء الطالع، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله من ساعته، وكانت العرب تقول إذا سقط منها نجم وطلع آخر فلا بد من مطر، فكانوا ينسبون ذلك إلى النجم؛ وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنابفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(٢).

واعلم أنه إنما ذمهم لأنهم نسبوا المطر إلى فعل النجم، أما من قال مطرنا في نوء

---

(١) الآية الكريمة رقم (٥)ك سورة يونس رقم ١٠.

(٢) رواه البخاري في الصلاة (١/ ٢٥٦) باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم ومسلم في كتاب الإيمان-باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا (٢/ ٢٤٨) النووي -كلاهما أخرجاه من حديث زيد بن خالد الجهني.

كذا فإنه لا يذم ولهذا قال عمر رضي الله عنه كم بقى من نوء الثريا: أي كم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه إذا تم جاء المطر.

فصل

في القرآن آيتان كل آية تحوي حروف المعجم: في آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً﴾ وفي الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ إن قيل لك أين في القرآن سورة ليس فيها اسم الله الذي هو ا لله؟ فقل سورة القمر، وسورة الرحمن، وسورة الواقعة[1]، فأما المجادلة فليس فيها آية إلا وفيها اسم الله تبارك وتعالى.

فصل

قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قرأ الأعلام بفتح النون، وكسرها الأعمش وقد قرأ: (﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ -وتطمئن قلوبنا- ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ -ومالك لا تيمنا- وما يشاءون) وهؤلاء يقولون أنت تلحن وتذهب.

فصل

قوله تعالى: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ قرأ عاصم في آخرين أأنذرتهم بهمزتين مفتوحتين من غير مد وهي لغة هذيل، وقرأ أبو عمرو بهمزة بعدها مدة وهي لغة تميم، وقال ذو الرمة[2]:

(١) حصره ما ذكر في السور المذكورة غير صحيح، بل في القرآن سواها كثير ليس فيها ذكر ا لله: كالقارعة، والتكاثر، والعصر، والفيل وغير ذلك.

(٢) البيت له في ديوانه ص٦٢٢. الوعساء: رحلة.

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنتِ أمْ أُمّ سالمِ

أي أنت أحسن أم هي؟ وقال الآخر:

تطاللت فاستشرفته فرأيته فقلت له آأنتَ زيد الأراقم

ومن العرب من يبدل النبرة الثانية عيناً لتقاربهما في المسلك، وأن العين عندهم أخفّ من النبرة، ويروى بيت ذي الرمة[1]:

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خرقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيكَ مَسْجُومُ

يريد ءأن، وقال أيضاً فيما لا استفهام فيه:

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدُها وثغرُكِ إلاّ عنها غيرِ عاطل[2]

وتسمى كشكشة سليم وهو إبدال كاف المخاطبة شيناً[3]، والله فيه ثلاثة أسماء الياء والكاف المتصلتان بالسين لله، والياء والكاف المتصلتان بالهاء لرسوله ﷺ، والهاء والميم للكفار.

(١) البيت له في ديوانه ص٥٦٧.

(٢) يلاحظ إبدال الكاف بشين في البيت في بعض لغات العرب، البيت لذي الرمة في ديوانه ٤٩٥ وروايته:

فعيناك عيناها ولونُك لونُها وجيدُك إلاّ أنّها غَيْرُ عاطلِ

والعاطل: الذي لهلي عليه.

(٣) هنا سقط وهو قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وقوله الياء والكافي المتصلتان بالسين إلخ، فيه نظر والصواب أن الكاف المتصلة بالهاء للنبي عليه الصلاة والسلام، والهاء للكفار، والاسم الثالث هو لفظ الجلالة.

فصل*

الأمثال حكمة العرب، وفي القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً، وكم من كلمة تدور على الألسنة مثلاً جاء القرآن بألخص منها وأحسن، فمن ذلك قولهم: «القتل أنفى للقتل» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وقولهم: «ليس المخبر كالمعاين» مذكور في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وقولهم: «ما تزرع تحصد» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وقولهم: «للحيطان آذان» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وقولهم: «الحمية رأس الدواء» مذكور في قوله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ وقولهم: «احذر شر من أحسنت إليه» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وقولهم: «من علامة المدبر أن ينتظر المقبل ان يدبر» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ وقولهم: «من جهل شيئاً عاداه» مذكور في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ وقولهم «خير الأمور أوساطها» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وقولهم: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» مذكور في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ وقولهم: «لا تلد الحية إلا حية» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾.

* في أمثال القرآن والحديث النبوي الشريف ينظر كتاب: «الأمثال من الكتاب والسُّنّة» لأبي عبدا لله محمّد بن علي الحكيم الترمذي و«أمثال القرآن وأمثال الحديث» لابن قيّم الجوزية في كتب الأمثال ينظر: مجمع الأمثال للميداني وجمهرة الأمثال للعسكري وتمثال الأمثال للعبدري والمستقصى للزمخشري و..

فصول من الوجوه والنظائر*

فصل

الباء تذكر في القرآن بمعنى اللام ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ وبمعنى عند ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ وبمعنى في ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ وبمعنى بعد ﴿فَأَثَابَكُمْ غُمّاً بِغَمٍّ﴾ وبمعنى على ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ وتكون صلة ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾[1] وبمعنى المصاحبة ﴿وَقَدْ دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ﴾ وبمعنى إلى ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾ وبمعنى السبب ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ وبمعنى من ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ وبمعنى مع ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي مع جنده، وبمعنى من ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.

فصل

الحق بمعنى الجرم ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وبمعنى البيان ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ وبمعنى المال ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وبمعنى القرآن ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ﴾ وبمعنى الصدق ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ وبمعنى العدل ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ وبمعنى الإسلام ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ وبمعنى المنجز ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ وبمعنى الحاجة ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ وبمعنى لا إله إلا الله ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ ويراد به الله ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وبمعنى التوحيد ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ وبمعنى الحظ

* معنى الوجوه والنظائر هو أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلّ مكان معنى غير الآخر. فلفظ كل كلمة ذُكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر. وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه.

(١) ويجوز أن تكون الباء للإلصاق فتتعلق مع مجرورها بـ﴿وَامْسَحُواْ﴾.

﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾.

فصل

الخير يراد به القرآن ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ويراد به الأنفع ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ ويراد به المال ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾ ويراد به ضد الشر ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ ويراد به الإصلاح ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ويراد به الولد الصالح ﴿وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ ويراد به العافية ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ ويكون بمعنى النافع ﴿لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وبمعنى الإيمان ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً﴾ وبمعنى رخص السعر ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ وبمعنى النوافل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وبمعنى الأجر ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وبمعنى الأفضل ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ وبمعنى العفة ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾ وبمعنى الصلاح ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ وبمعنى الطعام ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وبمعنى الظفر ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً﴾ وبمعنى الخيل ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ وبمعنى القوة ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وبمعنى حسن الأدب ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ وبمعنى الدنيا ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

فصل

«في» تكون بمعنى الظرف ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ وبمعنى نحو ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ وبمعنى الباء ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ وبمعنى إلى ﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ وبمعنى مع ﴿ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ وبمعنى عند ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ وبمعنى عن ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ وبمعنى على ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وبمعنى اللام ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ وبمعنى من ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾.

فصل*

اللام في القرآن على ضربين: مفتوحة ومكسورة؛ فالمفتوحة ترد بمعنى التوكيد ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ وبمعنى القسم ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ وزائدة ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ والمكسورة ترد بمعنى الملك ﴿لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وبمعنى أن ﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ وبمعنى إلى ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ وبمعنى كي ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ وبمعنى على ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ وصلة ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ وبمعنى عند ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ وبمعنى الأمر ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾ وبمعنى العاقبة ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً﴾ وبمعنى في ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ وبمعنى السبب والعلة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله﴾.

فصل

روى فضالة بن عبيد[1] ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ ثلاثمائة آية يقول الجبار تعالى: قد نصب عبدي في فمن أراد سورتين يجمع فيهما ثلثمائة آية فإنهما البقرة والصف والأنعام وطه، والمؤمنون والصافات، والشعراء والأحزاب، ومن لم يحسن فليقرأ سورة الكوثر مائة مرة.

---

* هذه الفصول من الوجوه والنظائر: انظر حولها المصادر التالية: الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان، والتصاريف ليحيى بن سلاّم، وتحصيل نظائر القرآن للترمذي، والأشباه والنظائر لابن الجوزي، واصلاح الوجزة والنظائر في القرآن الكريم لأبي عبدا لله محمّد بن علي بن محمّد الدامغاني، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد المصري، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم (عن هارون بن موسى) وكلها مطبوعة.

(١) صحابي جليل شهد أحداً وبايع تحت الشجرة وشهد خيبر توفي في خلافة معاوية والحديث أظنه في عداد الموضوعات التي لا أصل لها ولم أجد الحديث في مسند فضالة بن عبيد لا عند المزي في تحفة الأشراف (انظر مسند فضالة بن عبيد في تحفة الأشراف ٨/ ٢٥٨) ولا عند الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٨) وفي كتب الحديث التي بين يدي وا لله أعلم.

الباب الثالث
فيه طرف ونتف وأسئلة

عاش آدم ألف سنة، وولدت حواء عشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، ولم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً، ثم انقرض النسل وبقي أولاد نوح؛ فسام أبو العرب، وحام أبو الزنج، ويافث أبو الروم والترك.

فصل

الأقاليم سبعة: الأول إقليم الهند، والثاني إقليم الحجاز، والثالث إقليم مصر، والرابع إقليم بابل، والخامس إقليم الروم والشام، والسادس بلاد الترك، والسابع بلاد الصين؛ ومقدار كل إقليم سبعمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ، والبحر الأعظم محيط بالدنيا، وجبل قاف محيط بالبحر، وأوسط الأقاليم إقليم بابل، وفيه جزيرة العرب، وهو سرة الدنيا، وبغداد وسط هذا الإقليم؛ ولاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من: شقرة الروم، وسواد الحبش، وغلظ الترك، وجفاء أهل الجبال، ودمامة أهل الصين، وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة.

فصل

وجميع ما عرف من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلاً؛ من أعجبها جبل سرنديب، طوله مائتان ونيف وستون ميلاً، وفيه أثر قدم آدم لما أهبط، وفي واديه الماس الذي يثقب به اللؤلؤ؛ وجبل الردم الذي فيه السد، طوله سبعمائة فرسخ، وينتهي إلى البحر المظلم، والبحار تستمد من البحر المحيط؛ وفي الأرض سبعمائة معدن.

فصل

قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[1] انظر إليك ويكفي، وتلمح ما لديك ويشفي؛ تأمل فطرة قطرة من ماء صبت عن اتقاد نار الشهوة كيف ظهرت فيها عن حركات اللذة، زقوم نقوش عقدتها يد القدرة كما تظهر الصورة في ثوب السقلاطوني عن حركات الشد؛ وإذا كنت لم تر تقلبك في البداية علمت بتقلب ولدك حالك إذا اجتمع الماء المخلق منه الولد؛ فأول الحالات أن يزبد فيظهر عن الزبد النفخ فيندفع النفخ كله إلى وسط الرطوبة إعداداً لمكان القلب، فالقلب أول عضو متكون ثم الدماغ ثم الكبد ثم يوماً يوماً إلى جميع الماء، فيستحيل علقة ثم مضغة، وفي تلك الحال يصير للأعضاء الرئية قدر محس فينتحى القلب عن الكبد ويبعد عنهما الدماغ وتتخطط الأطراف فتصير لحماً، فكم من صوت بين أرجل هذه النقل من تحريك جلاجل العبر في خلاخل الفكر، كلما رنت غنت ألسن الهدى في مغاني المعاني، ولكن لا يسمع أطروش الشقوة، وعظام البدن مائتان وأربعون سوى السمسمانية[2]، فمنها ما هو أساس للبدن يبنى عليه كما تبنى السفينة على الخشبة الأولى، ومنها كالمجن، فالقحف جنة الدماغ، والتخيل في مقدم الدماغ، والفكر في وسطه، والذكر في آخره؛ وكما أن الذكر نعمة فالنسيان نعمة، إذ لولاه ما سلى فقد ولا مات حقد.

---

(١) الآية الكريمة رقم (٢١)ك سورة الذاريات رقم ٥١.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٢١٠٤) السُّمْسُمَان والسُّمْسُمَاني الخفيف اللطيف السريع من كل شيء أ.هـ. ولعل العظام السمسمانية هي العظام الخفيفة اللطيفة. وا لله أعلم.

فصل

والعين مركبة من عشرة أجزاء وهي سبع طبقات، وثلاث رطوبات؛ فالطبقات كقشور البصل إن أصاب إحادها آفة نابت الأخرى، وإنما يكون البصر بالرطوبة الوسطى فهي تغتذي من الرطوبتين، وخلق الهدب ليدفع ما يطير إلى العين، وخلق الأنف لينحصر فيه الهواء المستنشق لترويح الرئة والدماغ، واللسان آلة للنطق ولتقليب الممضوغ، وجعل ماء الفم عذباً ليطيب المطعم، وماء الأذنين مراً ليرد الحشرات، وماء العين ملحاً؛ لئلا تذوب لأنهما شحمتان.

فصل

والأسنان اثنان وثلاثون: ثنيتان من فوق وثنيتان من تحت رباعيتان من فوق، ورباعيتان من تحت، ونابان من فوق، ونابان من تحت؛ ثم الأضراس، وهي عشرون من كل جانب من الفم خمسة، فمنها الضواحك، وهي أربعة أضراس تلي الأنياب إلى جنب كل ناب من أعلا الفم وأسفله ضاحك، ثم بعد الضواحك الطواحن ويقال لها الأرحاء، وهي أثنا عشر من كل جانب ثلاثة، ثم يلي الطواحن النواجذ[1] وهي أربعة، وهي آخر الأسنان من كل جانب من الفم واحد من فوق وواحد من أسفل؛ فالأنياب للكسر، والرباعيات للقطع، والأضراس للطحن.

فصل

وخلقت في الأصابع عظام غير مجوفة ليكون أقوى على الأفعال والصدمات، وقعر باطن الكف ليتمكن من قبض الأشياء.

(١) وتطلق أيضاً على الضواحك كما في النهاية.

فصل

قوّى الذات[1] ليكون أبعد للآفات، وهو في وسط الصدر وهو بيت النفس، وقد أميل إلى اليسار يسيراً ليبعد عن الكبد وله زائدتان كالخزانتين يصل إليهما النسيم والدم فيؤديانه بقدر والرئة وطاء للقلب.

فصل

وللكبد عرقان: أحدهما يسمى الباب يجذب الغذاء إليها فتطبخه وتوجهه إلى البدن في العرق الآخر المسمى بالأجوف. ثم يرسل المائية إلى الكليتين. والرغوة الصفراوية إلى المرارة. والرسوب السوداوي إلى الطحال.

فصل

وخلقت الأمعاء كثيرة التلافيف ليطول سير الغذاء فيها فلا يحتاج الإنسان إلى الغذاء في كل وقت، وخلق للقدم أخمص ليمسك ما يشبه الدرج؛ ثم قوام هذا البدن بالنفس، فلما تمت الخلقة جاء راغب ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[2].

فصل

ومن نظر في النبات زاد عجبه، هذه الشجرة كلما طال فرعها امتدت في الأرض عروقها ثم تحيا وتموت فتجمع بين العبرة وأمن الملل، فهي عند عدم ثمرتها كالغائب. فإذا همت بالقدوم بشر نور النور. تأمل الرمانة كيف حشيت بالشحم بين الحب ليكون غذاء لها إلى وقت عود المثل. ثم بين كل حشوين لفافة لئلا

(١) لعله سقط منه شيء، والكلام في القلب.

(٢) الآية الكريمة رقم (١١١)م سورة التوبة رقم ٩.

تتصاك فيجري الماء، وفي الشتاء تغور الحرارة في الشجر فتنعقد مواد الثمر فيظهر في الربيع؛ ويقوى حر الشمس في الصيف لإنضاج الثمار، والشمس دائمة المسير ليعم نفعها؛ ولما كانت الحاجة ماسة إلى النار جعلت كالمخزون وقت الحاجة، ولو بثت في العالم أحرقته.

فصل

ومن تفكر في الحيوانات أدركه الدهش من حكمة الخالق سبحانه. لما قدر الطيران خفف جسمه وجعل له جؤجؤ محدد يخترق به الهواء كما تخترق السفينة بجؤجؤها الماء، وكسى الريش ليتداخله الهواء فينقله، ولما كان يختلس قوته خوف اصطياده صلب منقاره لئلا ينسحج من الالتقاط. ونقص الأسنان لأن زمان الانتهاب لا يحتمل المضغ. وجعلت له حوصلة ينقل إليها فإذا أمن دفعه إلى القانصة فطحنته، ولما بث الطير صان السنبل بقشور محددة لئلا تنسفه الطير فتموت بشما فيفوت الحضان، والغربان لا تقرب نخلة موقرة حملاً فإذاجذت تسابقن إلى ما يبقى منها كما يتسابق الفقراء إلى المحصود فإن رأيت من الطير مؤذياً للثمر فذلك نادر كقطاع الطرق، ولما جعل رزق طائر الماء من الماء طول ساقاه فهو يقيم في ضحضاح فإذا رأى صيدا خطا إليه، ولو قصرت قائمتاه كان حين سعيه يضرب الماء ببطنه فينفر الصيد، و ليث الذباب يسكن كالميت فإذا غفلت عنه الذبابة وثب عليها. والنملة إذا عجزت عن حمل شيء إلى بيتها استعانت بجنسها فأعانها، فإذا بلغت باب بيتها عدن ورفهنه عليها تكرماً عن الأجرة. العصافير فيهم عصبية إذا وقع فرخ أحدها اجتمعوا حوله فعلموه الطيران. خرطوم البعوضة ينفذ في جلد الجاموس فيعتصم منه بماء النهر، كما أن إبرة العقرب تنفذ في الصفر. الطاووس يلقى ريشه

في الخريف إذا ألقى الشجر ورقه فإذا اكتسى الشجر اكتسى السمك لا يتنفس لأنه لا رئة له. الضفدع لا يمكنها أن تصوت حتى يغوص فكها الأسفل في الماء. قد ركب في الجرادة خلقة سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر السبع وبطنها بطن عقرب، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا جمل، وذنبها ذنب حية، وكل أسك يبيض، وكل مشرف الأذنين يلد.

فصل

من العجب أن الطير إذا انشق بيضها عن الفراخ علمت أن حوصلة الفرخ لا تحتمل الغذاء فتنفخ الريح في حلقه لتتسع الحوصلة، ثم تعلم أن الحوصلة تفتقر إلى دبغ وتقوية فتأكل من صاروج الحيطان وهو شيء فيه ملوحة كالسبخ، ثم تزقه فإذا قويت الحوصلة زقته الحب، فإذا استقل باللقط ثم طلب الزق ضربته بالأجنحة ولما كان الطائر يحتاج إلى زق فراخه لم يحمل عليه إلا تدبير بيضتين، ولما كانت الدجاجة لا تزق حضنت بيضاً كثيراً.

فصل

وقد خلق الله سبحانه وتعالى في الطير قوة ذكرية يذكر بها الأوكار والأعشاش، ورأفة طبيعية تزق بها الفراخ، فلو منحها الذكر دون الحنو لمازقت، ولو منحها الحنو دون الذكر ضاعت أعشاشها منها فهلك الفراخ.

فصل

ولما كان التمساح مختلف الأسنان صار كلما حصل بين أسنانه ما يؤذيه يخرج إلى

شاطئ البحر فاتحاً فاه طالباً للراحة، فيأتي طائر فينقر ما بين أسنانه فيكون ذلك رزقاً للطائر وترويحاً عن التمساح وربما ضم فاه على الطائر فهلك فلذلك يقول الناس فيمن عمل جميلاً فكوفئ بقبيح: هذه مكافأة التمساح.

فصل

الخلد: دويبة عمياء قد ألهمت وقت الحاجة إلى القوت أن تفتح فاها فيدخل الذباب فيه فتتناول منه.

الفهد على جباسة خلقه يصاد بالصوت الحسن، ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات فلم يدركه غضب على نفسه.

لما عزت نفس الببغاء زاحمت الآدميين في النطق وشابهتهم في تناول مطاعمهم بيدها. فالعجب لبهيم يتشبه بإنسان ولإنسان يتشبه بالبهيم.

فصول في علم الحديث

فصل

آخر من مات من أهل العقبة جابر بن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، ومن أهل بدر أبو اليسر ﷺ، ومن المهاجرين سعد بن أبي وقاص ﷺ، وهو آخر العشرة موتاً. وآخر من مات بمكة من الصحابة ابن عمر رضي الله عنهما، وبالمدينة سهل بن سعد ﷺ، وبالكوفة عبدالله بن أبي أوفى ﷺ، وبالبصرة أنس بن مالك ﷺ، وبمصر عبدالله بن الحارث بن جزء ﷺ، وبالشام عبدالله بن بسر ﷺ، وبخراسان بريدة ﷺ. وآخر الناظرين إلى رسول الله ﷺ موتاً أبو الطفيل عامر بن واثلة ﷺ.

فصل*

أول ما خلق الله القلم[1]، أول جبل وضع في الأرض أبو قبيس[2]، أول مسجد وضع المسجد الحرام[3]، أول ولد آدم قابيل، أول من خط وخاط إدريس[4]، أول من اختتن إبراهيم عليه الصلاة والسلام[5]، أول من دخل الحمام سليمان عليه السلام[6]، أول من سن الدية مائة من الإبل عبدالمطلب، أول من قطع في السرقة في الجاهلية وقضى بالقسامة وخلع نعليه عند دخول الكعبة الوليد بن المغيرة، أول من قضى في الخنثى من حيث يبول عامر بن الظرب، أول عربي قسم للذكر مثل حظ الأنثيين عامر بن جشم، أول من أَذَّن بلال[7]، أول من بنى مسجداً في الأرض عمار[8]، أول من سل سيفاً في الإسلام الزبير، أول شهيد في الإسلام

* ينظر هذا كله في كتاب «الأوائل» لأبي هلال العسكري.

(١) أخرجه ابو يعلى (٢٦/ ١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٧١) عن ابن عباس مرفوعاً وصححه الألباني رحمه ا لله في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٣) وأخرجه ابو داود عن عبادة بن الصامت رقم (٤٧٠٠) في السنة باب في القدر.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عطاء والديلمي في -مسند الفردوس- عن ابن عباس مرفوعاً- انظر (الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي (ص١٥) وجبل أبي قبيس هو الجبل المشرف على مكة وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٨٠) عدة احتمالات في سبب تسميته بأبي قبيس.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) كتاب المساجد من حديث أبي ذر ﷺ بلفظ: «قلت يا رسول ا لله أي مسجد وضع في الأرض أَوّلُ؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلٍّ فهو مسجد» وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٠) وأخرجه البخاري من حديث الأعمش به.

(٤) أخرجه العسكري في الأوائل (٢/ ١٧٩ وذكره السيوطي في الوسائل (ص٧٩).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة موقوفاً بلفظ: «أول من اختتن إبراهيم وهو ابن عشرين ومائة سنة واختتن بالقدوم» ورواه ابن السمّاك في فوائده انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٩١).

(٦) أخرجه الطبراني عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً انظر الجامع الصغير (١/ ١١٣) ورمز لضعفه وأخرجه البخاري في تاريخه (١/ ٣٦٢) بلفظ: «أول من صنعت له الحمامات سليمان» قال ابو عبدا لله -أي البخاري- فيه نظر لا يتابع في حديثه عن الكوفيين.

(٧) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة عن القاسم بن عبدالرحمن وأخرجه ابو الشيخ بن حيان في كتاب الأذان عن ابن عباس.

(٨) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة عن القاسم بن عبدالرحمن، وانظر الوسائل للسيوطي (ص٢٩)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٧٨).

سمية[1]، أول من أوصى بثلث ماله البراء بن معرور، أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون[2]، أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي[3]، أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر[4]، أول ما تفقدون من دينكم الأمانة[5]، أول الآيات طلوع الشمس من مغربها[6]، أول من تنشق عنه الأرض نبينا ﷺ[7]، وهو أول من يقرع باب الجنة[8]، وهو أول شافع، وأول مشفع[9].

---

(١) هي أم عمار بن ياسر ﷺ وعنها قيل بل أول من استشهد الحارث بن أبي هالة ينظر الأوائل للعسكري ص١٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والبخاري في تاريخه عن علي بن أبي طالب -انظر الوسائل للسيوطي (ص٣٩) وذكره ابن عبدالبر في الاستيعاب (٨/ ٦٣) الإصابة.

(٣) ذكره الذهبي في السير (٤/ ٨١) وأبو الحجاج المزي في تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٥٠٣) واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو وهو مع رجال الكتب الستة حدث عن كثير من الصحابة منهم عمر وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبو ذر والزبير وغيرهم.

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٢) وهو من كبار التابعين روى له الستة وحدث عن أبي ذر الغفار وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم وكان نم أوعية العلم كما قال الذهبي. وانظر ترجمته في تاريخ البخاري (٨/ ٣١١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٧٣) وتهذيب الكمال للمزي (ص١٥٢٩) وطبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه الطبراني (٧١٨٢-٧١٨٣) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص٢٨) والضياء في المختارة (١/ ٤٩٥) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخره الصلاة وصححه العلامة الألباني رحمه ا لله في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣١٩/ ١٧٣٩) وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ١٤٠) أول ما تفقدون من دينكم الأمانة. وذكره العسكري في الوسائل ص١٥٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/ ٢٢٦٠/ ١١٨) من حديث عبدا لله بن عمرو بن العاص وأخرجه ابو داود في كتاب الملاحم وأخرجه ابن ماجة في ك تاب الملاحم أيضاً وغيرهم.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب الخصومات- باب الخصومة بين المسلم واليهودي (٥/ ٧٠/ ٢٤١٢-الفتح) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً وفيه «.. فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض..» الحديث.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان (١/ ١٨٨) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة» وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤).

(٩) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» وأخرجه أبو داود (٥/ ٥٤) وأحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠) وابن ماجة من حديث أبي سعيد (٢/ ١٤٤٠).

فصل*

من المنسوبين إلى أمهاتهم بلال بن حمامة، واسم أبيه رباح، ابن أم مكتوم واسم أبيه عمرو، وبشير بن الخصاصية واسم أبيه معبد، والحارث بن البرصاء واسم أبيه مالك، خفان بن ندبة واسم أبيه عمير، سعد بن حبتة واسم أبيه مجير، شرحبيل بن حسنة واسم أبيه عبدا لله، عبدالله بن بحينة واسم أبيه مالك، مالك بن غيلة واسم أبيه ثابت، معاذ ومعوذ ابنا عفراء واسم أبيهما الحارث، يعلى بن سيابة واسم أبيه مرة، يعلى بن منية واسم أبيه أمية، وهؤلاء كلهم صحابة.

فصل

مضر بن نزار، وهما حيان: خندف وقيس، فأما خندف فهي امرأة إلياس بن مضر نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم، وأما قيس فهو ابن الناس بالنون ابن مضر فمن قبائل خندف قريش واسمه النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

فصل

أحمد في الأسماء كثير، وأحمد بن عجيان شهد فتح مصر، أنس كثير وآتش جد محمّد بن الحسن بن آتش الصنعاني؛ بشر كثير وبسر بن أبي أرطأة، ويسر أبو اليسر صحابيان ويسر بن أنس متأخر، ونسر قاضي كرمان ونشر محمّد بن نشر الكوفي،

* في هذا المعنى والغرض صَنَّفَ محمّد بن حبيب بن جعفر (ت٢٤٥هـ) كتاب «من نُسب إلى أمّه من الشعراء» ونشره محققاً العلاّمة عبدالسلام محمّد هارون في مجموعته الشهيرة «نوادر المخطوطات» القاهرة وكان قد نشره أولاً في مجلة «المقتطف»-مايو ١٩٤٥.

خبيب وجبيب صحابيان، وحبيب بن النعمان وصبيب أخوا حمزة، خنيس بن حذافة ووهب بن خنيس وحبيش صحابة، وحبيس بن عائذ مصري من الأسماء الظريفة مسدد بن مسرهد(١) بن مسربل بن مغربل بن مطربل بن أُرندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد الأسدي.

فصل

الأسيدي أبو خالد من آل أسيد بن أبي العيص، والأسدي حريث بن مالك، والأسيدي حنظلة بن الربيع، والأسبني عبدالله بن دارم البابي، والباني موسى بن عبدالملك والثاني إبراهيم بن زيد، والثاني كريب بن سعد. البجلي: جرير بن عبدالله البجلي، والبجلي عمرو بن عبسة، والنخلي أبو هند، والنحلي عامر بن سيار، والنحلي عبدالله بن منيح، والبناني ثابت البناني، والبتاتي أحمد بن جابر، والبياني قاسم بن أصبغ، والتباني أبو تمام اللغوي، والتباني الحسين بن أحمد، والنباتي محمّد بن سعيد الأندلسي، والنبابي أبو عامر الواعظ. الجرجاني منسوب إلى جرجان، والخرجان زياد بن محمد، الخرخاني أبو جعفر الفرائضي، والجوخاني يزيد بن زيد، والجوخاني أبو عمرو الفراتي، العبسي حذيفة والكوفيون، والعنسي عمار والشاميون، والعيشى الصعق بن حزن والبصريون.

(١) وفي القاموس والتاج زيادة: مجرهد بعد مسرهد. وفي شذرات الذهب زيادة: مرعبل بين مغربل ومطربل، وباقي النسب على ما ذكره المصنف، وهو شيخ البخاري روى له في الصحيح. وقيل أنه أول من صنف المسند في البصرة وروى عنه أبو داود والترمذي والنسائي.

فصل

في السنة الأولى من الهجرة آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وفي الثانية حولت القبلة، وفي الثالثة ولد الحسن، وفي الرابعة ولد الحسين، وفي الخامسة نزل الحجاب وفي السادسة تكلم أهل الإفك، وفي السابعة غزوة خيبر، وفي الثامنة فتح مكة، وفي التاسعة بعث عليا ببراءة، وفي العاشرة حج حجة الوداع. وفي الحادية عشرة توفي رسول الله ﷺ.

فصل

من العجائب امرأة شهد لها بدراً سبعة بنين مسلمين وهي عفراء بنت عبيد. تزوجها الحارث بن رفاعة فولدت له معاذاً ومعوذاً ثم تزوجها بكير فولدت له إياساً وخالداً وعاقلاًو وعامراً؛ ثم رجعت إلى الحارث فولدت له عوفاً فشهدوا كلهم بدراً مسلمين. ومن هذا الجنس امرأة كان لها أربعة إخوة وعمان وشهدوا بدراً، فأخوان وعم مع رسول الله ﷺ، وأخوان وعم مع المشركين وهي هند بنت عتبة بن ربيعة؛ فالأخوان المسلمان أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير، والعم المسلم معمر بن الحارث، والأخوان المشركان الوليد بن عتبة وابو عزيز، والعم المشرك شيبة بن ربيعة.

فصل

ومن العجائب ثلاثة كانوا بني عم في زمن واحد كل واحد اسمه عليّ ولهم ثلاثة أولاد كل واحد اسمه محمّد والآباء والأبناء أشراف وهم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبدالله بن عباس وعلي بن عبدالله بن جعفر. ومن العجائب أربعة إخوة بين كل واحد وواحد عشر سنين وهم أولاد أبي طالب؛

فطالب أسن من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين.

فصل

في أحادي مشتبهة الرواة: روىعطاء عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «في كل الصلاة قراءة، فما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم وما أخفى علينا أخفينا عليكم»(١) وروى عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»(٢) وروى عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»(٣) وروى عطاء عن أبي هريرة ﷺ «أن النبي ﷺ سجد في اقرأ باسم ربك»(٤) وروى عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى ثلث الليل يقول الله تعالى: ألا داع يجاب»(٥). عطاء الأول هو ابن أبي رباح، والثاني الخراساني، والثالث ابن يسار، والرابع ابن ميناء، والخامس مولى أم حبيبة. حديث آخر، روت عمرة عن عائشة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٥١-الفتح) ومسلم (٣٩٦) وأبو داود (٧٩٧) والنسائي (٢/ ١٦٣) أخرجه ابن الجارود في المنتقى (ص٧٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٧٥) وابن حبان في الإحسان (٣/ ١٣٥) والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨-٤٣٥-٢٧٣).

(٢) أخرجه عب بن حُميد في مسنده (ص٤٢٦/ ح١٤٦) والخطيب في تاريخه (١٤/ ٣٣٢) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٣) وأحمد بن عبدا لله الطبري في الرياض النظرة في مناقب العشرة (١/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٣) صلاة المسافر عن الإمام أحمد بن حنبل.

(٤) رواه مسلم في صحيحه باب سجود التلاوة (٥٧٦) والترمذي (٥٧٣) وأبو داود (٢/ ٨٣) أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٣) والطحاوي (١/ ٣٥٧) وابن حبان -الإحسان- (٤/ ١٨٩) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٩) وابن خزيمة (١/ ٢٧٨) وذكره الحافظ ابن حجر في اتحاف المهرة (١٥/ ٣٩٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩/ ح١٠٦٢٦) وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١/ ٥٢١) كتاب صلاة المسافر وقصرها.

رضي الله عنها قالت: «لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدثت النساء لمنعهن المسجد كما منعته نساء بني إسرائيل»[١] وروت عمرة: «أنها دخلت مع أمها على عائشة رضي الله عنها فسألتها ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الفرار من الطاعون؟ قالت سمعته يقول: «كالفرار من الزحف»[٢]. وروت عمرة قالت: «خرجت مع عائشة رضي الله عنها فرأينا المصحف الذي قتل عثمان وهو في حجره فكانت أول قطرة قطرت على قوله فسيكفيكهم ا لله»[٣]. وروت عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الوصال»[٤]. عمرة الأولى هي بنت عبدالرحمن الأنصارية، والثانية بنت قيس العدوية، والثالثة بنت أرطاة، والرابعة يقال لها الطاحية.

فصل

أنس بن مالك في الحديث خمسة، ابن زيد ستة، جابر بن عبدالله سبعة، الخليل بن أحمد خمسة، سعيد بن المسيب ثلاثة. عبدالرحمن ابن مهدي اثنان، عبدالله بن المبارك ستة، عمر بن الخطاب سبعة، عثمان بن عفان اثنان، علي بن أبي طالب تسعة، عمران بن حصين أربعة قتيبة بن سعيد ثلاثة، الليث بن سعيد بن سعد أربعة، مسلم بن يسار ستة، مقاتل بن سليمان[٥]، مالك بن أنس اثنان، فضيل بن عياض اثنان،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٢٩/ ٤٤٥) وأبو داود (١/ ١٥٥/ ٥٦٩) وأحمد في مسنده.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٩٨٦/ ١٧٠٩) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٩٨/ ٢١٨٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢/ ١٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٢) عائشة بلفظ «نهى عن الوصال رحمة لهم..» الحديث ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٦/ ١١٠٥) وأبو داود في التطوع من سننه وغيرهم.

(٥) هكذا الأصل بدون بيان عدد.

يحيى بن معاذ ثلاثة، يوسف بن عطية ثلاثة، يوسف بن أسباط ثلاثة، أبو عمران الجوني اثنان، أبو بكر بن عياش ثلاثة.

فصل

إن قيل لم دخلت الفاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ﴾[1] ولم تدخل في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[2] فالجواب حين لقيه قتله ولم يخرقها حين نزل. إن قيل ما وجه قوله تعالى ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[3] والشمس أكبر من الأرض؟ فالجواب أن تلك العين لم يكن بعدها بنيان فرآها تغرب فيها كما يرى راكب البحر الذي لا يرى طرفيه عند غروب الشمس أنها تغرب في الماء، يدل على هذا أن الشمس في السماء الرابعة ولولا عظمها ما رأيناها؛ ألا ترى أن طائراً لو بعد عنا قدر ألف ذراع لم نره فكيف وبيننا وبين السماء ستمائة عام. إن قيل لم قال فرعون ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4] وكيف اجابه قوله ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[5]؟ فالجواب أن لفظه «ما» تستخلص الماهية من الجناس والأنواع والخالق سبحانه ليس بداخل تحت جنس فيكون نوعاً ولا تحت نوع فيكون شخصاً، فلما بطل عمل ما أجابه بمن. وصار هذا كقول القائل من في الدار وليس في الدار ما يقع عليه من، فيجاب بما فيها مما يقع عليه فوصفه بأفعاله التي ظهرت إضافة تعريف، ولو أن قائلاً يقول آدم ابن من؟ لحسن أن يقال هو أبو شيث، فإن قيل ما فائدة قول موسى

(١) الاية الكريمة رقم (٧٤)ك سورة الكهف رقم ١٨.
(٢) الآية الكريم رقم (٧١)ك سورة الكهف رقم ١٨.
(٣) الآية الكريمة رقم (٨٦)ك سورة الكهف رقم ١٨.
(٤) الآية الكريمة (٢٣)ك سورة الشعراء رقم ٢٦.
(٥) الآية الكريمة (٢٤)ك سورة الشعراء رقم ٢٦.

«فأرسله معي ردءاً يصدقني» وأي شيء ينفعه عند فرعون تصديق هارون؟ فالجواب ليس المراد أن يقول صدقت إنما المراد أن هارون بفصاحته وبلاغته يبسط الكلام ويجادل فيكون ذلك تصديقاً لموسى. إن قيل ما معنى ذكر العلم في قوله تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ فذكر العلم في الموضعين وكان ذكر القدرة أوقع؟ فالجواب أنه لما كانت اللحمان تنتقل بالأكل من حيوان إلى حيوان وتختلط الجواهر بالجواهر وكان ذلك أكبر، شبه القوم حين قالوا: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فرأوا أن الحيوانات تأكل وتؤكل فاستبعدوا إدراك العلم بتمييز ما تفرق من الجواهر وإحاطة القدرة برد المتفرق فوصف نفسه بعلم ما تفرق من الأجسام والجواهر بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ وبقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ومن علم قدر ما يؤكل ويتفرق علم أين يذهب وقدر على إعادة الذاهب، وقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فجمع في هذه الآية بين القدرة على الإعادة والعلم بتمييز الأجزاء المختلطة ولما كان البلى واختلاط الأجسام ينافي في العادة العود ذكر وجود النار في الشجر الأخضر، وقد قيل: ما من شجرة إلا وفيها نار إلا شجرة العناب ولهذا يتخذ منها كذينقات القاصرين. إن قيل لم قال المشركون ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُواْ بِآبَائِنَا﴾ كيف صلح أن يكون الجواب ﴿خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟. فالجواب أنهم لما أنكروا البعث وسألوا في الدليل عليه إحياء الآباء كان ذلك جهلاً منهم من أربعة أوجه أحدها أنهم قد رأوا من الآيات الدالة على البعث نطقاً وتنبيهاً ما يكفي فلم يبق عندهم إلا التعنت أو ليس النشأة الأولى تكفي دليلاً على القدرة على البعث؟ ومن أحيا الأرض بماء المطر وأخرج الحب العفن من تحت التراب يهتز خضراً وأبرز ناقة من صخرة وثعباناً من عصى وفروخاً من بيضة وولداً من بطن،

وكل ذلك قبور مبعوثةقادر على بعث الموتى؟. والثـاني أن الدليـل علـى الشـيء لا يكون نفس الشيء، والقوم طلبوا الدليل على الأعادة. والثالث أنه إن لم يعـد الآبـاء فقد أوجدوا الأبناء والخلق للأبناء من مواد تجري مجرى الرمم تدل العقـل بوجودهـا على ما لم يوجد، فقولهم: ﴿فَأْتُواْ بِآبَائِنَا﴾ معناه عجلوا لنا لأن إعادة الآباء هـو عـين القيامة لا دليل وجودها، يحسن أن يكون جوابهم إني قد أهلكت مـن تنطـع قبلكـم وغفل عن أعمال أدلة العقول فاحذروا. والرابع أن الإعادة إنما تكون جزاء والجـزاء يكون في الآخرة لا في الدنيا، ثم قد جاء جواب سؤالهم بعد ذلك وهو قولـه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ الآيات، فبـين أنـه لم يخلـق ذلـك إلا للدليل على القدرة، ولولا البعث والجزاء كان الخلـق عبثـاً، وإذا كنـت لم أخلـق مـا خلقت لكم من السماء والأرض وغيرها عبثـاً أفـأخلقكم عبثـاً وأنتـم محـل معرفـتي وتكليفي وخطابي؟ كلا والله ما زجرتكم عـن شـهواتكم ثـم رميتكـم في القبـور إلا لأبعثكم وأجازيكم ولولا ذلك كان فعلي عبثاً وأنا منزه عن العبث. إن قيل ما فائدة قوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً﴾ وفي التنازع نوع مخاشنة؟ فالجواب إن في المنازعـة دلالة شوق إلى الكأس ومتى وقع الشوق إلى المتنـاول كـان أشـهى. فـإن قيـل: ففـي الشوق نوع نغصة إلى أن يحصل المشوق، فالجواب أن النغصة إنما تقع فيما يخاف فوته لا فيما يتيقن حصوله.

فصل

قلت يوماً من لم يتطهر إلا بالماء فقبلته الحائط، ومن كانت طهارتـه تنقيـة القلـب من الآفات فقبلته الوحدانية. وقلت مراكب الوجد واقفة تنتظر أنفاس الصعداء فـإذا هبت ألقتها إلى بلد الوصل.

وقلت العباد بالليل يهذون القراءة ويسترون، وأما أهل المحبة فمعهـم خيـم كلمـا

لاح لهم معنى ضربوا خيمة وأقاموا. وقلت إذا انتهت شفاعة الشافعين، قال الحق بقيت رحمتي فيخرج خلقاً من النار وذلك أن مناقيش الشفاعة خلصت ما أمكنها من ذرات التفريط، فأقبل زئبق الرحمة فألف شمل خفيات أعجزت صائغ الشفاعة.

وحكيت عن أبي محمّد الجريري قال: غسلت فتح بن شخرف فرأيت على فخذه مكتوباً لله فذهبت أنظر فإذا به بين الجلد واللحم، قلت أشعر الهوى بالوقفية ليكف كف التصرف. وسأل سائل من أين دخلت هذه الغفلة؟ فقلت من باب المخالفة، فإذا رأت اليقظة تمكنها أعرضت. من تزوج حرة لها أنفة فأقبلت إلى الدار فرأت مملوكة رجعت من الباب. وقلت الظالم في خفارة معاصي المظلوم، كما أن مانع الصدقة في خفارة كذب السائل. وقلت كان الشبلي في النزع وهو يقول:

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

قوة المحبة برسام حاد لا يحس معه بالتلف. وقلت الهوى محبة إن مد فنزلة وإن قصر فنزول. وقلت كانوا يقولون: عجائب بغداد ثلاث حكايات: جعفر الخواص، وإشارات الشبلى، ونكت المرتعش وأنا قد أدخلت الثلاث الكير فصارت في مجلسي سبيكة وزدت النقش، وقرئ بين يدي ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ فقلت مسكن طيب ففي أي المحال هو؟ قيل: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ قلت من الجار؟ قيل: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ قلت الآن تمت الأماني؟ وسئلت عن قوله ﷺ: «لله في كل يوم إلى عبده المؤمن ثلثمائة وستون نظرة»[1] فقلت هذا عدد عظام الادمي، فإذا صلى

(١) الحديث الوارد في ذلك بلفظ «في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامى أو عظم أو مفصل على كل واحد في كل يوم صدقة، كل كلمة طيبة صدقة..» الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٢) عن ابن عباس مرفوعاً وله شاهد عند مسلم في صحيحه بلفظ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة..» الحديث (مسلم ٢/ ١٥٨) وأبي داود (٢/ ٢٤٩) وأحمد (٥/ ١٦٧).

ركعتين فكل عظم له فيها حركة فينظر إليه رضي بما فعل. وقلت يا خاطب الدنيا إنها لا ترضى بمهر سوى دينك فإن أمهرتها دينك نقلت إليك في جهازها الحرص والطمع. وقلت: الأولياء يستعملون العزايم لأنهم حضور وأنتم مع الرخص لأنكم مسافرون عن الحضرة. وسئلت ما بال الكبير يعلم قرب الرحيل وأمله طويل؟ فقلت: لو كشف الغطاء عن العواقب مات الحرص والأمل ولهما أجل. قال قائل إني لا أقنع بالبلغة وفي باطني شره. فقلت: لو قنعت ما رهنت دار القلب على شهوة وسلمت كتب الأصل. وقلت يوماً: إيثار ما يفنى على ما يبقى برسام حاد، وذكرت يوماً علماً غريباً ثم أنشدت:

إنـي انـا السـيف الحسـام الهنـدي   وكـل مـا يطلـب عنـدي عنـدي

وقلت مياه المعاني المخزونة في صدر العالم يفتح منها لزرع قلبه سيحاً بعد سيح فإذا تكاثرت عليه صاح السيل. وقيل لي ما أحسن ارتجالك! فقلت: الطبع ينظم، والذوق يزن، والقريحة تتخير، واللسان يصقل، والسمع يستنشق، والفهم يستعذب، وأنشدت:

بسـتاننا فيـاح   ريحانـه فـواح
تفاحـه نفـاح   لفاحـه لفـاح
جدولـه سـياح   بلبلـه صيـاح
حمامـه صـداح   أخلاقـه مـلاح

تحيا به أرواح

قال سائل صف لي جادة القوم، فقلت: المضحي في بوادي الجوع والمعشى بوادي السهر إلى أن تلوح بوادي القبول.

الباب الرابع
في المتعلق بالوعظ

فصل: في التوحيد

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ أول ليس له مبدأ آخر جل عن منتهى، ظاهر بالدليل، باطن بالحجاب، يثبته العقل ولا يدركه الحس، كل مخلوق محصور بحد مأسور في سور قطر، والخالق بائن مباين يعرف بعدم مألوف التعريف، ارتفعت لعدم الشبه الشبه، إنما يقع الإشكال في حق من له أشكال وإنما تضرب الأمثال لمن له مثال، فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال. عظمة عظمت عن نيل كف الخيال. كيف يقال كيف والكيف في حقه محال؟. أنى تخايله الأوهام وهي صنعه كيف تحده العقول وهي فعله؟. كيف تحويه الأماكن وهي وضعه انقطع سير الفكر. وقف سلوك الذهن. بطلت إشارة الوهم. عجز لطف الوصف. عشيت عين العقل. خرس لسان الحس. لا طور للقدم في طور القدم. عز المرقى فيئس المرتقى. بحر لا يتمكن من غائص، ليل لا يبين فيه للعين كوكب. مرام شط مرمر العقل فيه فدون مداه بيد[1] لا يبيد[2]. جادة التسليم سليمة. ووادي النقل بلا نقع. انزل عن علو غلو التشبيه، ولا تعل. قلل أباطيل التعطيل، فالوادي بين الجبلين. المشبه ملوث بفرث التجسيم. والمعطل نجس بدم الجحود. ونصيب المحق لبن خالص هو التنزيه. ما عرفه من كيفه. ولا وحده من مثله. ولا عبده من شبهه مما[3] تنزه عنه مِمَّ فيما يجب نفيه

(١) جميع بيد: وهي الأرض الفلاة.

(٢) لعله لا تبيد.

(٣) لعله بما.

فبم. جل وجوب وجوده عن رجم لعل. سبق الزمان فلا يقال كان[١]. إذ تمجد في وحدانيته عن زحام مع تفرد بالإنشاء. فلا تستفهم عن الصانع بمن أبرز عرائس الوجود من كنّ كن، بث الحكم فلا يعارض بلم. تعالى عن بعضية من. وتقدس عن ظرفية في. وتنزه عن شبه كأن. وتعظم عن نقص لو أن، وعز عن عيب إلا أن. وسما عن تدراك لكن. إن وقف ذهن بوصفه صاح العز جز. إن سار فكر نحوه قالت الهيبة عد. إن قعد القلب[٢] عن ذكره قال القلب قم. إن تجبر متكبر قال للقهر سم. إن سأل محتاج قال للإنعام رش. إن تعرض فقير قال للوفر فر. إن سكت مذنب حياء قال الحلم قل. إن بعد ذو خطأ قال العفو أب. نثر عجائب النعم وقال للكل خذ. من بيان عظمته ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾. من أثر قسره ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾ توقيع أمره ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾. واقع زجره ﴿يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ينادى على باب عزته ﴿لاَ يُسْأَلُ[٣]﴾. يصاح على محجة حجته ﴿لِّمَنِ الأَرْضُ﴾. ينذر جاسوس علمه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ﴾، يقول جهبذ طوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾ يترنم منشد فضله ﴿لاَ تَقْنَطُواْ﴾ تبارك الله في علياء عزته. وكَلّ كُل لسان عن تعاليه. وجوده سابق، لا شيء يشبهه. لا شريك له. لا شك لي فيه. لا دهر يخلقه. لا نقص يلحقه. لا كشف يظهره. لا ستر يخفيه. لا كون يحضره. لا عون ينصره. وليس في الوهم معلوم يضاهيه.

(١) (قوله فلا يقال كان) راجع ما تقدم في حاشية الخطبة السادسة والعشرين تجد ما يشفي أ.هـ.

(٢) لعله إن قعد اللسان.

(٣) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

فصول في ذكر القصص

فصل
في قصة آدم عليه السلام

لما خلق الله عز وجل آدم ألقاه كاللقا[1]، فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد، فلما زل نزل فأقلق الوجود ببكائه، فقال جبريل مالك فأجاب لسان حاله:

ما رَحَلْتُ العيسَ عن أرضِكُمُ ... فرأت عيناي شيئاً حسنا
هل لنا نحوكم من عودة ... ومن التعليل قولي هل لنا

فقيل لا تحزن لقولي ﴿اهْبِطْ مِنْهَا﴾ فلك خلقتها. اخرج إلى مزرعة المجاهدة، وسق من دمعك ساقية لندمك، فإذا عاد العود خضراً فعد.

إن جرى بيننا وبينك عتب ... وتناءت منا ومنك الديار
فالعليل الذي عهدت مقيم ... والدموع التي علمت غزار

واعجبا لقلق آدم بلا معين على الحزن. هو أم الأرض لا تفهم ما يقوله وملائكة السماء عندهم بقايا ﴿أَتَجْعَلُ[2]﴾ فهو في كربة.

* لا رحيم من آل ليلى فأشكو *

ثم لم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى استولى داؤه على أولاده فنمت هينمة الملائكة بعبارة بطر العافية فنشروا مطوى أتجعل:

* وتبقى حزازات النفوس كما هيا *

(١) (قوله اللقا) الشيء المطروح.
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

فدعوا بعصى: الدعاء طهور العصاة، فقيل لهم لو كنتم بين أفاعي الهوى وعقارب اللذات لبات سليمكم سليماً، فأبوا للجراءة إلا جرَّ الدعاوى، وحدثوا أنفسهم بالتقى بالتقاوى فقيل نقبوا عن نقبائكم.وانتقوا ملك الملكوت، فما رأوا لمثلها مثل هاروت وماروت، فنزلا منزل الدعوى، فنزلا عن مقام العصمة، فركبا مركب البشرية، فمرت على المرءين امرأة يقال لها الزهرة، بيدها مزهر زهرة الشهوة، فغنت الغانية بغنة أغن، فرنت قباب الهوى فهوى الصوت كالصوت إلى قلب قلبيهما عن تقوى التقويم، فانهار بناء عزم هاروت، ومار هم حزن ماروت، فأراداها على الردى فراوداها، وما قتل الهوى نفساً فوداها، فبسطت نطع التنطع، إما أن تشركا، وإما أن تقتلا، وإما أن تشربا؛ فظنا سهولة الأمر في الخمر وما فطنا، فلما امتد ساعد الهوى فسقى فسقا، فزنيا وقتلا، ففتت فتنتهما في فئة الملائكة، فاتخذوا لتلك الواردة ورداً من تضرع. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾.

فصل
في قصة نوح عليه السلام

أنذر الخلائق ألف سنة إلا خمسين عاماً، وبصيرهم كلما رأى الحق يتعامى ، فلاح اللاحى عدم فلاحهم فولاهم الصلاء يأسا من صلاحهم، فأذن مؤذن الطرد على باب دار إهدار دمائهم، فغربت لشمس الأنظار، فادلهمت عقاب العقاب فلما انسدلت الظلمة فات النور وفار التنور.

فصل
في قصة عاد

اتل ما فعل بعاد بعاد، سحب سحاب العذاب ذيل الإدبار بإقباله إلى قبالتهم،

فظنوه لما اعترض عارض مطر، فصاح بلبل البلبال فبلبل ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ فراحت ريح الدبور لكي تسم الأدبار بكى الإدبار، فعجوا منها عجيج الأدبر، فلم تزل تكوى تكوينهم بميسم العدم، وتلوى تلوينهم إلى حياض دم الندم، وتكفأ عليهم الرمال فتكفي تكفينهم، وتبرزهم إلى البراز عن صون حصون كن يقينا يقينهم، فما برحت بارحهم عن براحهم حتى برحت بهم، ولا أقلعت حتى قلعت قلوع قلاعهم، فدامت عليهم آفة وداء لا تقبل فداء ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ فحسوا ما أذاقتهم من سوء ما ماسوا.

فصل

في قصة ثمود

لما أعرضوا عن كل فعل صالح، بعث إليهم للإصلاح صالح، فتنطع عليه ناقه هواهم بطلب ناقة، فخرجت من صخرة صماء تقبقب وفصل عنها فصيل يرغو، فقال حاكم الوحي ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ فضرب أشقاهم بعطن ﴿فَتَعَاطَى﴾ فصب عليهم صيب صاع ﴿صَّاعِقَةُ﴾.

فصل

في قصة الخليل عليه السلام

لما خاض المخاض في خضم أم إبراهيم، خرجت به من ضيف[1] الخوف إلى حيز التحير تهيم، فوضعته في نهر قد يبس، وغطته بالحلفاء ليلتبس، فلما ترعرع أحضره نمرود فأحضر في ميدان الدليل ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ ثم دخل على

(١) لعله ضيق.

الأصنام وقت الفراغ فراغ عليهم، فجردوه من بردى برد العدل إلى حر ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فسبق بريد الوحي إلى النار بلسان التفهيم ﴿كُونِي بَرْداً وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

فصل

في قصة لوط عليه السلام

لماتهاووا في هوة أهوائهم لا يرعون جاه ضيف، فأقبلوا يهرعون فدافع بمشورة ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي﴾ وبتقاة ﴿فَاتَّقُواْ اللّـهَ﴾ وبسؤال ﴿وَلاَ تُخْزُونِ﴾ وبتوبيخ ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ﴾ فلما كلّ كل سلاحه، وأعيته جهات جهاده، أنّ برمز ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ فاحتمل جبريل قرى من قد جنى على قرا[1] جناحه، فلم ينكسر وقت رفعهم إناء، ولم يرق في صعود صعودهم ماء؛ فلما سمع أهل السماء نباح كلابهم، أسرعت كف القلا بهم في انقلابهم، تالله لقد ضكضك العذاب فضعضعهم فتضعضعوا، وانقض بقضه وقضيضه فقضقض عظام عظامهم وقظها فتقطعوا، وسار بهم في طرفسان[2] عقاب العقاب إلى عوطب[3] العطب فاهرمعوا[4]، وكانوا في كن صافي الصفات فمروا إلى مر الريف فافرنقعوا[5] وهمس هميسعهم[6] وهل مثلهم إلا الوهل والوها ولات حين مناص وإن درقعوا، وبرقط المخنشم بعذاب بهيس وبلهس فبلطح، وحزن المترنشق بعذاب دهرق فبلسم وكلح، فأحيل على دال الحيل سحل السحيل

---

(١) قرا: أي على ظهره.

(٢) طرفسان بكسر الطاء: الظلمة.

(٣) عوطب: العوطب: الداهية، والعوطب لجة البحر وقال ابن الأعرابي: العوطب أعمق موضع في البحر (لسان العرب ٤/ ٢٩٩٣).

(٤) فاهرمعوا: أي أسالوا الدموع.

(٥) أي فروا وأسرعوا.

(٦) أي قويهم.

فما برح حتى برح، فقولوا لمن خرج عن الشرع بفعل فاحشتهم وشرد. رمى القوم بالحجارة وخوفتم بالبرد.

فصل

في قصة يوسف عليه السلام

احتال إخوته عليه بحجة ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾. فلما أصحروا[1] أظهروا المقت له. ورموا بسهم التلف مقتله. ولطخوا قميصه الصحيح ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾. واعجبا لقمر قومر به فأجلسه العزيز على غرار ﴿أَكْرِمِي﴾ فشغف حبه قلبها وفرى، فراودته فأنفذ القوة في الفرار ومااستبقى فاستبقا. فامتدت اليد التي تعدت فقدت فاختار درة فهمه صدف الحبس لجهل الناقد. ولما ملك هواه الذي عجز عنه الملَك[2] ملك فغم[3] غم القحط أرض كنعان حين حول، فدخل عليه إخوته فما عرفوه ولا في الأول، فسأل عن الوالد، فسال دمع الواجد.

اهذِ أحاديثُ نعمانٍ وساكنه   إن الحديث عن الأحباب أسمار

فقالوا: لنا شيخ يقرأ عليك السلام، فانتفض طائر الشوق لذلك الكلام

* فهيج أحزان الفؤاد وما يدري *

ثم آل أمر الأيدي التي مدها تغشرم ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أن مدت في ذل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾.

---

(١) أي كانوا في الصحراء.

(٢) ملك بفتح اللام: يشير إلى هاروت وماروت.

(٣) لعله فعم غم.

فصل

في قصة أيوب عليه السلام

سلط إبليس على ماله وجسده، فلم يتغير رضاه عن سيده؛ تقطع الجسم وداد[1]، وما تقطع وسم الوداد، ثم عوفي ورد عليه كل ما ذهب، ونثر على واديه بعد أن جرى داء جرادا من ذهب، وبقيت عليه اليمين في ضرب زوجته رحمة، فأقبل لسان الوحي يتلو فتوى الرحمة ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾.

فصل

في قصة شعيب عليه السلام

خوف شعيب قومه من قحم قحل القحط، فمدوا نحوه باع النخوة ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ فلما اسمهر ظلام ظلمهم، استحنكك ليل إدبارهم واسلنطح نهار هلاكهم، فحقحق إليهم ما حق عليهم من محقهم فأطل على ظلل ضلالهم عذاب الظلة، وشدت عليهم شدة الحر فهربوا إلى البر لا إلى البر، فإذا سحابة تسحب برد البرد، فتنادوا هلموا إلى راحة الروح، فلما تم اجتماعهم في قصر الحصر، وظنوا أنهم من حر وقتهم وقتهم، نزلت نار فأحرقتهم.

فصل

في قصة الكليم عليه السلام

أخبر الكهنة فرعون بوجود موسى، فأطلق في ذبح الأطفال الموسى، فألقته أمه في

(١) أي أصابه الدود.

التنور ثم في اليم، وإذا لطف الإله معه ثم فأدركها وجد المحب بفراق أحبابه، فصدرت بصدر لا يعلم قدر مابه إلا من قد رمى به، فجيب جيب النيل فشرعت في تناوله مشرعة دار فرعون، فألقته في برية ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ فلما قصر الشوق جناح صبر أمه ﴿قَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾. فقر في حجر الوالدة ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ فلما جرى القدر بقتل القبطي فر إلى شعب شعيب فاجتمع شمل الصهر. فلما خرج بأهله من مدينة مدين انطلق بها طلق الطلق. فما زال يكادح المقادح فلم تور، لأن عروس نار الطور لما همت بالتجلي، نوديت النيران: غضوا في حير التحير، فهيت به أنيس ﴿آنَسَ﴾ فأنس:

يا حار إن الركب قد ساروا   فاذهب فتحسس لمن النار

ثم أرسل إلى محاربة العدو فجاهده حتى قبر في لحد اليم، فطلب قومه كتاباً يرد نادهم فأمر الصوم، فصام أربعين ليلة نهاره وليله، فدام فدام فيه عن مطمع المطعم فقيد، فقيد[1] قوت الوقت فصار في ذكر الوعد؛ فلما بلغ من أخذ التوراة المنى، قال قومه من أعلم الناس؟ فقال أنا، فدل على الخضر فتاه وفتاه، ثم وصل فوصل جناح صحبته، فسامحه في نوبة السفينة، ثم عاتبه في قتل الغلام، ثم أراق ماء الصحبة في امر الجدار، ثم سرد عليه علل ما فعل فصلاً فصلاً، بلسان إنسان يقول فصلاً، وكل له ما ذكر أصلا أصلا؛ لم يبق لموسى عين تراه أصلا، وكلما سل من حر العتاب نصلا، صاح لسان حال موسى كم تصلى، فألقى عليه تفسير الأمور وأملى، والقدر يقول أهو أعلم أم لا؟ ثم إن موسى تفكر، فإذا قد جرى له من جنس ما أنكر،

(١) فقيد الأول فعل مبنيى للمجهول بمعنى منع، وفقيد الثاني نائب فاعل بمعنى عادم.

غضب من خرق السفينة خوف الغرق، ونسى نجاته يوم فألقته في اليم، ومن إتلاف شخص ونسى قتل القبطي، ومن عمل بغير أجر ونسى ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾.

فصل

في ذكر بلعام

كانت بيتة نيته على دمل الرياء فجرت، تحتها أنهار التجربة ففجرت، كان ظاهره لبقاء التقى، وباطنه باطية لخمر الهوى؛ فلقد خبأ الخبائث في طي الطيبات، فلما أراد المقدر تنبيه جاره على جوره، تقدم إلى القدر بهتك ستره، فأتاه وهو في عقر عقار الهوى، يعاقر عقار الرياء، وقد رفعت له عقيرتها عاقر الفهم إلى أن عقر العقر قلبه فعاد عقيراً، فمزق بجلباب تعبده، فانكشف عوار عورته فعوى فإذا به كلب عقور.

فصل

في قصة قارون

كانت مقاليد خزائنه وقر ستين بغلاً، والذي فاته أعلى وأغلى ركب يوماً في أربعة آلاف مقاتل، وسم الهوى يعمل في المقاتل، وركب معه في المعمعة[1] ثلاثمائة جارية، وقد أنساه سفه الأمل أن سنة الأجل جارية، فلما ارتفع بظلم، حط بعدل إلى حضيض ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾، فقال الجاهلون: إنما بادر موسى بادرته بأخذ بدره بداره، فقال حاكم الغيب، لإزاله الريب ﴿وَبِدَارِهِ﴾.

---

(١) المعمعة: تطلب على معان. منها القتال، ولعله المراد هنا.

فصل

في قصة داود عليه السلام

لما حلى حلية النبوة ولقن فصل ﴿فَصْلَ الْخِطَابِ﴾ أطرب شدو شكره سمع القبول، فمنحه إقطاع ﴿يا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ فأعجبته سلامة العصمة فقال لا تغفر للخطائين، والقدر قد أشرع له مما سيعض عليه الأنامل، ملأ الإناء مزماره في درع ليالي الفتن فما رد درع وقدر أن لاح له في حمى دعواه حمامة من ذهب، فذهب يصيدها فوقع في عين شرك عينه:

ظن غداة الخيف أن قد سلما　　لما رأى سهماً وما أجرى دما

فعاد يستقرى حشاه فإذا　　فؤاده من بيتها قد عدما

لم يدر من أين أصيب قلبه　　وان من رمى درى كيف رمى

فلما حضر الخصمان ألمعا معاني المعاصي، ففطن ففت في الفتى الفاتن فتن فتياه ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ فنزل عن مركب العز إلى مس مسجد الذل، وذر ذر رزء مانقة الخوف على شعار القلق؛ فأسكت الحام بنوحه، وشغلها عن صدحها بصوته، فشرب عرق العشب من عين عينه، وحشى سبعة فرش برماد، ثم رمى داء الحشا بعد أن فرشها فرشها، ولم يزل يغسل العين من العين ولسان العتاب يقول يا بعد النقا، إلى أن نجاه من المهالك ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾.

فصل

في قصة سليمان عليه السلام

أعطى مالم يعطه أحد، فشكر المعطي وما جحد. راحت الريح بوأده ﴿عَلَى وَادِي

النَّمْلِ﴾ فنادت نملة أخواتها بنده[1] ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ فتبسم، افتقر في القفـر إلى المـاء وقد غاب الهدهد فتوعده بلفظ ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ﴾ فأقبل ببهت ذكى ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِـطْ بِهِ﴾ فحمله كتاب إنذار فألقـاه إليهـم مـن قـارة منقـاره؛ فلمـا رأت الرسـول يحـرك الجناحين؛ ويحذر من خلاف: إن صبري جنى الحين، صاداها العقل والفهم، فصاداها في فخ القسر كريم ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

فصل
في قصة عيسى عليه السلام

حنت حنة إلى ولد وقد استولى الكبر، فرأت يوماً طائراً يغرد فرخاً فرحا؛ فرجـى أملها البؤس فرجا فرجا، فسألت عند هذه القصة ولديها ولدا، فلما علمـت بـالحمل أكسبها السرور ولها، فوهبته بلسان النذر لمن وهبه لها، فقال القدر يا ملـك التصويـر صير الحمل أنفع ليبين الكرم في قبول الناقص؛ فأقبلت بهـا الأم تـؤم ببيـت المقـدس فلما بلغت أصحرت، فتلقاها بريد ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَـا رُوحَنَـا﴾ فنفـخ في جنـب جيـب الدرع فمرت حاملاً في الوقت، فلما علمت ألمت فأخرجها الحيا الحيّ، يسكنها الحي، فلما فاجأها وقت الوضع ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ﴾ تحيرت من وجـود الولـد وما فجرت فجرت عين الدمع، فصاح لسان الخفر بلفظ النـدب ﴿يلَيْتَنِـي مِـتُّ قَبْـلَ هَـذَا﴾ فأجرى لها في أوان الأوان سرى، كما وهب لها من الغلمان سرى، وهز جذع مائل مثل الحطب، فتساقط عليها في الحـال رطـب الرطـب، فـانقضت أيـام النفـاس وفاتت، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَـا تَحْمِلُـهُ﴾ فنادوهـا إذ مـا شـهدوا قـط أختهـا ﴿يـا أُخْـتَ هَارُونَ﴾ فأضجروا مريضاً قد ضنى، مـن أنـين: إنـي علـى فـراش ﴿يلَيْتَنِـي مِـتُّ﴾

(١) بنده: أي زجر.

فأشارت إليه ضعفت عن إقامة الحجة فوكلت، فاخذت ألسنة تعجبهم تعجبهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾، فقام عيسى بمخض، فطاب الخطاب على منبر الخطابة ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

فصل

في قصة يحيى عليه السلام

لما قام زكريا بإقامة الإقامة لمريم، فرأى وكيل الغيب يأتي بالمراد في كن كن نبهت هذه الآية راقد طمعه، فقام الدردح[1] بعد أن تقعوس وتسعسع وعسى على باب عسى، وشكا ما شيك به مما حل من حل التركيب في كلمات هن ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ فإذا ميت امله بوجود يحيى يحيا، كان الصبيان يقولون له هلم نلعب فيقول: إنما خلقنا للعبء لا للعب، أقنع بمسول[2] الحيوان عن السب والشف والمشبرق، وشغله عن رقش نقش القشيب والدمقش ما لف مما لفق، ولم يزل معول دمعه يحفر ركية خده حتى بدت أضراس فيه فيه.

فصل

في ذكر نبينا محمد ﷺ

خلق نبينا من أرضى أرضا، وأصفى أصفى الأوصاف وصفا، وأضحت كل أم له من السفاح آمنة، إلى أن صدفت بتلك الدرة صدفة آمنة، فوثبت لرضاعه ثويبة، ثم قضت باقي الدين حليمة، وكان نباته يستعجل على سوقه، يستعجل قيام سوقه؛ فنشأ في حجر الكمال لما نشا، فشاء من شاء منشا، فلما تمخضت حامل النبوة تحرى

---

(١) الدردح بالكسر: الشيخ الهم: أي الفاني.

(٢) هكذا في الأصل.

غار حراء للفراغ، فـراغ إليـه فأفـاض الملـك عليـه حلـة ﴿اقْـرَأْ﴾ فأفـاض إلى حلـة (زملوني) ألبس إهاب الهيبـة، وتـوج تـاج السـيادة، وضمـخ بـأذكى خلـوق أزكـى الأخلاق، وأحل دار المدارات وأعطى لقطع مفازة الدنيا جود الجود، فهو هلال شهر الكمال، وروح جثمان الكون، وحشاشته[1] نفس المملكة، طرة قرته أحسن من جمال يوسف، لعاب فيه أشفى من أغبر، شمس شرعه لا يدركها كسوف، ناسخ قمر دينـه لا يدخل في محاق.

لما خرج إلى الغار أغريت قريش بالطلب، فنبتت شجرة لم تكن قبل قبـل البـاب، فأظلت المطلوب وأضلت الطالب، وجاءت عنكبوت فحاكت وجـه المكـان فحـاكت ثوب نسجها؛ وحمى الحمى بحمامتين فما كان إلا أن سكنتا من الغـار فمـا، فمـا بـان المستتر، فاتخذتا عشاً فعشى ما غشى، من عشاء العش على أبصار المتفقدين فصـاروا كالأعشى، فعادوا عن من عادوا؛ فلما خرج البدر وإلى بدور رأى قلة العدد والعـدد فاستقبل قبلة الطلب فأقبلت سـحابة تسـحب ذيـل النصـر، فسـمع المشـركون منهـا حمحمة الخيل فحموا، فـنزلت الملائكـة مـع الألفـين، جـبريل في ألفـين وميكـائيل في ألفين، وأسرى إسرافيل في الـف مردفـين، فعدلـوا كالغمـائم، قـد سـدلوا العمـائم، فأرسلت قريش رائداً فتحذر العزل سهام العزائم، فأقر عتبـة في عتبـه، وكـاد يشـيب خوفاً شيبه، وأحكم حزام الحزم حكيم بن حـزام، وأبـى للجهـل أبـو جهـل فـلزَّهم الطراد إلى قتال، أحد سلاحهم فيه الفرار، مضوا متسـابقي الأعضـاء فيـه لأرجلهـم برؤوسهم عثار، ليس العجب نزول الملائكة يوم بدر للقتال لأن الجرح لا ينالهم، إنما العجب استسلام الصحابة للقتل يومئـذ، لـولا جـد الصحابـة لافتضـح المتـأخرون،

---

(١) أي بقية.

فنحمد الله على اليزك، لما جلى الرسول عروس الإسلام قيل لا بد من نثار، فأخرج عمر ﷺ نصف ماله، فجاء أبو بكر ﷺ بالكل، فقام عثمان ﷺ في تجهيز جيش العسرة، فعلم علي ﷺ حال الغيرة، فبت طلاق الضرة، ثم رأى بعض جهاز المطلقة عنده وهو الخاتم فسلم وما سلم.

فصل

في صفة المجاهدين

لو رأيت المجاهدين قد اختاروا ذلة القبيل بالثغور، على لذة التقبيل للثغور، فحضروا المعترك وقد اعتكر، فرعدت سحب الكتيبة فرمت صواعق النور في جنبات العسكر، وإذا مناجل الهند واثبات تحصد زروع الرؤوس، قد أصبح الطعن شفشفة، والضرب هبقعة، ولم يتميز الهلقام السرعرع، من القلهزم الحنزقرة، وإذا الغضنفر الدمكمك والقِنَّخَر العلندي، والضباضب الدلامز، والصنتع العشوزن كلهم في مقام أجفيل؛ فتذكر المخلصون وعيد الخيانة فبادروا بالعوارى الرد، فهتفت الشهادة بالنفوس، فلبت لبات أَلَبّت بها السهام، فهام الظبي في الهام، ففغرت المنايا أفواهها، فرغت نوق الرحيل فإذا ديار الأبدان من الأرواح قد فرغت، فخضبت الدماء محاسن وجوه طالما صبرت على برد الماء وقت الإسباغ، وطارت الرؤوس التي طالما أطرقت وقت الأسحار؛ فلو رايت رِجْل الرَّجُلِ التي طالما قامت فصلت قد فصلت، واليد التي بالدعاء رفعت قد وقعت، والبطن الذي حمل بالصيام ما شق قد شق، والكبد التي كابدت ظمأ الهواجر قد فرتها الكبدا، والعين التي كانت تعين الحزين بالفيض في منقار طائر، وقد عادت خيولهم خلية عنهم فوطئتهم بعد السناء تحت السنابك، صاروا بعد علوهم في السيسا تحت الملطاس، واقتسم لحومهم عقبان السماء وسباع

الأرض، هذه صفة الأجسام. فأما الأرواح ففي دار السلام، آمنوا من عتاب الوناء فما يفرقون، ورووا من شراب المنى فما يشرقون، ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ كأنك بأجسادهم التي تمزقت قد تلفقت، وبالقبور التي ضمتهم قد تشققت، فيقومون وقد انفجرت جرائح المسك كروائح المسك فيقفون حول العرش بالسلاح، يفاخرون أهل الصلاح، فيقال قد بذلتم النفوس وهي الغاية، فأخلدوا في نعيم ما له نهاية، علق القوم نشاب الشهادة على دور الأبدان، فلم يقربها نزل عتاب ولا عقاب، ولم يرض كلهم أن يصلى عليهم ناقص، أنفت، من براقع الخز والقز خدود قد برقعوها بورد.

فصل

إخواني: إطلاق البصر سبب حبس القلب، درن بصر داود بتلك النظرة فنفدت الدموع وما نقى المحل:

عيناي أعانتا على سفك دمي ... يا لذة لحظة أطالت ألمي
كم أندم حين ليس يغني ندمي ... ويلي ثبت الهوى وزلّت قدمي
إن سرت فقف على الغضا والسلم ... وانشد قلبي هناك عند العلم
واحذو بالرمل من ظباء الخيم ... ما يرجع لحظهن عن سفك دمي

إياكم والعيون الملاح، فإنها عيون ملاح، كم ناظر قد خرب ضياع القلوب، كم أوقع خلخال خريدة في خلخال حديدة، ما نفشت غنم العيون النواظر، في زروع الوجوه النواضر، إلا وأغير على السرح؛ أما علمتم أن المحاجر في المعاجر، خناجر على حناجر، جراحة الناظر إلى الحرام سمحاق، فإن مشى إلى المعصية فهاشمة، فإن لمس فمنقلة، فإن زنا فآمة.

يا راقداً في نوم الغفلة، مشغولاً بأحلام الأمل، أنت تجود بالعمر في الهوى جود حاتم، وتبخل بالصدقة بخل الحباحب[١]، وتلج في أغراضك لجاج الخنفساء وتنام عن مصالحك نوم عبود[٢]، وتعد بالتوبة وعد عرقوب والزمان يأكل عمرك أكل السوس، وكأنك بالموت أسرع من طرق يحملك إلى قبر أوحش من بومة، تلقى فيه أذل من نعل، فتندم على التفريط ندامة الكسعى[٣]، وتقوم يوم حشرك بخفى حنين.

فصل

إذا تأيمت الأرض من زوج القطر، ووجدت لفقد اتفاقه مس الجدب، أحدت في ثياب ﴿تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ فتلازم حقش الصبر، فإذا ضج أطفال البذر، وقوى فقر القواء القفر، مدت أكف الطلب، تستوطى زكاة السحاب، فهبت الجنوب من جناب اللطف، فسحبت ذيل النسيم على صحصح الصحارى، فتحركت جوامد الجلامد، وانتبه وسنان العيدان، لقبول تلقيح اللواقح فلبس الجو مطرفه الأدكن؛ وأرسل خيالة القطر شاهرة أسياف البرق، فأنذر بالقادم صوت الرعد، وقام فراش الهوى فرش خيم النسيم، فيستعير السحاب جفون العشاق، وأكف الأجواد، فتمتلي الأودية أنهاراً كلما لمستها كف النسمة حكى سلسالها سلاسل الفضة فينعقد بين الأرض وبعل القطر عقد حب الحب، فلا يزال السحاب يسقي در البذر وكل ما

---

(١) الحباحب، قيل هو رجل من محارب ابن خصفة مشهور بالبخل كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان فضربوا به المثل لذلك، انتهى من حياة الحيوان.

(٢) عبود: هو رجل تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني ميتاً فندبوه ومات على تلك الحال؛ وقيل إنه عبد أسود احتطب يوماً ثم جلس ليستريح فنام على شقه الأيسر سبع سنين ثم هب من نومته وهو يرى أنه لم ينم إلا ساعة من نهار، ويروى هذا المعنى عن محمّد بن كعب القرظي مرفوعاً انتهى ملخصاً من مجمع الأمثال.

(٣) هو غامد بن الحارث الكسعى. وقصته معروفة كما في القاموس وغيره.

احتاج إلى فضل قوت، كرالراك[1] وشط[2] الطش، وودق الـودق، فطـم إلى أن فطـم الطفل، فكم نهضت من الغروس عـروس، بـين يديهـا الأوراق كالوصـائف فـالورد يحـاكي لـون الخجـل، واليـاسمين يصـف اصفـرار الوجـل والنيلوفـر يغفـى وينتبه،والأغصان تعتنق وتفترق، وقد ضـرب الربيـع جـل نـاره، في جلنـاره، وبثـت الأراييح أسرارها إلى النسيم فنمى، واجتمعت فنون القيان فعـلا كـل ذي فـن علـى فنن، فتطارحت الأطيار مناظرات السجوع، فأعرب كل بلغتـه عـن شـوقه إلى إلفـه. الحمام يهدر، والبلبل يخطب، والقمرى يرجع، والمكاء يغرد، والأغصان تتمايل، كلها تشكر الذي بيده عقدة النكاح، فحينئذ يجد المشتاق ضالة وجده:

لي بـذات البـان أشـجان حبـذا مـن أجلهـا البـان

فصل

غلبت حرارة الخوف على قلب داود فصار كفه كيرا ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وقويت روحانية محمّد ﷺ فنبع الماء من بين أصابعه:

لـولا مدامـع أقـوام ولوعتهـم لبـان في النـاس عـز المـاء والنـار
فكـل نـار مـن أنفاسـهم قدحـت وكـل مـاء فمـن أجفـانهم جـارى

صعداء الأنفاس تنفح حراق الخوف فتشتعل نار الوجد.

خـذي حديثـك في نفسـي مـن النفـس وجـد المشـوق المُعَنّـى غـير ملتبـسِ
المـاء في نـاظري والنـار في كبـدي إن شـئت فاغـترفي أو شـئت فـاقتبسِ

(١) الرك بالفتح ويكسر: المطر القليل.
(٢) وشط: أي زاد أوجار.

كان محمّد بن المنكدر يبكي ليلاً ونهاراً ويقول: آية في القرآن أبكتني ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ سبقت السعادة لمحمد قبل كونه، وقضيت الشقاوة لأبي جهل قبل وجوده، «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي» كان الحسن رحمه الله يبكي ويقول: أخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي:

أترى سألوا لما رحلوا ماذا فعلوا أم من قبلوا
وعدوا فطمعت غداة سمعـ ـت مني وقنعت بما بذلوا
أدنى جزعي لم يبق معي قلـ ـباً فيعي منذ احتملوا
جلدي سلبوا جسدي نهبوا كمدي وهبوا كبدي بتلوا
عيني حلبوا حيني جلبوا بيني طلبوا لو قد وصلوا
لما ذرفت عيني وقعت أترى عرفت ما بي الإبل
ولحى اللاحي وهو الصاحي وهمُ راحي وأنا الثمل

فصل

لو تيقظت وقت السحر رأيت ركائب الأحباب إذا راح باكر الصبا من أكناف نجد، باح ذاكر الصبا بأصناف الوجد، اجتمعوا في مساجد التعبد أول الليل، فرماهم الوجد في آخره على قوارع الطرق:

مَشَوْا إلى الراح مَشْيَ الرخّ وانصرفوا والراح تمشي بهم مَشْيَ الفرازين

تائبهم يقول اعف عني وأقلني عثرتي، ومفرطهم يصوت:

* ما ضاع من أيامنا هل يغرم *

ومتعبدهم يتمثل:

* تريدين لقيان المعالي رخيصة *

وباكيهم يستغيث:

* فضلت دموعي عن مدى حزني *

وخائفهم يصيح:

* علمت بالهجر مني هجر مضجعه *

وحزينهم يهتف:

* سقيني دمعي وما يروى به ظمئي *

ومتقلقهم ينشد:

* لا تبر عودا أنت ريشته *

ومتململهم يرجع:

* شجوا كشجو يا حمام ساعدي *

العارف يزمزم:

* وهبت السلو لمن لامني *

ومشتاقهم يتمنى:

* وعللاني بحديث حاجر *

ومضناهم يتنفش:

* الصباء إن كان لا بد الصبا *

ومكمدهم يتأوه:

عندي رسائل شوق لست أذكرها [لولا الرقيب لقد بَلَّغْتُها فاكِ]

ومنبسطهم يخاطر:

وأنـــت النعيــم لقلــبي والعــذاب لــه [فمـــا أمَـــرَّكِ في قلـــبي وأحـــلاكِ]

فصل

شهوات الجنة لمتعلقي القلوب بها، فأما ضمآن الشوق فما يرويه نهر، ولا يسـليه قصر؛ الأطفال يقرءون مـا كتبـوا في ألواحهـم، والبـالغون أنـاجيلهم في صدروهـم؛ والعباد يطلبوننا في المحاريب، والعارفون يسألون عنا القلوب؛ الديوان للعوام، وبـاب الحجرة للخاص؛ يا من يتعب في التعبد ولا يجد له حلاوة، أنت بعد في سواد البلـد، أخرج إلى البادية تجد نسيم نجد، هل لك بالنازلين أرض منى يـا علـم الشـوق بعدنـا علم، كانت أعمالهم صافية، وأعمالك كدرة يا مظهراً من الخشوع ما ليـس في باطنـه لا تبع ما ليـس عنـدك؛ الريـاء عيـب في رؤيـة الأثمـان، يسـل المـرض إلى السـلال، سحائب تفهيمي قد هطلت بودق البيان، أفتراها أخضـرت ريـاض الأذهـان، القطـر عام غير أن حكم السبخ غير حكم الحر تسقى بماء واحد، أطيار البلاغة قد خرجـت من برج قلبي فوقعت على غصن لساني تستريح الىالتغريد، فأين الطروب:

ولقـــد أشـــكو فمـــا أفهمهـــا ولقـــد تشـــكوا فمـــا تفهمـــني
[غـــير أنـــي بـــالجوع أعرفهـــا وهـــي أيضـــاً بـــالجوى تعرفـــني]

فصل

المحبوب محبوب وإن جنى، مطلوب وإن بعد؛ استطال الصولجان فنال كف الملك، ثم انحنى ليقبل كف الكرة، فاستدارت لتكون كلها خداً تعفره بين يديه، فهو يطلبهـا بالضرب فتلقى من الصولجان صولجان، ثم يسرع في طلبها بعد صبرها علـى البـلاء، يا آدم اهبط ينزل إلى السماء الدنيا، جاءت السحرة تحارب وخلع الصلح قـد جيبـت

وتيجان الرضى قد رصعت، وشراب الوصال يروق، مدوا أيديهم إلى ما اعتصروا من خمر الهوى فإذا به قد استحال خلال فأمطروا عليه واعجبا لسكارى من شراب الحب، عربدت عليهم المحبة فصلبوا ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

عذابه فيكَ عَذْبُ وبُعده فيكَ قربُ

فصل

أيها التائب لا تصحب إلا حزيناً يبكيك، ما يصلح لمرافقة الثكلى إلا مثلها؛ لما خرجت أزهار الربيع طلب الورد رفيقاً من النبات يأنس به لما نبت، فنبت كلها عن صحبته وقالت أنت ملول لا تقيم على مودة، فصاح به الياسمين أنت صاحبي قد اشتركنا في قصر العمر؛ فأشر أنت إلى التائب باحمرار الخجل؛ حتى أشير أنا إلى الخائف باصفرار الوجل؛ لو علم قصر عمره ما تبسم، ولذلك الوعد أيها المذنب قف بالباب اذانام الناس، وابسط لسان الاعتذار ونكس الراس، وامدد يد السؤال ولا باس، وقل ليس عندي سوى الفقر والإفلاس.

يا سندي وسيدي وعددي قد أوهن طردكم وبُعدي جَلَدي
واكبدي من الخطا واكبدي من ينقذني قتلت روحي بيدي

فصل

ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون؟ ما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون؟ كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون؟ ابن من كان قبلكم ألا تتفكرون؟ أما رأيتهم كيف نازلهم المنون ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أتسكنون إلى سكنى دار ما تسكنون، لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون، كأنكم بالآلام قد اعترضت، وبالأجسام قد انتفضت، وبالأوصال قد فصلت، وبالخصال قد حصلت.

فرحم الله عبدا أعتق نفسه من رق شهواتها. ونظر لها قبل مماتها، وأخذ من جدته عتاداً لفقره، وادخر من صحته زاداً لقبره، قبل أن يفوت زمان الاستدراك، بوقوع الهلاك، قبل عزة الفكاك، عند عز الإشراك؛ قبل ان يعلق الوهن، ويغلق الرهن، ويحبس النفس ويفرس الفارس والفرس؛ فكأنكم بالموت قد حل العراص، وأنشب مخالبيه في الأرواح للاقتناص، وأشخص عن هذه الديار هذه الأشخاص، وأسر فقسر وعز الخلاص، وأين لكم الفلات فلات حين مناص، ثم تقومون للحساب والجزاء والقصاص، وإذا الخلائق قد حشرت، وإذا الصحائف قد نشرت، وإذا جنهم قد سيقت ومرارة الندم قد ذيقت، فتتمنطق بكم حينئذ قبائحكم، وتستنطق يومئذ عليكم جوارحكم، وتنشر حين القضاء فضائحكم فيا خجل المقصرين، ويا أسف المذنبين، ويا حسرة المفرطين ويا سوء منقلب الظالمين.

فصل

أين الذين سادوا وشادوا اوطاناً، وحكموا وأحكموا بنيايا، وجمعوا فحشدوا أموالا وأعواناً، وغفل كل منهم عن مصيره وتواني، عوضوا بأرباح الهوى خسرانا، وبدلوا بإعزاز التجبر هوانا، وأخرجوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا، وما استصحب الجموع للذهب إذ ذهب إلا أكفاناً؛ يحملون على الأعناق ولا يسمون ركباناً، وينزلون بطون الألحاد ولا يحسبون ضيفاناً متقاربين في القبور ولا يعدون جيرانا؛ أو ليس قدرنا كيف ينقلون وما وعظنا ولا كفانا. فيا من قد بقي من عمره القليل، ولا يدر أيقع الرحيل، كأنك بطرفك حين تموت يسيل، والروح تنزع والكرب ثقيل، والنقلة قد أزفت وأين المقيل. يا من تعد عليه أنفاسه استدركها. يا من ستفوت أيامه أدركها. أعز الخلق عليك نفسك فلا تهلكها. كم أغلقت بابا على قبيح، وكم أعرضت عن قول النصيح وما يخطر على قلبك نزول الضريح، والوعيد عندك صوت الريح، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى، ما رزقت فيه العفو ولا

الرضى، انقضت فيه اللذات كمن قضى، وصارت الحسرات من الشهوات عوضاً.

فصل

تنبه أيها الشهاب لاغتنام العمل. تيقظ، أيها الكهل قبل خيبة الأمل، بادر أيها الشيخ فكأن قد قيل رحل. كأنك بالمرض قد ألقاك صريعاً، وبالندم قد أبكاك نجيعاً، وبالأسف قد ضربك ضرباً وحبيعاً، وبملك الموت قد أقبل إليك سريعاً، والجبين من العرق يرشح، والطرف من الفرق يسفح، والروح في القلق يسبح، وانت تبسط كفاً وتقبض كفاً، والملك يكفك عن التصرف كفاً، وسفينة الحسرات في موج العبرات تتكفا، ثم يرمي بك في جانب لحد وتخفى، وتلقى ما على الله لا تخفى. فتبقى في تلك الحفرة كالمأسور تمضي عليك الأزمان والعصور، إلى أن ينفخ في الصور. هذا وقد سمعت عذاب القبور، ثم تقوم نادماً يوم النشور، والأرض تزلزل والسماء تمور، والجلود والنار تفور، والأسف شديد بكتاب منشور، والسؤال دقيق ولست بمعذور، والحساب قد فصل ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ والصراط عجيب لا يشبه الجسور، وقد ذل وقل وكل الجسور، فياله من يوم أهونه صعق موسى ودك الطور.

فصل

وصال الدنيا مقرون بالشتات، والحياة الشائقة سائقة إلى الممات، والأعراض فيها أغراض لسهام النائبات، وغرور الهوى يقنص بحبائل الشهوات، ويكفيكم سلب الآباء والأمهات؛ فاجعل الفكر في دجنات الهوى مصباحاً، واذكروا هادم اللذات مساء وصباحاً، وتفكروا في بلى وجوه قد كن صباحاً، فقد أفصحت بالعبر إفصاحاً.

إخواني كيف يغتر من تعد أنفاسه، وكيف يقر من قد قرب اختلاسه؛ فنيت والله الأيام، ولكن بخطايا وآثام، وكأن نزل بكم الحمام، فأخرجكم عن الأيامى والأيتام؛ أول ما تلقاكم عند حلول القبر الندامة، وآخر ما ترون عند القيام القيامة.

فرحم الله عبداً علم أن الدنيا دار غرور، ففارق ما رافق فيها من الشرور، واختار حزن الحزون على سهل السرور، ولاحظ قرب الآخرة فصاحب الصور قد التقم الصور.

فصل

يا من يجمع الأموال ويخبؤها، ويفعم الأكياس ويملؤها، ويخدش أعراض الخلائق ويكلؤها، ثم لا يستحل أهلها ويرفؤها، يا من حركاته للدنيا قوية وللآخرة أبطؤها. كيف تعجبك دنيا مر أهنؤها، كل عين تلمحها محبة تفقؤها، يا ويح نفس في الذنوب منشؤها، والمختار عندها من الأمور أردؤها؛ تعصي ليلاً ونهاراً وتنسى ما يكلؤها، أما سفينة الموت والأمراض تكفؤها؛ أما علمت أن القبر عن قليل مبوؤها، من لها إذا طلبت فتعذر ملجؤها، ولازمها من قبائحها أفظعها وأسوؤها، وبقي في فيها مرها وذهب أمرؤها، وأشرقت حينئذ صحف المتقين وظهر تلألؤها، ففرحوا بما قد حوت وسرهم مخبؤها.

فصل

كم أنزل الموت راكباً عن سرجه؟ كم نقض بنياناً عن إحكام شرجه؟ كم دبح في داخل برجه. كم من ذي حصن حصين لم ينجه؟ كم حبس مطلقاً في ضيق فجه. كم مكر بحكيم وبدد رقعة شطرنجه؟ إخواني أين ذهب الإخوان؟ أين من كان معنا في مثل هذا المكان؟ أما نزعت قمصهم وألبسوا الأكفان؟ أما نزلوا اللحود وفارقوا الأوطان؟ أما دخل القوم في خبر كان؟ غبتم أم شربتم بلاذر النسيان. إلى متى هذا الجور والشطط؟ إلى متى هذا التهافت والغلط؟ لقد كتب الموت سطور التخويف ونقط؟ فما قرأت الحروف ولا فهمت النقط.

يا مقيماً في أهله وكأن قد شحط؟ يا متعرضاً بالمعاصي للمقت أما تجوز

على القبور وغدا أنت في الوسط. أبقي تخويف بعد إنذار الشمط. البدار البدار فأيام الاقتدار لقط.

فصل

أزف الرحيل وما حصل الزاد، وقرب التحويل وكلما جاء الزلل زاد؛ كأنك بالموت قد صرح وطالما مجمج، وأقبل إليك وجد في السعي وهملج، وحبس نفسك عن هذا الهوى السجسج، وغاص بك في بحر التوى فأعمق ولجج، وكف يديك في كفن لعله اليوم ينسج، وحملك على النعش بعد الفرس المسرج، ونقلك إلى خشونة اللحد عن لين فرش الهودج، ومحا محاسن ذلك الوجه المنير الأبلج وأسال الطرف الظريف المليح الأدعج، وسقاك كأساً من الندم صرفاً لم تمزج.

يا مطمئناً إلى الدنيا وهو مع اللحظات يزعج، غدا تحضر الحساب ونقدك كله بهرج، يالرحيلك ما أعجله، يالسفرك ما أطوله، يالطريقك ما أهوله، يالعقلك خير منه البله!.

هذا آخر الكتاب والحمدلله اولاً وآخراً، وصلاته وسلامه على سيدنا محمّد النبي الأمي وآله وصحبه.

من روائع الوعظ الإسلامي

الكتاب الرابع

ملتقط الحكايات

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

حققه وعلق عليه

الأستاذ هلال ناجي

وليد بن أحمد الحسين
أبو عبد الله الزبيري

المقدمة

الحمدلله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمّد بن عبدا لله ﷺ وبعد:

فهذا الكتاب الرابع -ملتقط الحكايات- لابن الجوزي رحمه ا لله وقد أودع في هذا الكتاب ستاً وخمسين حكاية فيها من العبر والمواعظ والفوائد في مواجهة المحن والمصائب وغير ذلك مما وقع لكثير من الصالحين وقد يكون في بعضها شيءٌ من المخالفات الشرعية أو المبالغات كما في الحكاية رقم ١٤-١٧-٤٧-٥٦ وغيرها إلا أنها لا تخلوا من فائدة وعِظَة وعبرة.

وا لله نسأل أن ينفع بها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ملتقط الحكايات

لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى ا لله على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

١-(حكي) عن إبراهيم بن أدهم أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا إسحاق أنا رجل مسرف على نفسي، وقد أحببت أن تحدثني بشيء من الزهد لعل ا لله يلين قلبي وينوره، قال إبراهيم: إن قبلت مني ست خصال أوصيك بها فلا يضرك ما عملت بعدها، فقال وما هي؟ قال أول خصلة أوصيك بها: إذا أردت أن تعصي ا لله فلا تأكل رزقه، قال فإذا كان المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والجبل رزقه، فمن أين آكل؟ فقال: يا هذا أفيحسن بك أن تاكل رزقه وتعصيه، قال لا وا لله هات الثانية، قال: إذا اردت أن تعصيه فلا تسكن في بلده. فقال الرجل: يا إبراهيم هذه وا لله أشد من الأولى؛ إذا كانت كل البلاد له، ففي أي جهة أسكن؟ قال يا هذا أفيحسن بك أن تسكن في بلده وتأكل رزقه وتعصيه؟ قال لا والله. هات الثالثة: قال إذا أردت أن تعصيه فلا تخليه يراك، قال: يا إبراهيم، كيف يكون هذا وهو يعلم السرائر ويكشف الضمائر؟ قال: يا هذا أفيحسن بك أن تاكل رزقه ، وتسكن بلده، وتعصيه وهو يراك؟ فقال: لا وا لله، هات الرابعة: قال: إذا جاء ملك الموت يقبض روحك، فقل: أخرني حتى أتوب، فقال: ليس يقبل مني، فقال: إذا علمت أنك لا تقدر على دفع ملك الموت فلعله يجيئك قبل أن تتوب، قال: صدقت، هات الخامسة: قال: إذا جاءك منكر ونكير: فخاصمهما بقولك إن استطعت، فقال: ليس ذلك إليّ، هات السادسة: قال: إذا كان غداً بين يدي ا لله تعالى وأمر بك إلى النار: فقل لا أذهب إليها، فقال: يا إبراهيم حسبي حسبي حسبي.

٢-(**حكاية**) حكي عن بعض الأمراء أنه كان يجلس للشراب على الشط ويظهر القيان والخمور، وكان ذلك في زمن الحسن بن يشار، فجمع أبو الحسن جماعة من الصالحين، وقاموا تحت دار الرجل الأمير يقرأون القرآن، ويظهرون الذكر في وقت ظهور ذلك المنكر، فجاءهم خادم له فقال: ما حاجتكم؟ فقال ابن يشار، تقول لهذا الرجل يكف عن هذا المنكر ولا يظهره وإلا قاتلناه، فعاد وأخبره بذلك، قال وكيف يقاتلونني ولي كذا وكذا ألف من الجنود، فعاد الخادم وأعاد عليه ما قال الأمير، وقال: وكيف تقاتلونه؟ قال ابن يشار نقاتله بسهام الليل، قال: وما سهام الليل. قال: رفع الأيدي إلى ا لله عز وجل، فلما بلغ الأمير ذلك قال: لا طاقة لنا بما قال ثم كف عما كان يظهره.

٣-(**حكاية**) قال الحسن بن الربيع: كان عندنا رجل من العلماء عليه دين، فكتب إليه يعقوب بن داود يسأله القدوم عليه، فأتى محمّد بن النضير الحارثي فاستشاره، وقال: لولا الذي عليّ من الدين ما أتيت، لعل ا لله أن يقضيه، فقال محمّد بن النضر: لأن تلقى ا لله وعليك دين ومعك دينك: خير من أن تلقاه وقد قضيت دَينك، وضيَّعْت دِينكَ.

٤- (**حكاية**) حكي عن بعض العلماء أنه كان يقول: ليس في القيامة من الحسرات أشد من ثلاثة: رجل ملك عبداً فعلمه الإسلام والشرائع فأطاع العبد ولم يطع المولى ربه: فذلك يحمل إلى الجنة ويحمل المولى إلى النار. ورجل كسب مالاً من كل وجه فلم يقدمه، فورثه غيره فعمل فيه بالطاعة وقدمه لنفسه فهو ناج به، وصاحبه مؤاخذ به. ورجل علم للناس علماً فعملوا به ولم يعمل به، ففازوا به وكان هو الهالك.

٥- (**حكاية**) حكي عن بزر جمهر الحكيم الذي كان وزيراً لأنوشروان، فغضب عليه كسرى أنوشروان، فحبسه في بيت كالقبر، وصفده بالحديد وألبسه الخشن من

الصوف، وأمر أن لا يزاد على قرصين من الخبز، وكف ملح جريش، ودورق ماء في كل يوم، وأن تنقل ألفاظه إليه، فأقام شهراً لا يسمع منه لفظة، فقال أنوشروان: أدخلوا إليه أصحابه ومروهم أن يسألوه عن حاله ويفاتحوه في الكلام، وعرفوني لفظه، فدخل عليه جماعة من المختصين به، فقالوا له: أيها الحكيم: نراك في هذا الضيق والحديد والشدة التي قد دفعت إليها، ومع هذا فإن سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغير، فما السبب في ذلك؟ فقال: إني عملت جوارشاً من ستة أخلاط، فآخذ منه كل يوم شيئاً، وهو الذي أبقاني على ما ترون، قالوا له فصفه لنا، فقال: الخلط الأول: الثقة با لله عزّ وجل، والثاني: علمي بأن كل مقدر كائن، والثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحن، والرابع: إن لم أصبر فأيّ شيء أعمل؟ فلم أعن على نفسي بالجزع، والخامس: يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه، والسادس من ساعة إلى ساعة فرج.

٦- **(حكاية)** قيل حث بعض العلماء على الصبر، فحكى عن شريح أنه قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد ا لله عليها أربع مرات وأشكره: إذ لم تكن أعظم مما هي، وإذ رزقني الصبر عليها، وإذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في ديني. وقال أبو إسحاق العابد: ربما امتحن ا لله العابد بمحنة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة ومنحة.

٧- **(حكاية)** حكي عن ابن السماك أنه دخل على الرشيد فقال له: اتق ا لله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقف بين يدي ربك، ثم منصرف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما: جنة أو نار، فبكى الرشيد حتى خضب لحيته، فأقبل الفضل بن الربيع على ابن السماك فقال: سبحان ا لله! وهل يتخالج شك في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء ا لله لقيامه بحق ا لله وعدله في عباده؟ قال فلم يحفل ابن السماك بقوله، ولم يلتفت إليه، وأقبل على الرشيد وقال: يا أمير المؤمنين: إن هذا -

يعني الفضل بن الربيع- ليس وا لله معـك ولا عنـدك في ذلـك اليـوم فـاتق ا لله وانظـر لنفسك، فبكى هارون بكاء شديداً حتى أشفقوا عليه، وأفحم الفضل فلم ينطق بحرف.

٨- **(حكاية)** حكى عـن محمّـد بـن القاسـم الفارسـي في كتـاب المصبـاح قـال: أخبرني محمّد بن أحمد الواعظ أن بعض طالبي العلـم الشـريف قصـد العـراق للقـاء العلماء، وأنفق في ذلك الوجه ألف دينار؛ فلما أخـذ حظـه مـن الـذي قصـده وأراد توديع أستاذه والانصراف إلى أهله، قال له أستاذه: كم أنفقت في وجهك هذا؟ قـال: ألف دينار، قال: هل لك أن أصحبك كلمة توازي جميع ما كتبته وأنفقت فيه؟ قـال: قلت من لي بها؟ قال: من أين أنـت؟ قـال: مـن خراسـان، قـال: هـل يكـون هنـاك شيطان؟ قلت: نعم، الشيطان في كـل موضـع؛ قـال: فمـا يصنـع أحدكـم إذا قصـده الشيطان ليفتنه ويضله؟ قلت يردّه بالجدّ والاجتهاد وبالمحاربة، قال: فإن عـاد؟ قلـت: يعود، قال: إذاً يذهب عمرك في مكايدة الشيطان ولا تتفرغ للعبادة والخدمة، أرأيـت إذا مررت براعي غنم وله كلب عقور يقصد من أقبل وأدبـر؟ فـإذا أردت أن تحاربـه وتدفعه عن نفسك: لم تتفرغ لشيء، قلت: فما أصنع، قال: تنـادي صـاحب الكلـب فيدفعه عنك ويمنع كلبه إذ ذاك بفضل سلطانه.

٩- **(حكاية)** روى أبو سعيد بإسناده عن حجاج الأسـود قـال: رأيـت في المنام كأني دخلت المقابر، فإذا أنا بأهل القبور في قبورهم كـأنهم نيـام، قـد شـققت عنهـم الأرض: فمنهم النائم على القباطي، ومنهم النائم على التراب، ومنهـم النـائم علـى السندس والإستبرق، ومنهم النائم على الحريـر والديبـاج، ومنهـم النـائم علـى الريحان، ومنهم كهيئة المتبسم في نومه، ومنهم من قد أشرق لونه، ومنهـم حـائل اللون. قال: فبكيت عندما رأيت ذلك، وقلت: يا رب لو شئت لساويت بينهم في الكرامة، فنادى منادي من تلك القبور: يا حجـاج هـذه منـازل الأعمـال، قـال: فاستيقظت من كلمته فزعاً مرعوباً.

١٠- (**حكاية**) روى أبو سعيد أن ابا عبدالرحمن المازني قال: اتخذ مجمع التيمي ثوباً فتفوه فيه فباعه، فذهب به الذي اشتراه، فرأى فيه عيباً فرده عليه، قال فبكى مجمع بردّه، فقال له تبكي! أنا آخذه منك وأعطيك الثمن، فقال مجمع: أوعلى الثمن أبكي، إنما هذا الثوب تتوقت فيه فردّ عليّ بعيب، إنما أبكي على عملي منذ أربعين سنة، أخاف أن يردّ عليّ بعيب واحد.

١١- (**حكاية**) روى أبو سعيد قال حدثنا عبدالوهاب الوراق قال: قال لنا معروف أعظكم؟ قلنا: نعم، قال يوقف عبد بين يدي ا لله تعالى فيقول: عبدي كيف تركت عيالك؟ فيقول أغنياء، قال أما إني قد أفقرتهم بعدك، انطلقوا به إلى النار؛ قال: وأعظكم بعبد يوقف بين يدي ا لله فيقول له: كيف تركت عيالك، فيقول: فقراء، فيقول: أما إني قد أغنيتهم من بعدك.

١٢- (**حكاية**) روى أبو سعيد قال: سمعت أبا الحسن الثوري يعظ أصحابه من أبناء الدنيا يقول أحدهم لغلامه: أسرج البغلة لعلي أذهب اليوم اتنزه، فقال له أبو الحسن: لو صفيت همتك، وطهرت قلبك، ورفعت سرك إلى ملكوت سرادقات العرش، فتهومت هناك: لرأيت ثم نعيماً وملكاً كبيراً، فقال: يا أبا الحسن دابتي عرجاء لا تبلغ بي إلى ثم، قال: فعليك بمطية الذهب والتجريد، وخلع الأرباب، وقطع الأسباب؛ تبلغ في أسرع من البرق الخاطف، قال الخلدي: فوا لله لقد انتفع حتى رأيته يتكلم على أصحاب أبي الحسن بعد موته وكنت أتخايل النور يسطع من جبهته.

١٣- (**حكاية**) قال: قال رجل لأبي عثمان: كنت أجد في طلبي حلاوة قيام الليل وأنا لا أجدها الساعة، فقال: لعلك شرهت بشيء من الدنيا فذهبت بحلاوة ذلك من قلبك، وربما يعرف ا لله ضعفك ويريك قدرته فيسلب حلاوة مناجاة الليل حتى تتفرغ إليه لئلا تأمن مكره.

١٤- (**حكاية**) روى أبو سعيد أن رابعة العدوية وقع -في بستان لها- جراد فقيل

لها، فلما جاءت ونظرت إليه، قالت: إن شئت أطعمه أعداءك، وإن شئت أطعمه أولياءك، رزقي عليك؛ فلم يبق في الحائط جرادة إلا طارت؛ وكانت تصلي في كل يوم ستمائة ركعة[1] وتقول: عجباً لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في ظلمات القبور.

١٥- **(حكاية)** قال خلف بن سالم كان في الحرم رجل ينسب إلى الجنون فقلت له: أما تستوحش في ظلمة الليل بين القبور؟ قال إني إذا استوحشت ذكرت ظلمة القبر ووحشته، قلت فإن رأيت ما يهولك؟ قال هول الآخرة يشغل عن هول الدنيا، ثم أنشأ يقول:

أرى الناس أداموا بغربة … تقلبهم أيامها وتقلب
بدار غرور حلوة يرتعونها … وقد عاينوا فيها الزوال وجربوا
يذمون دنيا لا يربحون درهما … فلم أرَ كالدنيا تذمّ وتحلب
لها درّة تضني الحكيم وتحتها … من الموت سهمٌ مجهر حين يشرب
فقد حيرت ذا الجهل لا در درها … فأصبح في جد وأصبح يلعب
وكلهم حيران يكذب قوله … بفعل وخير القول ما لا يكذب

قال عبدالرحمن الأزدي لأبيه: يا أبت هذا الكلام يقوله مجنون؟ قال يا بني: هؤلاء قوم فيهم فضل ومعرفة ودين، فغلب عليهم ذلك، فزالت عقولهم عن الدنيا وغيرها، ومنهم من يستر حاله، ولم يرد ان يعلم الناس بحاله، فخلطوا الكلام حتى نسبوا إلى الجنون.

١٦- **(حكاية)** قال أبو جعفر المغربي: كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح وإذا قد طلع علينا شاب وصبيان يرمونه بالحجارة وهم ينادون: مجنون، فدخل

(١) لا أظن هذا الكم يحصل به الخشوع وليس العبرة بالكم وإنما العبرة بالكيف وموافقة هدي النبي ﷺ في كل عبادة يتقرب بها العبد إلى ا لله قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ولم يقل أكثر عملاً. وكما قال الفضيل بن عياض إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً لله صواباً على سنة الرسول ﷺ.

المسجد وهو يقول: اللهم أرحني من هذه الدار، فقلت له: هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة؟ فقال: من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة، وأيده بأسباب العصمة، وليس لي جنون وومق، بل قلق وأرق وفرق، ثم أنشأ يقول:

هجرتُ الكرى في حُبِّ من جادَ بالنِّعَمْ وعفتُ الكرى شوقاً إليه فلم أَنَمْ
وموهت دهري بالجنون عن الورى لأكتم ما بي من هواه فما انكتم
فإن قيل مجنون فقد جنني الهوى وإن قيل مسقوم فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا وحرمة روح الإنس في حندس الظلم
لقد لامني الواشون فيك جهالة فقلت لطرفي الواضح العذر فاحتشم
يعاينهم طوراً بغير تكلم وأخبرهم أن الهوى يورث السقم
فبالحب يا ذا المن لا تُبْعِدَنَّني وقَرِّبْ مزاري منك يا بارئ النسم

فقال: أحسنت، لقد غلط من سماك مجنوناً؛ قال فنظر إليّ وبكى، وقال: اولا تسألني عن القوم كيف وصلوا واتصلوا؟ قلت بلى: قال طهروا له الأخلاق، ورضوا بيسير الأرزاق، وهاموا في محبته في الآفاق، وارتدوا بالصدق واتزروا بالإشفاق، فباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي وشربوا بكأس الإشفاق، وركضوا في ميادين السباق، وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق، حتى اتصلوا بالواحد الخلاق؛ فشردهم في الشواهق، وغيهم في الخلائق؛ لا تؤذيهم دار، ولا يقر لهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، وحجتهم افتخار، فهم صفوة الأبرار، ورهبان وأخيار؛ مدحهم الجبار، ووصفهم المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفقدوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، ثم أنشأ يقول:

كن عن جميع الخلق مستوحشاً تسري إلى الحق[1]
واصبر فبالصبر يُنال المنى وارضَ بما يجري من الرزقِ

(١) عجز البيت فيه سقط من الأصل.

واحــــذر مــــن النطــــق وآفاتــــه فآفــــة المنطــــوق في النطــــقِ
وخــــذ في الســــير مشــــمراً كمــا شَـمَّرَ أهــلُ الســبق للسـبقِ
أولئــك الصفــوةُ ممــن سمــا وخــيرة ا لله مــن الخلــقِ

قال: فنسيت الدنيا عند حديثه، ثم ولى هارباً، فأنا متأسف عليه، قال ذو النون المصري: وصف لي مجنون في جبل اللكام من أهل المعرفة، فقصدته فلقيني جماعة من المتعبدين فسألتهم عنه، فقالوا ياذا النون: تسأل عن المجانين؟ فقلت: وما الذي رأيتم من جنونه؟ قالوا: نراه في أكثر أوقاته ينوح على نفسه ويبكي، فقلت في نفسي: ما أحسن أوصاف هذا المجنون!! ثم قلت لهم: دلوني عليه، فقالوا: إنه يأوي في الوادي الفلاني، فانطلقت إليه فأشرفت على واد وعر، فجعلت انظر يميناً وشمالاً، فـإذا أنا بصوت محزون شجي خارج من قلب حزين ينشد شعراً:

يــا ذا الــذي أنــس الفــؤاد بذكــرهِ أنــت الــذي مــا إن ســواك أريــدُ
تفنــى الليــالي والزمــان بأســرهِ وهــواك غــضٌّ في الفــؤاد جديــدُ

قال ذو النون: فتبعت الصوت فإذا أنا بفتى حسن الوجه والصوت، قد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفر واحترق، وهو شبيه الواله الحيران، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، وبقي باهتاً ينظر إليّ وينشد:

أعميــت عيــني عــن الدنيــا وزينتهــا فــأنت والــروح شــيء غــير مفــترقِ
إذا ذكرتــك وافــى مقلــتي أرق مــن أول الليــل حتــى مطلــق الفلــقِ
ومــا تطــابقت الأجفــان عــن سِــنَةٍ إلا رأيتــك بــين الجفــن والحــدقِ

ثم قال يا ذا النون: مالك وطلب المجانين؟ قلت أمجنون أنت؟ قال قد سميت به، فقلت: مسألة؛ فقال سل؛ فقلت: أخبرني ما الذي حبب إليك الانفراد، وقطعك عن المؤنسين وهيمك في الأودية؟ قال: حبي له هيمني، ووجدي به أفردني، ثم قال: ليت

شعري إلى متى تتركني قلقاً في محنتي، فقلت يا أخـي: أين محل الحب منك، وأين مسكن الشوق فيك؟ قال: مسكن الحب سواد الفؤاد، قلت فما الذي تجد في خلوتك؟ قال: الحق سبحانه، قلت: كيف تجده؟ قال: بحيث لا حيث، ثم قال: ياذا النون أعجبك كلام المجانين؟ قلت: إي وا لله وأشجاني، ثم قلت له: فما صدق وجدانك للحق تعالى؟ فصرخ صرخة ارتج لها الجبل، ثم قال: يا ذا النون هكذا صوت الصادقين، ثم سقط إلى الأرض، فمكثت ساعة أرجو أن يفيق، فحركته فإذا هو ميت، قال: فبقيت متحيراً في أمره، لا أدري ما أصنع به، وإذا به قد غاب عني فلا ادري أين ذهب به.

١٧- **(حكاية)** حكي عن رابعة العدوية قالت: ركبت البحر ومعنا فتى شاب لا يرفع رأسه عن عبادته، فعصفت الريح، فقلت: يا فتى لو دعوت ا لله عز وجل ليكشف ما بنا؟ قالت: فرفع رأسه ونظر إليّ كالمغضب وقال: ما للعبد ومعارضة الملوك؟[1] الملوك تفعل في ملكها ما تريد، ثم ردّ رأسه إلى عبادته، قالت: فجعلنا كلنا نسأله أن يدعو ا لله عز وجل فرفع رأسه وأومأ إلى الريح: اسكن، فسكنت، قالت: فقلت با لله عليك بم أعطيت هذا؟ فقال: نحن عبيد تركنا له ما نريد فترك ما يريد لما نريد.

١٨- **(حكاية)** قال وهب بن منبه صامت امرأة من بني إسرائيل ستين سنة لم تفطر، تقول: لعل أجلي يكون اليوم فألقى ا لله صائمة؛ وإذا كان اليوم الثاني حدثت نفسها بمثل ذلك حتى أتمت ستين سنة، ثم ماتت وهي صائمة.

---

(١) التضرع إلى ا لله بالدعاء لكشف البلاء ليس فيه معارضة لرد القدر الذي قضاه ا لله من هذا البلاء فا لله يفعل في ملكه ما يشاء ورفع البلاء لا يخرج عن مشيئته وإرادته ولما اشتد نزول المطر في عهد النبي ﷺ رفع النبي يديه إلى السماء وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فما ذكر في هذه الحكاية ضرب من التصوف المذموم.

١٩- **(حكاية)** قال بعض المشايخ: دخلنا على فتح الموصلي وهو مريض، فقال: يا فلان: إذا لم يأكل الإنسان ولا يشرب أليس يموت؟ قلت بلى؛ قال: كذلك القلب: إذا فارق ذكر ا لله تعالى مات: فبينا نحن عنده إذ دخلت صبية له قد علاها العرى، فقال له رجل منا: أتأذن لي في كسوتها؟ قال لا، قيل له لم؟ قال: أحب أن يرى ا لله عريها وصبري عليها.

٢٠- **(حكاية)** قال صالح بن عمرو حدثني أبي قال: كان بالمدينة امراة متعبدة ولها ولد يلهو وهو ملهى أهل المدينة، وكانت أمه تعظه وتقول: با بني اذكر مصارع الغافلين قبلك، وعواقب البطالين قبلك، اذكر نزول الموت. فلم يزل على ذلك حتى قدم أبو عامر البنان واعظ أهل الحجاز -وكان وافق قدومه برمضان- فسأله إخوانه أن يجلس لهم بمسجد رسول ا لله ﷺ، فأجابهم وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح فاجتمع الناس، وجاء الفتى وجلس مع القوم، فلم يزل أبو عامر يعظ وينذر ويبشر إلى أن ماتت النفوس والقلوب، واشتاقت النفوس إلى الجنة، فوقعت الموعظة في قلب الغلام وتغير لونه، ثم نهض إلى أمه، فبكى عندها بكاء طويلاً، ثم كان أن شمر في العبادة وجدّ، وكان لا يفطر إلى بعد التراويح، ولا ينام إلى بعد طلوع الشمس فقرّبت إليه أمه ليلة إفطاره فامتنع، وقال: أجد ألم الحمى، فأظن أن الأجل قد قرب، ثم رجع إلى محرابه ولسانه لا يفتر عن الذكر، فبقي أربعة أيام على تلك الحال، ثم استقبل القبلة يوماً وقال: إلهي عصيتك قوياً، وأطعتك ضعيفاً؛ وأسخطتك جلداً، وخدمتك نحيفاً، فليت شعري هل قبلتني؟ ثم سقط مغشياً عليه فانشج وجهه، فقالت أمه: يا ثمرة فؤادي، وقرة عيني. رد جوابي، فأفاق وقال: يا أماه، أما هذا اليوم كنت تحذريني، وهذا الوقت تخوفيني، فيا أسفي على الأيام الخوالي، يا أماه إني خائف على نفسي: أن يطول في النار حبسي، يا أماه: قومي وضعي رجلك على خدي حتى أذوق طعم الذل لعله يرحمني، ففعلت، وبقي يقول: هذا جزاء من اساء، ثم مات رحمة ا لله عليه، فقالت أمه: رأيته في المنام ليلة الجمعة كانه القمر، فقلت يا

ولدي: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، قالت: فما فعل أبو عامر: قال هيهات، أين نحن من أبي عامر.

٢١- **(حكاية)** حكي عن إبراهيم التيمي أنه قال: لما حبست أدخلت مكاناً ضيقاً، وكل رجلين في قيد واحد، ولا يجد الرجل مكاناً للصلاة، فجيء برجل من البحرين فادخل علينا، فلم يجد مكاناً يجلس فيه، فجعلوا يترامون به، فقال: اصبر وإنما هي ليلة؛ فلما كان الليل قام فصلى وقال عقيب صلاته: يا رب مننت علي بدينك وعلمتني كتابك ثم سلطت عليّ شر خلقك، يا رب: الليلة الليلة، لا أصبح فيه، فما أصبح حتى نودي البحراني البحراني: فخلي سبيله، فجاء فوقف على باب السجن وقال: سلام عليكم، أطيعوا الله يطعكم كل شيء.

٢٢-**(حكاية)** حكي عن بعض جلساء الليث بن سعد قال: كان عندنا فتى شاب ملازم للصلاة والصيام، فنظر إليه الليث ذات يوم وعليه أطمار رثة، فقال الا ترون جاركم هذا وثيابه الرثة؟ قال: فقلنا له قل ما شئت، قال اجمعوا له فجمعت له ثلاثين ديناراً، فقالوا: من يسلمها إليه؟ فانتدب رجل وقال أنا، قالوا له: لا تعلمه انا جمعناها له، قال: فحدثني الذي أخذها أنه سار إليه عند الزوال، فوجده قائماً يصلي، قال: فجلست حتى صلى الظهر، ثم قام وكبر وصلى إلى العصر، قال ثم جلس يذكر الله، فهبته أن أكلمه ثم صلينا المغرب، فقام يصلي إلى العشاء الآخرة فلما سلم الإمام قال الله أكبر، ثم قام يصلي، وانا أقول: الآن يفرغ من صلاته إلى أن غلقت أبواب المساجد والمنازل وهو قائم يصلي إلى أن مضى من الليل ثلثاه أو أكثر، ثم ركع وسجد وسلم وانفتل، فهبته، فأخذ الطريق ومشى، فلما رأيته يطلب طريق الصحراء سلمت عليه، فالتفت اليّ وردّ السلام، فقلت أنا معك من الظهر إلى الآن، فقال: علمت بك، وهل من حاجة؟ قلت: أرسلني إليك الليث بن سعد بهذا وهو يقرأ عليك السلام، ويقول لك: خذ الثلاثين ديناراً فاستعن بها على أمر دينك، فقال

لي: ردّها إليه، وقل له: لا حاجة لي فيها، ادفعها إلى أحوج مني، فألححت عليه؛ فنظر إلى قطعة حجر فأدخله إلى كفه وأخرجه ذهباً، وقال ما هذا؟ قلت ذهباً جيداً قال: قل لليث: من إذا احتاج أخذ حجراً صيره ذهباً، كيف يحتاج إلى أحد؟ فسرت إلى بعض المساجد فنمت فيه حتى أصبحت، ثم أتيت الليث فحدثته، فقال لي لا جزاك ا لله: طردت الرجل عنا، ما نراه بعدها، كان يجزيك منه فتح الأبواب وسكوت الكلاب.

٢٣- **(حكاية)** حكي عن أبي الدرداء ﷺ أنه كتب إلى أخ له: أما بعد؛ فإنك لست في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك، وليس لك إلا ما مهدت لنفسك، فإنك تقدم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمدك، وإنما تجمع لأحد رجلين: إما عامل فيه بطاعة ا لله فيسعد بما شقيت به، وإما عامل بمعصية ا لله فيشقى بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، ولا تترك الوزر عليك لأجله، فاشتغل بنفسك.

٢٤- **(حكاية)** قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد، فقال: يا سفيان خصلتان من عمل بهما دخل الجنة، قلت: وما هما؟ قال: احتمال ما تكره إذا أحبه ا لله، وترك ما تحب إذا كرهه ا لله: اعمل بهما وأنا شريكك.

٢٥- **(حكاية)** حكي عن يوسف بن أسباط أنه قال: لو ائتمنني رجل على بيت مال لظننت أن أؤدي إليه الأمانة، ولو ائتمنني علي زنجية أن أخلو معها ساعة: ما أمنت نفسي عليها، وقد سمعت الشيخ سفيان الثوري يقول: ما بعث ا لله نبياً إلا وخاف فتنة النساء.

٢٦- **(حكاية)** عن الفضيل بن عياض أنه قال ليلة: إلهي! أجعتني وعيالي، وعريتني وعيالي، ولي ثلاث ما طعمت فيها، فبم نلت هذه المنزلة؟ وإنما تفعل هذا بأوليائك؟ إلهي! إن فعلت هذا بي مرة أخرى علمت أني منهم، فلما أصبح في اليوم الرابع إذا ضارب يضرب الباب، فقال من؟ فقال أنا رسول ابن المبارك؛ فإذا صرة

فيها دنانير وكتاب يذكر فيه أنه لم يحج في هذه السنة، وقد وجهت إليك بكذا وكذا. فجعل فضيل يبكي ويقول: قد علمت أني أشقى من ذلك أن أكون عند الله بمنزلة أوليائه.

٢٧- **(حكاية)** قال بعضهم: دخلت على إبراهيم بن أدهم وهو يبكي بمسجد بيروت ووجهه إلى الحائط ويضرب بيده على رأسه، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أخاف يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، قال أبو معاوية الأسود: وقفت على عابد ثلاثة أيام وهو لا يكلمني، فقلت: اللهم وفقه لكلامي، فأقبل عليّ وقال: مالك يا أسود؟ قلت: جئت لأسمع من كلامك كلمة لعلي انتفع بها، قال: أنت يا أسود بفلان النصراني أوثق منك بربك؛ قلت: معاذ الله! قال: لو قال لك فلان النصراني عشاؤك وغداؤك عليّ: أكنت واثقاً به؟ قلت: نعم، قال: فالله قد ضمن لك رزقك، فهل ألقيت الهم عنك؟ فقلت حسبي.

٢٨- **(حكاية)** قال علي بن الحسين: كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد، فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه، فاجتمع إليه أهله وجيرانه وسألوه أن يتزوج، فاشترى جارية وكانت تغني ولا يعلم بها، فبينما هو ذات يوم يصلي في محرابه إذ رفعت الجارية صوتها بالغناء، فطار إليهن فغاب عما كان عليه من العبادة، فلم يطق، فأقبلت إليه الجارية وقالت يا مولاي: لقد أبليت شبابك .. قضيت لذات الدنيا في أيام حياتك فلو تمتعت بي؟! قال: فمال إلى قولها، فاشتغل عن العبادة، فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلى من سلب حلاوة الذكر والتلاوة والتلذذ بالقرآن والخشوع والأحزان: بلغني أنك اشتريت جارية بعت بها حظك من الآخرة، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فإني محذرك هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وميتم البنين والبنات، فكأنه وقد جاءك على غرة

فأبكم منك اللسان، وهد منك الأركان، وقرب منك الأكفان، واحتوشتك الأهل والجيران، ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغص بريقه وأذهله ذلك، فنهض مبادراً من مجلسه، وكسر آنيته، وهجر جاريته، وآلى على نفسه ألا يطعم طعاماً. ولا يتوسد بمنام. قال الذي وعظه: فلما أن مات رأيته في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل ا لله بك؟ قال قدمنا على رب كريم، وأباحني الجنة، وعوضني جارية حوراء: تسقيني طوراً وتهنيني.

٢٩- **(حكاية)** رفع إلى عمر بن عبدالعزيز أن ابنه اتخذ خاتماً، واشترى له فصاً بألف درهم، فكتب إليه: أما بعد؛ فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فبعه وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، واكتب عليه: رحم ا لله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره أ.هـ.

٣٠- **(حكاية)** حكى أبو علي الدقاق قال: ورث رجل مالاً، فقال: إلهي، إني لا أحسن حفظ هذه الدراهم، وأنا أدفعها إليك لتردها إليّ وقت حاجتي إليها، ثم تصدق بها، فما احتاج ذلك الرجل طول حياته إلى شيء، وكان إذا أراد شيئاً فتح له في الوقت.

٣١- **(حكاية)** حكي عن مالك بن دينار قال: كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى الجيران يشكون منه، فأحضرناه، وقلنا له: إن الجيران يشكونك، فنسألك أن تخرج من المحلة، فقال: أنا في منزلي لا أخرج، فقلنا: تبيع دارك، فقال: لا أبيع ملكي، قلنا: نشكوك إلى السلطان، قال: أنا من أعوانه، قلنا: ندعو ا لله عليك؛ قال: ا لله أرحم بي منكم، قال: فلما أمسينا قمت وصليت ودعوت عليه، فهتف بي هاتف: لا تدع عليه، فإنه من أولياء ا لله، فجئت إلى باب داره ودققت الباب، فخرج، فظنّ أني جئت لإخراجه من المحلة، فتكلم كالمعتذر، فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إني تبت بعدما كان هذا، ثم خرج من البلد، فلم أره

بعد ذلك؛ واتفق أني خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام جماعة حلقة فتقدمت إليهم، فرأيته مطروحاً عليلاً، فلم ألبث ان قالوا: مات الشاب رحمه الله.

٣٢- **(حكاية)** حكي أنه زار قبر النبي ﷺ رجل، فقال إلهي[1]! إن غفرت لي سررت وليك، وإن الكريم من يرفع قدر من يقصده، ويحقق ظن من يعتمده، وإذا قصد المسلم لزيارته وقضى حقه: كان حسناً محموداً.

٣٣- **(حكاية)** قال منصور بن عمار: دخلت على الرشيد، فقالت: تكلم، فقلت: أين سليمان الذي سخرت له الطير والوحش وعفاريت الجن: أليس نعق به صائح الموت، فإنه اعجزه عن قرار وطنه، وسلبه حسن ملكه وبهجته؟ فكيف تطمع في البقاء بعده وقد قال الشاعر:

كلال العيون ووهن العظام ... دبيب المنية لو تعلمينا
فإن كنت تبكين من قد مضى ... فابك على الحيّ لا الهالكينا
وابك لنفسك جهد البكا ... إن كنت تبكين أو تعقلينا؟

قيل لذي النون: ما سبب توبتك؟ قال: خرجت إلى مصر فرأيت في الطريق قنبرة قد وقعت عن وكرها، فقلت: هلكت، فانشقت الأرض وخرجت سكرجتان: في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فشربت وأكلت؛ فتبت.

٣٤- **(حكاية)** عن بعض السلف انه لبث ثلاثة أيام لم يطعم هو وأولاده، فقالت زوجته: إن الصبيان لا يصبرون أكثر من هذا، فقال: قومي إلى الصلاة وخذي أولادك معك يصلون، ثم خرج يصلي في الصحراء، ثم عاد بعد قليل فقال: قد

---

(١) لا يجوز شد الرحال لقصد زيارة قبر الرسول ﷺ والدعاء عنده وإنما يشد الرحال إلى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

أجهدنا الجوع، فقال: صل أنت وأولادك، ثم خرج، فوقف يصلي، فبينما هو كذلك؛ إذ جاء رجل فوقف عليه، فأوجز في صلاته، ثم قال: ما حاجتك؟ فقال: كنت في مركب أسير في البحر، فتذاكر اهل المركب صلحاء الزمان، فذكرت معهم، فعلق بقلبي ذكرك دون غيرك وما عرفتك قط، ثم هبت الرياح وأشرفنا على الهلكة، وانكسر المركب، وكل منا نذر شيئاً يفعله، ونذرت إن سلمت أن لك ثلث ربحي، وقد ربحت ألف دينار وخمسمائة دينار! فهذا نصيبك؛ قال: يا هذا قم واطرق الباب على ساكني هذه الدار، فإذا خرجت إليك امرأة فسلم هذا المال إليها وقل لها: انت واقفة مع ضعف اليقين، وهو يتجر لك في البحر!؟ فلما عاد إلى بيته قالت له امرأته: ما معنى قولك لي صل وأولادك؟ فقال إنما كنت آمرك بذلك لأن ا لله يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(١).

٣٥- **(حكاية)** قال بعض المشايخ: رأيت في بعض أسفاري شيخاً كبيراً قد طعن في السن؛ فسألته عن حاله؛ فقال: كنت في بدء أمري اهوى ابنة عم لي وتهواني، وتزوجتها؛ فقلت لها في ليلة زفافها: نشكر ا لله الليلة كيف جمعنا؛ فصلينا إلى الصباح فلما كانت الليلة الأخرى فعلنا مثل ذلك ولنا منذ أربعين سنة كل ليلة أقول: يا فلانة أليس نحن على ذلك؟ فتقول بلى.

٣٦- **(حكاية)** حكى عن ابن عمر الزجاج أنه قال: ماتت امي؛ فورثت منها داراً فبعتها بأربعين ديناراً وخرجت إلى الحج فاستقبلني رجل في الطريق وقال إيش معك؟ فقلت لنفسي الصدق خير؛ ثم قلت: أربعون ديناراً؛ فقال: ناولنيها؛ فأعطيته إياها، فأخذها وعدَّها، وقال: هي أربعون، خذها فلقد نصحك صدقك؛ ونزل عن دابته، وقال: اركبها، وسر؛ فإني لاحقك؛ فقلت: لا أفعل دعني أمشي؛ فألح عليّ

(١) الآية الكريمة رقم (١٣٢)ك سورة طه رقم ٢٠.

فركبتها ومضيت؛ فلحقني في العام المقبل ولازمني حتى مات.

٣٧- (**حكاية**) قال ذو النون المصري: كنت جالساً بمكة وبين يدي شاب، فجاء إنسان بكيس فيه دراهم؛ فقال: لا حاجة لي فيه، فلما كان العشاء رايته في الوادي يطلب شيئاً منه، فقلت: لو تركت لنفسك مما كان معك شيئاً؟ قال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت.

٣٨- (**حكاية**) قال حدثني أحمد بن إسحاق البهلولي القاضي، قال حدثني رجل بمكة قد أصيب بمصائب بلغت منه الجهد؛ فقال: كنت بمكة ذات يوم وقد عرفت مصيبتي وعظمها في المسجد الحرام، فمرّ بنا رجل مقطوع اليد والرجل: قال: فقال لي رجل: سل هذا عن مصيبته، فإن لك فيه أسوة مما أصبت به؛ قال: فدعوته فسالته أن يحدثني بحاله؛ فقال: كان أبي ملك كبش؛ فمات فملك أخي الأمر بعده، فكرهت المقام بكبش، فجمعت مالي وعيالي وأهلي وخرجت؛ فلما سرت إلى نهر بلخ وجدته جامداً، قال: وسبيل النهر إذا جمد أن يرسل عليه كلب؛ فإذا حمل الجمد الكلب حمل غيره من الحيوان، قال: ففعلنا ذلك، فحمل الكلب، قال: فركبت فرسي ابناً لي طفلاً فوضعته بين يدي على سرجي وحركت دابتي، فسرت إلى الجانب الآخر، وتركت عيالي وأسبابي بالأثقال التي معهم؛ فلما توسطوه انخسف بهم فمضوا بأسرهم داخل النهر فوقفت ملياً فقلت ما أنتظر فسرت على وجهي وابني معي ما أدري أين أتوجه، قال: فجاع الصبي، فاضطرب وبكى قال: فأخذته، فأنزلته عن دابتي، وطرحت عليه فرواً كان عليّ، وجعلت أطوف في البرية رجاء أن يسنح لي صيد أو شيء، فآخذه لقوت الصبي، فبينما أنا كذلك إذ حركت الريح الفروة التي كانت على الصبي فظننته بعض صيد البرية، فرميت بسهم ثم سرت نحوه فوجدته سهمي في كبد ولدي، قال: فجعل يضطرب حتى مات، فواريته في التراب، وركبت فرسي، وخرجت على وجهي، فبينما أنا كذلك اذ عرضت عليّ خيل فطلبوني وأخذوني؛

فقلت: ما شأنكم؛ فقالوا: أنت تقطع الطريق وتعبث في هذه الناحية؛ فأتوا بي صاحبهم، فلم يكلمني إذ أخبروه بحالي، حتى قطع يدي ورجلي، وطرحت على القارعة فبينما أنا كذلك إذ مرّ بي رجل من أهل بلدي فعرفني فسألني عن حالي فأخبرته بقصتي فجاء إلى السلطان الذي قطعني، فقال له: هذا أب فلان، قال: فبعث إليّ وحملني واعتذر إليّ، وقال: تحب أن أحملك إلى بلادك؟ قلت: لا، أحب أن أقيم بمكة مجاوراً، فحملني إلى ها هنا، فأنا مقيم.

٣٩- (**حكاية**) قال: حدثنا عطاء بن مسلم عن أبي عبدالرحمن الدمشقي عن مكحول: قال: بينما سليمان بن داود عليه السلام على بساط من شع وأصحابه على جانب الطريق، قال: فقال الحراث لو أن سليمان ابن داود عندي كلمته بثلاث كلمات؛ فأوحى ا لله عزّ وجلّ إلى سليمان أن ائت الحراث، قال: فركب على فرسه حتى أتاه؛ فقال: يا حراث أنا سليمان فقل ما أردت أن تقول، قال ومن أعلمك أني أردت أن اقول لك؟ قال: ا لله عزّ وجل أعلمني، قال: أشهد له بذلك، ألا إني رأيتك فيما أنت فيه فقلت: وا لله ما سليمان في لذة لذها أمس ولا نعيم نعمه أمس وانا في تعب تعبته أمس ونصب نصبته إلا سواء. لا سليمان يجد لذة ما مضى ولا أنا أجد تعب ما مضى، قال: وأخرى قلتها، قال ما هي؟ قال: قلت سليمان يموت وأنا أموت قال: صدقت، قال يا سليمان: لكني قلت: كلمة طابت بها نفسي، قلت: سليمان يسأل غداً عما أعطي، وانا لا أسأل فخر سليمان ساجداً يبكي، ويقول: رب رب لولا أنك جواد لا تبخل لسألتك أن تنزع عني ما أعطيتني، فأوحى ا لله إليه يا سليمان: ارفع رأسك فإني لم أنعم على عبدي نعمة فتكون له النعمة رضاء فأحاسبه عليها.

٤٠- (**حكاية**) قال: حدثني أبو الحسين محمّد بن إسحاق بن عبدا لله التمار، قال: كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به يعرفه وكان في كمه صرتان إحداهما فيها دنانير، وفي الأخرى دراهم، فأراد أن يعطيه درهماً فأعطاه

ديناراً فانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه درهماً. فبكر به إلى بقال يعامله، فقال له خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني بالباقي كذا وكذا، فقال له البقال: يا هذا من أين لك هذا؟ قال أعطانيه البارحة فلان، قال إنه دينار، فأخذه الضرير وجاء به من الغد إلى الرجل، فقال: إنك تصدقت عليّ بهذا، وأظنك أردتَ أن تعطيني درهماً فغلطت، فقال الرجل قد وهبته لك، وإذا كان رأس كل شهر فتعال إليّ أعطك شيئاً آخر مجازاه لأمانتك، فكان يجيئه في رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم، فلم أدر هل أعجب من أمانة الضرير أم من أمانة البقال.

٤١- **(حكاية)** قال: أخبرني الليث بن سعد عن إسماعيل بن نافع عمن حدّثه أن رجلين كانا غنيين، وكان أحدهما رجل صادق، والآخر رجل سوء، فدخلت المصائب على الرجل الصالح منهما، وكان يبيع من أطراف ماله حتى فرغ منه، ثم أكب على الحلى والحلل والثياب حتى لم يبق شيء، وكانت له امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل وخيرهم، فانطلق إلى أخيه حين لم يجد شيئاً، فقال أي أخي إني رأيت أن تجلعني أقوم على كلابك وتجري لي مثل ما تجري على كلب من كلابك من الرزق، قال: إن كنت تريد أن أحسن إليك فأرسل إليّ امرأتك تبيت عندي الليلة وأعطيك مائة دينار، قال فأقبل إلى امرأته فأخبرها، فقالت له: لا أحسنت ولا اجملت ولا صبرت على ما أصابك، حتى انطلقت إلى هذا الذي قد عرفت حاله ورأيه: حتى استقبلك بما استقبلك به، اصبر فعسى ا لله أن يأتينا برزق، فأخذ جرة وجعل يستسقي بها للناس الماء، فكلما أعطي شيئاً انقلب به فيأكله هو وأهله، فبينما هو يمشي يوماً خرّت الجرة فانكسرت، فجلس على باب الدار متحيراً، فكره أن يدخل على امرأته بغير شيء على ما رأى من صبرها، فانطلق إلى نهر فاغتسل، ثم أقبل على شرف فاستقبل القبلة ودعا وشكر ا لله، فقال: اللهم إن كان لي عندك خيراً في الاخرة فعجل لي رزقاً في الدنيا أعشي به أهلي؛ فأقبلت عليه سحابة فخرجت منهاكف فيها لؤلؤتان ليستا من متاع الدنيا، فأقبل بهما جذلاً مسروراً، فمرّ على

أخيه فأراه إياهما، فقال أعطيك بها ثلاثين ألـف دينـار، فقـال مـا أنـا بفـاعل حتـى أستأذن فلانة، قال كأني بك الآن يزيدك إنسان شيئاً قليلاً فتبيعه وتـتركني، قـال: أمـا هذا فلست فاعله، إن أردت أن أبيعهما لم اقدم أحداً عليك بهما، ودخل على امرأته فأخبرها بالذي فعل، وأراها اللؤلؤتين، وأخبرها بما أعطاه أخوه، فقالت: ما أحسنت ولا صبرت على ما أصابك، تسأل ا لله ان يعجل لك مما ادخر لك في الآخـرة رزقـاً تأكله في الدنيا؟ قال: الحاجة ألجأتني لذلك فمـا أصنـع؟ قـالت: فـارجع إلى مكـانك فاغتسل كما اغتسلت وادع -كما دعوت- أن يقبلهما منك ويدّخرهما لـك؛ ففعـل؛ فأقبلت السحابة حتى غشيته ثـم خرجـت الكـف فوضـع اللؤلؤتـين في الكـف، ثـم ارتفعت السحابة وأقبل مغموماً حزيناً حتى اتى باب داره، فجلس كراهيـة الدخـول على أهله بغير شيء، فأتى إليه رجل حتى وقف تجاهه، فقال: من يدلني علـى رجـل أمين أعطيه بقراً وبذراً فيحرث ويأكل ويتصدق وينكح ويتسرى ويصنع مـا بـدا لـه، فإذا جئت إليه دفع إليّ ما بقي في يديه، فقال وا لله إني لأرجو أن يكون عندي أمانة؛ فدفع إليه البذر والبقر، فقال احفظ عليّ أني كنت أنزى على بقري هذه افرساً فينتج خيلاً، احفظ عليّ الخيل إذا نتجت، قـال لـو انتجـت الزبرجـد واللؤلـؤ رجـوت أن أحفظهما لك، فحرث وبذر، فجاء شيء لم يأت للنـاس مثلـه ولا أعظـم منـه حتـى امتلأت الأودية من المواشي والدقيق والغلال، فصنع فيها مـا صنـع؛ ثـم بعـد زمـان جاءه فقال: أتعرفني؟ قال لا وما أنكرك عن سوء، قال هذا أول الغدر، قال: لا تقـل إلا خيراً رحمك ا لله من أنت؟ قال أنا صاحب البذر والبقر، قال مرحباً وأهـلاً، قـال ما صنعت فيما دفعت إليك؟ قال ترى هذه الأودية كلها وما فيها فهو لك؛ قال فمـا فعلت في الخيل التي أنتجت بقري؟ قال وا لله ما أنتجت إلا بقراً ولـو انتجـت خيـلاً لوجدتها عندي، قال هذا أوّل الغدر أدّ إليّ خيلي، قال فاذهب فخاصمني، قال: انظر أي قضاة بني إسرائيل شئت فاذهب بنا إليه؛ فسمى رجلاً منهم، فانطلقا، فجلسا إليه ليقضى بينهما وصير معه صنماً من ذهب وقص قصته وقـال أدى إليّ كـل شـيء إلا

الخيل التي انتجت بقري خانني بها، فقال وا لله ما أنتجت إلاّ بقراً، ولو أنتجت خيلاً لأديتها إليه؛ فدسّ إليه صنم الذهب، فقال القاضي: قم وأدّ إلى الرجل خيله، فقاما من عنده، فقال المقضي له قد قضي لي عليك، قال تحسن وتجمل وتذهب بنا إلى آخر، قال فسمّ من شئت، فصنع مثل ما صنع الأوّل، والثاني والثالث، والرابع، فاختصم معه حتى مرّوا بأربعة قضاة من بني إسرائيل ففعلوا ذلك بهم، ويقضون له بالخيل، فقال أحسن وأجمل واذهب بنا إلى داود عليه السلام، فانطلقا إليه فمرا بسليمان في المكتب، قال فقصّا عليه القصة فقال كانت بقري تنتج خيلاً فكتمني الخيل، قال سليمان: أكذلك كانت تنتج بقرك؟ خذ هذا البذر فألقه في النهر، فإذا نبت البذر في النهر قضيت، قال: أوينبت البذر في الأنهار؟ قال: وتنبت نطف الخيل في أرحام البقر؟ اذهب فليس لك إلا أمانته، فقال الرجل قضى لي ابن النبي، فقال: إنما أنا ملك من الملائكة بعثت في بلوى أولئك القضاة، قد أعمى ا لله أبصارهم، فإن أردت أن تمر بهم فتنظر إليهم لرأيتهم، وكل ما في يديك لك.

٤٢- **(حكاية)** قال: حدثنا ابن مسروق قال سمعت سرياً يقول: بينما نحن نسير في بلاد الشام، إذ ملنا عن الطريق ناحية جبل عليه عابد قال رجل من القوم: إنا قد ملنا عن الطريق، وها هنا عابد فميلوا بنا إليه نسأله، فلعل ا لله أن يوفقه فيكلمنا، فملنا إليه، فوجدناه يبكي، قال سريّ: قلت: ما أبكى العابد؟ قال: مالي لا أبكي وقد توعرت الطرق وقلّ السالكون فيها، وهجرت الأعمال وقل الراغبون فيها، وقلّ الحق ودرس هذا الأمر، فلا أراه إلا في كل بطال، ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرخص وعهد التأويل، واعيل بذلك العاصون، ثم صاح صيحة وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن ملكوت روح السماء؟! ثم ولى صارخاً يقول: وغمّاه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء، ثم جال جولة، وقال: أين الأبرار من العلماء؟ بل أين الأخيار من الزهاد؟! ثم بكى ثم قال: شغلهم وا لله ذكر طول الوقوف، وردهم الجواب، عن ذكر الجنة والنار والثواب، ثم قال: استغفروا

ا لله من شهوة الكلام، ثم قال: تنحوا عني؛ فخلِيناه يبكي وقد ملئنا منه غما.

٤٣- **(حكاية)** قال أبو الحارث الأوسي: طرحت نفسي ليلة تحت شجرة، فلما كان جوف الليل سمعت قائلاً يقول: ليل داج. وسماء ذات أبراج، ثم قال: متى متى أنت ونفسك والاشتغال بها دون مالكها، يا سوء صباح المنذرين، ماذا يحل بهم من حسرة التفريط؟ نفدت الأعمال وأهلك الأمل الطويل أهله؛ فانظر لمن تعامل؟ ولمن تبيع؟ وممن تشتري؟ وأقلّ الاختلاط بأهل الزمان، فقد باد العلماء، وكثرت السفهاء، ومال القراء إلى الرخص، وتحلوا بالصمت، وتفاخروا بالوصف، وباعوا الدين بالدنيا، ورضوا بالكلام عوضاً عن الفعل، وأطلقوا ألسنتهم باللعن والتكفير، فاترك الكلام واشتغل با لله، فما تدري ماذا بقي من عمرك ورزقك.

٤٤- **(حكاية)** حكي عن رابعة العدوية أنها جاءها من العباد فذكروا الدنيا فجعلوا يذمّونها وهي ساكتة، فلما أكثروا: أقبلت عليهم فقالت: كلكم يحب الدنيا، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، أمارأيتم الرجل العاقل يجيء إلى الجماعة يحدثهم بكلام ابنه الصغير إعجاباً به وفتنة؟!

٤٥- **(حكاية)** قال بعضهم: رأيت مع ابن زمعة غلاماً جميلاً لا يكاد يفارقه، ثم افترقا، فسألت الغلام: ما سبب الفرقة؟ فقال: ما أعرف ذنباً، فسألته، فقال ليس من ا لله خلف ولا عوض، إني خفت فتنة هذا الغلام على نفسي، فصارمته عن غير قلى ولا بغض، ولكن خفت من وقوع حادثة يسخط ا لله عليّ فيها ويحجب عني في القيامة وجهه بعد اشتياقي إليه، ويفرق بيني وبينه حين يجمع الأحباب.

٤٦- **(حكاية)** قال بعضهم: كنت عند سهل بن عبدا لله التستري الصوفي وهو يتكلم على الناس، فوقف علينا غلام جميل، فمدّ بعض الناس عينه ينظره، ووافقه جماعة في النظر، فقال سهل: مهلاً أيها الناس، تغترون بحلم ا لله عنكم، وإمهاله لكم، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط

منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه؛ فإنكم هجمتهم على ما نهاكم عنه، فإن عدتم إلى أمره: أقام لكم علي حلمه، وإن تماديتم في شهواتكم: لم آمن عليكم عقوبة تأتي إليكم، فإنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم.

٤٧- (**حكاية**) قال أبو بكر الدقاق: أقمت بمكة أربعين سنة على التوكل(١)، فقالت لي نفسي: مالك لا تخرج إلى السوق تطلب معاشاً؟ فقلت: حتى أدخل الحجر فأصلي ركعتين؛ فلما جئت إلى الموضع ركعت، فأردت أن أسجد، فإذا الجدار قد انشق، وخرج إليّ وجه فقال: يا أبا بكر منذ عرفتنا أضيعناك؟ فخررت مغشياً عليّ.

٤٨- (**حكاية**) قال أبو حمزة: وقفت على راهب في بلاد الشام قد أشرف من صومعته وهو يكلم غلاماً له جميلاً من النصارى ويتبسم إليه، فقلت لا ينبغي لمن هو في طريقك أن يتبسم في وجه من لا يؤمن فتنته، فقال: هو لعمري كما قلت، غير أني أعاهد ا لله لا فتحت عيني حولاً عقوبة لها، وغمض عينه وأدخل رأسه وبكى وانصرفت.

٤٩- (**حكاية**) قال أبو حمزة الصوفي: كنت مع عبيدا لله بن محمّد الاسكندراني ببلاد الروم، فنظر إلي غلام جميل يحمل على علج من الروم، فدنا منه عبيدا لله فقال له: فدتك النفوس، أما تشتاق أن ترى وجهاً أحسن من وجهك؟ فقال بلى يا عم، فقال ما بينك وبين أن تلقى ا لله إلا أن يقتلك هذا، فصاح الغلام وحمل عليه، فقتله العلج؛ فكان عبيدا لله يقول: إني لأرجوا أن يكون ا لله عز وجل قد ضحك إلى وجهه الحسن الجميل.

---

(١) طلب الرزق لا ينافي التوكل بل هو حقيقة التوكل وكما قال عليه الصلاة والسلام لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروحوا بطاناً فإذا كانت البهائم تغدروا في طلب رزقها فمن له عقل من بني آدم من باب أولى.

٥٠- (**حكاية**) قال بعضهم: دخل عليّ أبو الحجاج الجرجاني يوماً وكلمته فلم يكلمني، فقلت له: أنت في حرج إن كان عندك إلا ما أعلمتني به، فقال: أما عصيت ا لله فقط؟ قلت: نعم، قال أرفعت معصيتك إلى ا لله؟ فقلت نعم، فقال أعلمت انه غفرها؟ قلت لا، قال فاذهب فابك على نفسك أيام الحياة حتى تعلم ما حالك، قال فبكى ذلك الرجل خوفاً من ا لله ثلاثين سنة حتى مات.

٥١- (**حكاية**) حكي عن وهب بن منبه قال: قال إبليس: يا رب أما ترى حب عبادك لك، وكثرة عصيانهم لك، وبغضهم لي مع موافقتي؟ فأوحى ا لله إلى الملائكة إني قد غفرت لهم عصيانهم بحبهم لي، وغفرت زلاتهم ببغضهم لك يالعين.

٥٢- (**حكاية**) حكى عن الأعمش أنه قال: خرجت ليلة مظلمة أريد الجامع، وإذا بشخص، فاقشعر جلدي، فقلت: من الإنس أنت أم من الجنّ؟ فقال من مؤمني الجنّ، فقلت: هل فيكم من البدع شيء؟ فقال نعم، ألا أحدّثك بعجيبة؟ قلت بلى، قال: وقع بيني وبين عفريت من الجنّ اختلاف في أبي بكر وعمر أنهما ظلما عليّ بن أبي طالب واعتديا عليه إذ أخذا ما ليس لهما بحق، فقلت له بمن ترضى؟ قال بإبليس، فلما أتيناه نظر إلينا وضحك وقهقه؟ وقال فيم جئتما فقصصنا عيله القصة، فقال ألا أحدّثكما بحديث؟ فقلنا بلى، قال أما علمتم أني عبدت ا لله في سماء الدنيا ألف عام فسميت العابد، فرفعت إلى السماء الثانية فعبدت ا لله ألف سنة فسميت الزاهد، فرفعت إلى السماء الثالثة فعبدت ا لله تعالى ألف عام فسميت الراغب، فرفعت إلى السماء الرابعة فرأيت فيها سبعين ألف صف من الملائكة يستغفرون ا لله لمن يحبّ أبا بكر وعمر، ثم رفعت إلى السماء الخامسة فوجدت سبعين ألف صف يلعنون مبغضي أبي بكر وعمر؟ وهذا ما رأيت، فإن شئتم فأحبوهما، وإن شئتم فأبغضوهما.

٥٣- (**حكاية**) قال إبراهيم: وصف لي جارية عابدة، فسالت عنها، فقيل: هي في دير خراب، فأتيت الدير، فإذا جارية قد أثر الليل فيها، فسلمت وقلت: هذا مسكن

النصارى، فقالت مه، لا برى إلا ا لله، فقلت: هل تجدين الوحشة؟ فقالت اسكت؛ فوالذي حشا قلبي من لطيف حكمته، وخصني بصفوة مودته، ما علمت في قلبي موضعاً لغيره، قلت: أرشديني الطريق، قالت: اجعل التقوى زادك، والزهد محبتك، والورع مطيتك، واسلك طريق الخائفين حتى تأتي باب ا لله ليس دونه حاجب ولا بوّاب، فعندها تأمر الخزنة ولا يعصوا لك أمراً، ثم قالت:

من عرف ا لله فلم تغنه ... معرفة ا لله: فذاك الشقي

ما ضرّ ذا الطاعة ما ناله ... في طاعة ا لله وماذا لقي

ما يصنع العبد بغير التقى ... والعزّ كل العز للمتقي

٥٤- (**حكاية**) حكي عن سري السقطي أنه قال: كنت أتكلم يوماً بجامع المدينة فوقف علي شاب حسن الوجه حسن الثياب فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول: عجباً لضعيف يعصي قوياً! فتغير لونه وانصرف، فلما كان من الغد جلست في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل، فسلم، فصلى ركعتين، فقال: يا سريّ: سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف يعصي قوياً، فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من ا لله، ولا أضعف من العبد، وهو يعصيه، فخرج، ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد، فقال يا سري: كيف الطريق إلى ا لله، قلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردت ا لله فاترك كل شيء سواه تصل إليه، وليس إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو يقول: وا لله لا سلكت إلا أصعب الطرق؛ وولى خارجاً، فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي بعد مضي سنة، وإذا بطارق يطرق الباب، فاذنت له بالدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء وآخره على عاتقه، ومعه زنبيل فيه نوى، فقبل بين عينّي وقال: يا سري أعتقك ا لله كما أعتقتني من رقّ الدنيا، فأومأت إلى صاحبي أن أمض إلى أهله فأخبرهم، فمضى وإذا قد جاءت زوجته ومعها ولده وغلمانه، فدخلت فألقت ولده في حجره وعليه

حلى وحلل وقالت له يا سيدي أرملتني وأنت حي، وأيتمت ولدك وأنت حي، قال سري: فنظر إليّ وقال: يا سري ما هذا وفاء، ثم أقبل عليها فقال: وا لله إنك لثمرة فؤادي، وحبيبة قلبي وإن هذا ولدي لأعز الخلق علي، غير ان هذا سري أخبرني أن من أراد ا لله قطع كل ما سواه، ثم نزع ما على الصبي، فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة، والأجساد العارية وخرق قطعة من كسائه ولف فيها الصبي، فقالت لا، لا ارى ولدي بهذه الحالة، وانتزعته منه، فحين رآها قد اشتغلت: نهض على قدميه وقال: ضيعتم علي ليلتي؛ بيني وبنيكم ا لله، وولى خارجاً، وضجت الدار بالبكاء، فقالت -يعني زوجته- لسري: إن عدت فسمعت له خبراً فأخبرني، فلما كان بعد أيام أتت عجوز، فقالت يا سري: إن بمكان كذا فلان يسألك الحضور، فمضيت، فإذا به مطروح في ثوبه، وتحت رأسه لبنة، فسلمت عليه، ففتح عينيه وقال: يا سري تراه يغفر لي تلك الجنايات؟ فقلت نعم، فقال يغفر لمثلي؟ قلت نعم، قال أنا غريق، قلت هو منجي الغريق. قال عليّ مظالم، فقلت: في الخبر «**يؤتى بالتائب يوم القيامة معه خصومه، فيقال لهم خلوا عنه فإن ا لله يعوضكم**» فقال: يا سري معي دراهم من لقط النوى، فإذا أنا مت فاشتر لي ما أحتاج إليه وكفني ولا تعلم أهلي لئلا يغيروه بحرام، قال سري: فجلست عنده قليلاً، ففتح عينه وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ومات؛ فأخذت الدارهم وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه وسرت نحوه، فإذا الناس يهرعون من كل جانب، فقلت ما الخبر فقيل: مات ولي من أولياء ا لله نريد ان نصلي عليه، فجئت فغسلته ودفنته، فلما كان بعد مدة انفذ أهله يستخبرون خبره، فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية، وسألتني أن أريها قبره، فقلت أخاف أن تغيروا أكفانه، قالوا لا وا لله؛ فأريتها القبر، فبكت، وأمرت بأحضار شاهدين، فأحضرتهما؛ فأعتقت جواريها، ووقفت عقارها، وتصدقت بمالها، ولزمت قبره حتى ماتت، رحمهما الله.

٥٥- (**حكاية**) حكي عن كرز بن وبرة أنه سأل ا لله أن يعطيه اسمه الأعظم

على أنه لا يسأل به شيئاً من الدنيا، فأعطاه، فسأل ربه أن يقوّيه على ختم كتابه في اليوم والليلة ثلاث مرات[1]، وكان قد حفر في بيته حفرة وملأها تبناً وبسط عليها كساء لطول قيامه، وكان له عمود في المحراب يعتمد عليه إذا قام، ثم يخرج بعد ذلك فيأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ فدخل يوماً على ابن شبرمة وهو مبرسم، فتفل في أذنه؛ فبرئ.

٥٦- **(حكاية)** قال بعض السلف: رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض، كأن به وخز الأسنة، ودموعه تتحادر، فقلت من أنت؟ قال: عبد أبق من مولاه، فقلت فتعود فتعتذر، قال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة، قال: فكيف يعتذر المقصر؟ قلت: تتعلق بمن يشفع، فقال كل الشفعاء يخافون منه، قلت من هو؟ قال: رباني صغيراً فعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعه وقبح فعلي!! فقلت: أين هذا المولى؟ قال أينما توجهت لقيت أعوانه، وأين استقرت قدمك ففي داره؛ فقلت أرفق بنفسك فربما أحرقك هذا الخوف، فقال الحريق بنار خوفه -لعله يرضى- أحق وأولى، ثم أنشد وقال:

لم يبق خوفك لي دمعاً ولا جلداً ... ولا شك أني بهذا ميت كمدا
عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً ... وتارة تحرق الأحشاء والكبدا
ضاقت مسالكه في الأرض من وَجَلٍ ... فهب له اللطف منك إن لقيك غدا

فقلت له: يا غلام: الأمر أسهل مما تظن، فقال هذا فن، البطالين، هبه تجاوز وعفا، أين آثار الإخلاص والصفا؟ ثم صاح صيحة فمات، فخرجت امرأته من كهف جبل، وعليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله: دعوته إلى الرجاء، فقالت: الرجاء بلا صفاء شرك، فقلت: من أنت منه؟

---

(١) قراءته في هذه المدة لاشك -إن كان ممكناً- فإنه خلاف هدي النبي ﷺ.

فقالت: والدته، فقلت: أقيم عندك أعينك عليه، فقالت: خله ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراه بغير معين فيرضى عنه، فلم أدر من ماذا أعجب من صدق الغلام في خوفه، أم من قول العجوز وحسن صدقها؟

وا لله سبحانه وتعالى أعلم

وصلى ا لله علي سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

تم كتاب ملتقط الحكايات، والحمد لله رب العالمين

المحققان

هلال ناجي

وليد بن أحمد الحسين
أبو عبدالله الزبيري

ثبت المصادر والمراجع

۞ المصحف الشريف - القرآن الكريم-

۞ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت بن عبدا لله الحموي، حققه د. س مرجليوث- ط٢- مصر ١٩٢٣- سبعة أجزاء

۞ الأعلام: خير الدين الزركلي، ط٢- أحد عشر جزءاً- القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٩.

۞ البداية والنهاية: أبوالفداء الحافظ ابن كثير، ط١-١٩٦٦- مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض.

۞ تاريخ ابن الفرات- تاريخ الدول والملوك - ناصر الدين محمّد بن عبدالرحيم ابن الفرات حققه قسطنطين زريق وآخرون- بيروت- الجامعة الأمريكية ١٩٣٨-١٩٤٢- الأجزاء ٧و٨و٩.

۞ تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، نشره حسام القديسي- ستة أجزاء- القاهرة ١٩٤٩-١٩٥٤.

۞ تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، حققه عبدالرحمن بن يحيى المعلمي- حيدر آباد الدكن- الهند

۞ التكملة لوفيات النقلة: عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري- أربعة أجزاء حققه بشار عواد معروف- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٢- ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

۞ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيوم السير: علي بن أنجب المعروف بابن الساعي- حققه مصطفى جواد- بغداد ١٩٣٤.

۞ دول الإسلام- مختصر كتابه «تاريخ الإسلام»، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي- حيدر آباد الدكن- ط٢- دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٨.

۞ ذخائر التراث العربي الإسلامي- جزآن، عبدالجبار عبدالرحمن، ج١- البصرة ١٩٨١- ج٢ البصرة ١٩٨٣.

۞ الذيل على الروضتين (طبع بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع)
عبدالرحمن بن إسماعيل أبوشامة المقدسي- دار الجبل، بيروت- ط٢- ١٩٧٤.

۞ الذيل على طبقات الحنابلة: عبدالرحمن بن شهاب البغدادي ابن رجب الحنبلي - جزآن- تصحيح محمّد حامد الفقي القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢-١٩٥٣.

۞ رحلة ابن جُبير: أبوالحسين محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

۞ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٢٥ جزءً- مؤسسة الرسالة- بيروت- عدة محققين باختلاف الأجزاء وبإشراف شعيب الأرنؤوط.

۞ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي
المكتب التجاري للطباعة - بيروت.

۞ الشيب والخضاب: عبدالرحمن بن الجوزي، مخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس - مصورة منها في خزانتي.

۞ طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، طبعة مصورة سنة ١٩٦٠ في طهران عن طبعة ليدن الصادرة سنة١٨٣٩.

۞ العبر في خبر من غبر: الحافظ شمس الدين الذهبي- خمسة أجزاء الكويت ١٩٦٠-١٩٦٦، الأول والرابع والخامس بتحقيق صلاح الدين المنجد والثاني والثالث بتحقيق فؤاد السيد.

۞ غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين محمّد بن محمّد بن الجزري، حققه ج.

برجستراسر. دار الكتاب اللبناني.

- الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن محمّد ابن الأثير - حققه تورنبرغ، دار صادر ودار بيروت للطباعة - بيروت ١٩٦٥.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدا لله الشهير بحاجي خليفة طهران - المطبعة الإسلامية ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- لسان العرب: محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٨.
- لفتة الكبد إلى نصيحة الولد: عبدالرحمن ابن الجوزي، مصورة مخطوطة - في خزانتي أصلها في دار صدام للمخطوطات
- مجلة المعهد الفرنسي بدمشق - مقالة المستشرق كلود كاهين المجلد ١١١××-١٩٧٠.
- مجلة المكتبة - كانت تصدر عن مكتبة المثنى في بغداد، لصاحبها قاسم محمّد الرجب- رحمه ا لله-.
- مجلة المورد - مجلة تراثية فصلية تصدر وزارة الثقافة والإعلام - بغداد منذ عام ١٩٧٢.
- المختصر في أخبار البشر: أبوالفدا عماد الدين إسماعيل - أربعة أجزاء

المطبعة الحسينية المصرية

- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي: انتقاء الذهبي ثلاثة أجزاء حققه مصطفى جواد - بغداد ١٩٥١-١٩٧٧.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي (يوسف قزاوغلي بن عبدا لله البغدادي)، الجزء الثامن - حيدر آباد الدكن ١٩٥١- ١٩٥٢ يتضمن حوادث ٤٩٥-٦٥٤هـ.
- مشيخة النعّال البغدادي: صائن الدين محمّد بن الأنجب تخريج الحافظ

المنذري حققها ناجي معروف وبشار عواد معروف، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

۞ معجم الشامل للتراث العربي المطبوع: محمّد عيسى صالحية - أربعة أجزاء

۞ مطبوعات معهد المخطوطات العربية في القاهرة (١٩٩٢-١٩٩٥).

۞ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه: محمّد فؤاد عبدالباقي - القاهرة- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ.

۞ مؤلفات ابن الجوزي: عبدالحميد العلوجي - بغداد- مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام ط١-١٩٦٥.

۞ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: أبوالمحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة.

۞ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي استانبول - مجلدان- طبعته بالأوفست المكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي بطهران ط٣-١٣٨٧هـ.

۞ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمّد بن خلكان، حققها إحسان عباس - دار صادر ودار بيروت- بيروت سبعة أجزاء والثامن خاص بالفهارس إعداد وداد القاضي وعز الدين أحمد موسى.